من كنوز القرآن

الأعلام الأعجمية في القرآن

تعريف وبيان

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي



من كنوز القرآن
١٠

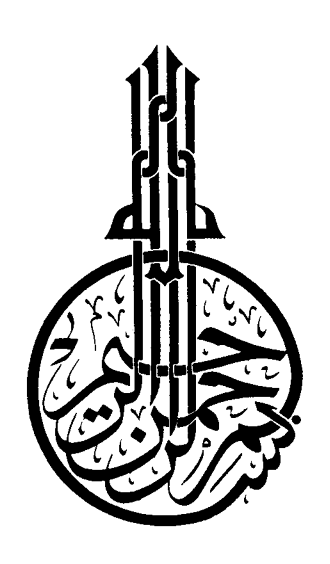


تعريف وبيان

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي



دمشق


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونتوبُ إليه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يضللْ فلا هاديَ له، وأَشهدُ أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأَشهدُ أَنّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبِه، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذه هي الحلقةُ العاشرةُ من السلسلة القرآنية (من كنوز القرآن)، وهذه الحلقةُ خاصةٌ بالأعلامِ الأعجميةِ في القرآن.

من المعلوم أن اللهَ أرسلَ كلَّ رسولٍ من السابقين إلى قومه، بلغتِهم ولسانِهم، فكان الرسولُ يخاطبُ القوم بلغتِهم ليبيّنَ لهم. وبما أنَّ الله بعثَ محمداً ﷺ رسولاً للعالمين، وقد نشأَ بينَ قومِه العرب، فقد أَرسلَه الله بلسانِ قومه العرب، وهو أَفصحُ العربِ وأَبلغُهم عليه الصلاة والسلام.

وأنزلَ اللهُ القرآنَ على رسولِه ﷺ بلسانِ قومه، فجاءَ القرآنُ عربياً، بلسانٍ عربيٍّ مبين، ودلَّ هذا على فضلِ وشرفِ اللغةِ العربية، باعتبارِها أَفضلَ اللغات وأَوضحَها وأَفصحَها.

وقد وقفَ العلماءُ أمامَ أُسلوبِ القرآن متدبِّرين، وتساءلوا: هل كلُّ ما في القرآن من كلماتٍ وأَلفاظٍ عربيٌّ أَصيل؟ أم فيه كلماتٌ من لغاتٍ أُخرى، عَرَّبَها القرآنُ عندما أوردَها في آياته؟.

أَشغلتْ هذه المسألةُ العلماءَ قديماً وحديثاً، وانقسموا أَمامَها إلى ثلاثةِ أقسام:

- فمنهم مَنْ قال: في القرآن من كلِّ اللغات، كالفارسية والروميةِ والحبشية والآرامية والعبرانية، وفيه كلماتٌ أعجميةٌ عديدة، من الأعلام وغيرها. ولما نظرَ السيوطيُّ في الكلماتِ الأعجميةِ المعرَّبة في القرآن، أَوصلَها إلى حوالي مئة وعشرين كلمة!.

- ومنهم مَنْ قال: كلُّ ما في القرآنِ عربيٍ، وليسَ فيه كلماتٌ أعجميةٌ معرَّبة، فكلُّ كلماتِه عربيةٌ أصيلة، لأنَّ الله أنزلَه بلسانٍ عربيٍّ مبين، ووجودُ كلماتٍ أَعجمية يتعارضُ مع الآياتِ التي نَصَّتْ على عربيةِ القرآن!.

- والراجحُ هو أنَّ كلَّ ما في القرآن من ألفاظٍ وكلماتٍ فإنما هو عربيٌّ أَصيل، ويمكنُ إرجاعُ كلِّ كلمةٍ من القرآن إلى أُصولها وجذورِها العربية، فليس فيه من اللغاتِ غيرِ العربية، كالفارسية والحبشية.

الأعلامُ الأعجميةُ موجودةٌ في القرآن، وهذا باتفاقٍ وإجماع العلماء، ووجودُ هذه الأعلامِ الأعجميةِ لا يَتعارضُ مع عربيةِ القرآن، لأنَّ هذه الأعلامَ واحدةٌ في جميعِ اللغات، ولا فرقَ بينها في اللغاتِ إلاّ في حروفها فقط، حيث تُلفظُ وتُكتبُ بحروفٍ متوافقةٍ مع تلك اللغة.

وأَحببنا أنْ نُخصصَ هذه الحلقةَ من (كنوز القرآن) للحديثِ عن (الأعلام الأعجمية في القرآن).

المرادُ بالأعلام أسماءُ الأشخاصِ والأماكنِ والبقاعِ والبلدان. وقد ذكرَ القرآنُ كثيراً من تلك الأعلام.

إنَّ الأعلامَ المذكورةَ في القرآن قسمان:

القسمُ الأوّل: أَعلامٌ عربيَّةٌ مشتقةٌ من أُصولٍ عربية، وهي أسماءُ أَشخاصٍ عرب، أو أماكن عربية، وهذه الأعلامُ منها ما هو مصروف، حيثُ يدخلُها التنوين، وتُجَرُّ بالكسرة، مثل: هود وصالح وشعيب ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، ومثل: سبأ، وعرفات. ومنها ما هو ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والتأنيث مثل: بكة، مكة، مدين.

وهذه الأعلامُ العربية لم نتحدث عنها في هذا البحث؛ لأنها تدخلُ ضمنَ الدراسةِ اللغويةِ البيانيةِ لمفردات القرآن.

القسم الثاني: أعلامٌ أعجميةٌ مُعَرَّبَة، وهي الأعلامُ التي أُطلقتْ على أَصحابِها عند الأممِ الأخرى من غيرِ العرب، ولما استعملَ العربُ تلك الأعلامَ استخدموا لها حروفاً عربية، ونَطقوها بأَصواتٍ عربية، ولما أَوردَها القرآنُ عَرَّبَها بحروفٍ عربية، لكنَّ تعريبها في اللغةِ العربية وفي القرآن لم يُلْغِ أُصولَها الأعجمية!

وبما أنَّ هذه الأعلامَ أَعجميةٌ مُعَرَّبَة، فهي ليستْ مشتقة، ولذلك لا نبحثُ عن أُصولها، واشتقاقِها، كما أننا لا نبحثُ لها عن معنى في اللغةِ العربية، مع أنَّ لها مَعانٍ في لغاتِها الأعجمية، لا نعرفُها ولا نَخوضُ فيها.

لقد قمنا بجولةٍ في مفردات أَلفاظِ القرآن، لنستخرجَ منها (الأعلامَ الأعجميةَ في القرآن) بهدف بيانِ أعجميتِها وتعريفِها، وذِكْرِ وُرودِها، وخلاصةِ قصتِها في القرآن.

الأعلامُ الأعجميةُ في القرآن قسمان:

القسم الأول: الأعلامُ الأعجميةُ الممنوعة من الصرف: وهي لم تَرِدْ في القرآن إلا ممنوعةً من الصَّرف، للعلَميةِ والعُجْمَة. وقد رتَّبنا هذه الأعلام على أساسِ حروفِ المعجم.

وهذه الأعلامُ الأعجميةُ الممنوعةُ من الصَّرف اثنان وأربعون عَلَماً، مرتبةً كما يلي: إبـراهيم، إبليـس، إدريس، آدم، إرم، آزر، إسحاق، إسرائيل، إسماعيل، إلياس، إليسع، أيوب، بابل، جالوت، جبريل، جهنم، داود، زكريا، سليمان، سيناء، طالوت، طوى، عمران، عيسى، فرعون، قارون، لقمان، مأجوج، ماروت، مريم، مصر، موسى، ميكال، هاروت، هارون، هامان، يأجوج، يعقوب، يعوق، يغوث، يوسف، يونس.

القسم الثاني: الأعلامُ الأعجميةُ المصروفة، إما للتأنيث، وإمّا لدخولِ (أل التعريف) عليها، وهي ستةَ عَشَرَ علماً، مرتبةً على حروفِ المعجم كما يلي: الإنجيل، التوراة، الجودي، الروم، الزبور، السامري، سواع، الطور، عزير، لوط، المجوس، النصارى، نسر، نوح، ود، اليهود.

إنَّ الأعلامَ الأعجميةَ المذكورة في القرآن ثمانيةٌ وخمسون عَلَماً فقط. وهذه وحدَها الكلماتُ الأعجميةُ في القرآن، فليس في القرآنِ من الكلماتِ الأعجميةِ إلا الأعلام، وهي كما لا حظنا قليلةٌ وليستْ كثيرة، وكم أخطأَ الذين أوصلوا الكلماتِ الأعجميةِ في القرآن إلى مئات، من غيرِ الأعلام!!.

وعندما جَمَعْنا الأعْلامَ الأعجميةَ في القرآن كانت طريقتُنا في الحديث عنها كما يلي: ذكْرُ العَلَمِ الأعجمي، وذكْرُ الخلافِ في عربيَّتِه أو أَعجميَّتِه، والخلافِ

في معناهُ عندَ مَنْ قالوا بعربيّتِه واشتقاقِه، وترجيحِ القولِ بأَعجميتِه، والاستدلالُ على ذلك، وأَخْذُ ذلك من أُمهاتِ كتبِ اللغة والتفسير، مثل: (مقاييسُ اللغة) لابن فارس، و(مفرداتُ ألفاظِ القرآن) للراغب الأصفهاني، و(عمدةُ الحفاظ في تفسيرِ أَشرفِ الأَلفاظِ) للسمين الحلبي، و(بصائرُ ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي، و(لسانُ العرب) لابن منظور، و(المعجمُ الوسيطُ) الذي أعدَّه مجمعُ اللغة العربية في القاهرة، و(تفسيرُ الكشاف) للزمخشري، و(تفسيرُ البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، و(تفسيرُ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي، و(تفسير التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر ابن عاشور.

وكنّا نذكرُ مرات ورود العَلَم الأَعجميِّ في القرآن، ومواضعَها، ونُعَرِّفُ بذلك العَلَمِ الأعجمي، ونبيِّنُ خلاصةَ قصتِه بصورةٍ مجملةٍ موجزةٍ جداً، وحرصْنا حرصاً شديداً على البقاءِ مع القرآنِ والحديثِ الصحيح، وعدمِ ذِكْرِ شيءٍ من الإسرائيليات والرواياتِ والأَخبارِ غيرِ الصحيحة، والتي ليسَ عليها دليل، كما فعلَ بعضُ مَن تكلموا على الأعلام القرآنية، الذين توسَّعوا في الحديثِ عنها، وذكروا إِسرائيلياتٍ باطلةً وأَساطيرَ مردودة، مثلُ صنيعِ الفيروزآبادي في (بصائر ذوي التمييز).

وهذا البحثُ (الأعلامُ الأَعجميةُ في القرآن: تعريفٌ وبيانٌ)، مدخلٌ لبحثٍ قرآني كبير، يتحدَّثُ عن أُصولِ واشتقاقاتِ وتصريفات ومعاني كلماتِ القرآن العربيةِ المشتقة، وربطِ تلك التصريفات والاشتقاقاتِ بالأُصول والجذورِ الأَساسية، وبيانِ انطباقِ معاني الأُصولِ والجذور على معاني الاشتقاقاتِ الفرعية، أَسألُ الله أنْ يُعينني على إعدادِه وإِخراجِه.

هذا البحثُ الصغيرُ خاصٌّ بالأَعلامِ الأَعجميةِ غيرِ المشتقة، وذاك البحثُ الكبير سيكونُ خاصّاً بالكلماتِ العربيةِ القرآنية المشتقة الكثيرة، راجياً من الله أن يتقبل عملي بقبولٍ حسن، وأَن يُجزلَ لي فيه الأَجرَ والثواب.

الجمعة ٢٤/ ٤/ ١٤٢٣هـ
٥/ ٧/ ٢٠٠٢م

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

(الأعجمي) في القرآن

وردتْ مادَّةُ (عجم) التي اشتُقَّتْ منها كلمةُ (الأعجمي) في القرآن، حيثُ ذُكرتْ هذه الكلمةُ أكثرَ من مرةٍ فيه.

فما هـو المعنى الأصليُّ الصحيحُ لمادة (عَجَم)؟ ومـا الفرقُ بين العَجَم والأَعْجَم؟ وما الفرقُ بين العَجَميّ والأَعْجَمي؟ وفي أيِّ سياقٍ وردَتْ كلمةُ (الأعجمي) في القرآن؟ وهل هي للإثبات أو للنفي؟.

سننظرُ في معنى مادةِ (عَجَم) واشتقاقاتِها في اللغةِ أَوَّلاً، ثم ننتقلُ للنظرِ في الآياتِ التي أَوردتْ كلمةَ (أَعجمي)، لنعرف معناها في القرآن، بعون الله.

(الأعجمي) في اللغة:

الجَذرُ الثلاثي لكلمةِ (أَعجمي) هو (عَجَم).

قال ابنُ فارس في مقاييس اللغة: «العينُ والجيمُ والميمُ ثلاثةُ أُصول: أَحدُها يدلُّ على سكوتٍ وصَمت. والآخر يدلُّ على صلابةٍ وشدَّة. والآخرُ على عَضٍّ ومَذاقة.

فالرجلُ الذي لا يُفصحُ: أَعجم، والمرأةُ التي لا تُفصحُ: عجماءُ بَيِّنَةُ العُجمة. ويقالُ للصبيِّ ما دامُ لا يتكلمُ ولا يُفصح: صبيٌّ أَعجم.

والعَجَم: الذين ليسـوا من العرب، وكأنَّ العربَ لَما لم يفهموا عنهم سَمّوهم عَجَماً.

ويُقال: الأَعجميُّ الذي لا يُفصح، وإنْ كان نازلاً بالبادية. وهذا عندنا غَلَط! ومـا نعلمُ أَحداً سمّى أَحداً من سكانِ البادية أعجمياً، كما لا يُسمونـه عَجَمياً. ولعلَّ صاحبَ هذا القولِ أَرادَ الأَعجم فقال: الأَعجمي.

والعَجماءُ: البهيمة؛ سُميتْ عَجْماء لأنها لا تتكلم. وكذلك كلُّ مَنْ لم

يَقْدِرْ على الكلامِ فهو أَعْجَم ومُسْتَعْجَم. . . »[1].

العُجْمةُ عندَ ابن فارس عدمُ الإفصاح والبيان. والعَجَمُ عندَه مقابلَ العرب، والأعجمُ والأعجميُّ بمعنى واحد. وهو الذي لا يُفصحُ في كلامه.

وقال الراغب: «العُجْمَةُ: خلافُ الإبانة. والإعجام: الإبهام. . . والعَجَم: خلافُ العَرَب. والعَجَميُّ منسوبٌ إلى العَجَم. . . والأعْجَم: مَنْ في لسانِه عُجْمة، عربياً كان أو غيرَ عربي، اعتباراً بقلّةِ فهمِهِم عن العَجَم. . . والأعجميُّ منسوبٌ إلى الأعجم.

وأعجمتُ الكلامَ ضدُّ أَعربْتُه، وأَعجمتُ الكتابةَ: أَزَلْتُ عجمَتَها.

وحروفُ المعجم هي الحروفُ المقطَّعةُ [أ، ب، ت، ث. . .]، ومعنى كونِها أَعجميةٌ: لأنها حروفٌ مقطَّعةٌ متجردةٌ، لا تدلُّ على ما تدلُّ عليه الحروفُ الموصولةُ، التي تتركبُ منها الكلمات»[2].

يتفقُ الراغبُ مع ابنِ فارس في أنَّ العُجمةَ خلافُ الإبانةِ والإفصاح، والعَجَمَ: هم غيرُ العرب، الذين لا يُفصحون عندما يتكلَّمون، والأعْجمُ: الذي في لسانِه عدمُ الإبانة، سواء كان عربيّاً أم عجمياً في النَّسَب.

ومعنى كلامِ الراغبِ أنَّ العجمةَ في اللسانِ والنطقِ والتعبير، وليستْ جنساً أو نَسَباً أو قوماً، وأُطلقتْ على غيرِ العربِ لأنهم لا يُفصحونَ بالعربيةِ عندما يتكلَّمون.

ولا يخرجُ ما قالَه السمينُ الحلبيُّ عن ما قالَه الراغب، لأنَّ كتابَه (عمدةَ الحفاظ) هو صورةٌ موسَّعةٌ لمفرداتِ الراغب، وقد يُضيفُ السمينُ بعضَ الشواهدِ والأمثلةِ والفوائد. وما أَضافَه قولُه: «. . . والأعجميُّ منسوبٌ إلى العَجَم، فصيحاً كان أو غيرَ فصيح. . . والعَجَمُ: الجيلُ المعروف، مقابلَ العرب، من أيِّ جنسٍ كان، وغَلَبَ في العرفِ على أَبناءِ فارس»[3].

---

(١) مقاييس اللغة، ص٧٤٢ باختصار.

(٢) المفردات، ص٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٣) عمدة الحفاظ: ٣/ ٤٣ ـ ٤٤.

ولخَّصَ الفيروزآبادي الفرقَ بين العَجَمي والأَعْجَمي، فقال: «الأَعْجَمُ والأَعْجَمِيُّ: مَنْ لا يُفصح، عربيّاً كان أو غير عربي... والعَجَمِيُّ: مَنْ جِنْسُه العَجَمُ، وإنْ أفصح. وأَعجمَ الكلام: ذهبَ به إلى العُجمة، فصار غير واضح... وأَعجمَ الكتاب: نَقَطَه وأَبانَه وأَزالَ عجمتَه»[1].

ونُضيف إلى ما مضى هذه المعاني والاستعمالات للكلمةِ من لسانِ العرب: «العُجْمُ والعَجَمُ: خلافُ العُرْبِ والعَرَبِ. يَعتقبُ هذان المثالان كثيراً، فيقال: عَجَمِي. وجمعُه عَجَم، وخلافُه: عَرَبي وجمعُهُ عَرَب. ورجلٌ أَعْجَم، وقومٌ أَعجَم. مثل اليهودِ والمجوس، جمع اليهوديّ والمجوسي.

قال أبو إسحاق: الأعجمُ: الذي لا يُفصحُ ولا يُبيِّنُ كلامَه، وإنْ كان عربيَّ النّسَب، كزياد الأعجم، وكذلك الأعجمي... أما العَجَمِيُّ فهو الذي مِنْ جنسِ العَجَم، أَفصحَ أمْ لم يُفصح... ورجلٌ أعجمي: إذا كان في لسانِه عُجْمة، وإنْ أفصحَ بالعَجَمِيّة... وكلامٌ أَعْجَمِي: بَيِّنُ العُجْمَة... ويُنسبُ إلى الأعجم الذي في لسانه عُجْمة، فيقال: لسانٌ أَعجمي، وكتابٌ أَعجمي، ولا يُقال: رجلٌ أَعجمي، فتنسبُ الرجلَ إلى نفسه.

ويقال: أَفصحَ الأعجميُّ: أيْ تكلمَ بالعربية بعد أن كان أَعجمياً، والرجلُ العَجَمِيّ: إذا كان من العجم، فصيحاً كانَ أو غيرَ فصيح»[2].

والخلاصةُ: هي أنَّ (العَجَم) وصفٌ يُطلقُ على كلِّ الأجناسِ من غيرِ العرب، سواء كانوا فُرْساً أو روماً أو غيرهم. ووصِفوا بذلك لأنهم لا يُفصحون ولا يُفَهِّمون ولا يُبَيِّنون كلامَهم باللغةِ العربية، مع أنهم قد يكونون فصحاءَ في لغاتِهم، لكن المعتبر هو الكلامُ العربيُّ الفصيحُ المبين، فإنْ تعلَّمَ الرجلُ العجميُّ اللغةَ العربيةَ وأتقنها يبقى عَجَمياً من حيث النَّسَب، لكنَّه يكون عربيَّ اللغةِ واللسان!.

أما العُجْمَةُ فإنها في اللسان، وهي تقومُ على عدمِ الإفصاحِ والبيانِ باللغة

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٤/ ٢٥.

(٢) لسان العرب: ١٢/ ٣٨٥ـ٣٨٧ باختصار.

العربية، ويوصَفُ بها كلُّ إنسان لا يُفصحُ ولا يُبينُ عندما يتكلم، سواءٌ كانَ عربياً أم عَجَمياً، فيقال: هذا إنسانٌ أَعجميُّ اللسانِ والكلامِ، مع أنه قد يكونُ عربيَّ النَّسب والأَصل.

فالأعجميّ وصفٌ يطلقُ على اللسانِ والكلامِ والتعبير، ولا يُطلق على الإنسان، فقد يكونُ الرجلُ عربياً في النَّسب لكنه أَعجميٌّ في التعبير! وقد يكونُ الرجلُ عجمياً في النسب، لكنه ليس أَعجمياً، وإنما هو عربيٌّ في التعبير!!.

(الأعجمي) في القرآن:

لم يرد من مادة (عَجَم) في القرآن إلا كلمةُ (أَعجمي)، وقد وردتْ ثلاثَ مراتٍ في صيغةِ المفرد، ومرةً في صيغةِ الجمع. ولننظر في سياقِ الآيات التي أوردت تلك الكلمة:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

تردُّ الآيةُ على المشركين الذين زعموا أَنَّ رسول الله ﷺ تلقى القرآن من رجلٍ غير عربي، فغيرُ العربي هو الذي أَلّفَ القرآن، وعلّمه للنبي ﷺ. وتَدعوهم الآية إلى أن يُفكِّروا بعقولهم: الرجلُ الذي نَسبوا له القرآن لسانُه أَعجمي، والقرآنُ بلسانٍ عربيٍّ معجزٍ فصيح، مُبينٍ واضح، فكيف يقولون بذلك؟! كيف يقدرُ ذو اللسانِ الأعجميِّ الذي لا يعرفُ من اللغة العربية إلا بعض الكلماتِ، على تأليف كلامٍ عربيٍّ فصيحٍ فوقَ مستواهم؟.

والرجلُ ذو اللسانِ الأعجمي الذي نسبوا له تأليف القرآنِ؛ عبدٌ روميٌّ كان يعملُ في مكة، واختلفوا في اسمه، فقيل: اسمه جَبْر.

روى الطبري عن ابن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ يجلس عند المروة إلى غلامٍ نصرانيّ، يقال له: جَبر، عبدٌ لبني بَياضَةَ الحَضْرَميّ فكانوا يقولون: والله ما يُعَلِّمُ محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جَبْرٌ النصرانيُّ غلامُ الحضرمي. فأنزل الله قوله تعالى في الردِّ عليهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقيل: كان اسم الرجل بلعام، وقيلَ: كان اسمُه يسار، وقيل غير ذلك[1].

لقد جعلت الآية (الأعجمية) صفةً للسانِ الرجل: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

الرجلُ عَجَميُّ النَّسب، لأنه روميٌّ وليسَ عربياً، وبما أنه عجميٌّ فقد كان لسانُه أَعجمياً، لا يُفصحُ ولا يُبين، فكيف ينطقُ بلسانٍ عربيٍّ مبين؟!.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٨ـ ١٩٩].

(الأعجمين): جمعُ مذكَّر سالم مجرور، وعلامةُ جَرِّه الياء، وهو مضافٌ إليه. يخبر الله أنه لو نَـزَّل القرآنَ على شخصٍ من (الأعجمين)، وجاءَ هذا الشخص، وتلا القرآنَ على مشركي العرب، فإنهم لن يؤمنوا به، وقد نَـزَّلَ الله القرآن على ابنِهم العربيِّ محمد ﷺ وقرأه عليهم، فما آمنوا به، فالكفار معاندون، لا يؤمنون بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، سواءٌ قرأه عليهم عربيٌّ مثلُهم، أو شخصٌ من الأعجمين.

وهذه الآية في سياقِ إثبات أنَّ القرآن كلام الله، وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، وقد صرَّحَتْ آياتٌ قبلَها بذلك؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ـ ٢٠١].

واختلفوا في (الأعجمين) المذكورة في الآية: فقال بعضهم: هي جمعُ (الأعجميّ)، ولكن هذا الجمعَ مخفَّف، لأنَّ الأصلَ أن يكون بالياء المشدَّدة: الأعجميّ، الأعجميّون. مثل: الأشعريّ، جمعُه: الأشعريّون. بالياء المشدَّدة.

والأعجميّ هو الذي في لسانه عُجْمة، تمنعُه من الإفصاحِ والإبانة.

وقال آخرون: (الأعجمين) جمعُ (أَعجم) بدون ياء النِّسبة. والأعجمُ هو

(١) انظر تفسير الطبري: ١٤/ ٢١١ـ ٢١٤.

الذي لا يَفصحُ في كلامه، سواءٌ كان من العَجَم أم من العرب.

والقولان متقاربان، لأنَّ (الأعجميَّ) قريبٌ من (الأعْجَم)، أُدخلتْ عليه الياء لزيادة التوكيد.

قال الزمخشري: «الأعْجَمُ: الذي لا يُفصح، وفي لسانه عُجْمةٌ واستعجام. والأعجميُّ مثلُه، إلا أنَّ فيه زيادة ياء النِّسبة لزيادة التوكيد، ولما كان من يتكلم بلسانٍ غير لسانِهم لا يَفقهون كلامَه، قالوا له: أَعْجَم وأَعْجَمي.

شبَّهوه بمنِ لا يُفصحُ ولا يُبين... وقالوا لكل ذي صوتٍ من البهائم والطيور وغيرها: أَعْجَم»[1].

والراجحُ أنَّ (الأعجمين) جمعُ (أَعْجَم)، وهو الذي في لسانِه عُجْمَة، تمنَعُه من الإفصاحِ والبيانِ في كلامه، وهذا الأعْجَمُ - أو الأعجميّ - قد يكون عربياً من حيث النَّسَب، وقد يكونُ عَجَمياً من الفرسِ أو الروم أو غيرهم.

فلو نَـزَّلَ اللهُ هذا القرآنَ على عَجَمِيٍّ أَعَجم لا يُحسنُ الكلامَ في العربية، أو نزَّلَه على عربيٍّ أعجم، عنده عُجْمَةٌ في لسانِه تمنعُه من الإفصاح، لما آمنوا به، علماً أنَّ الله أنزله على عربيٍّ فصيحٍ ﷺ، ومع ذلك ما آمنوا به.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤].

تردُّ الآية على شبهاتِ الكفار حول القرآن، ووصف الله القرآن في آية قبلها بأنه كتابٌ عزيز؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وهذا الكلامُ عن القرآنِ مرتبطٌ بكلام الآياتِ الأُولى من السورة عن القرآن؛ قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١ - ٣].

---

(١) الكشاف: ٣/ ٣٣٦.

لقد وصفَ اللهُ القرآنَ بأنّه قرآنٌ عربيٌّ مبين، فُصِّلَتْ آياته ووُضِّحت وبُيِّنت، فأصبحت واضحةً بينةً مفهومة، وأنزلَه الله على أفصحِ العرب ﷺ، وقرأه عليه الصلاة والسلام على المشركين، لكنّهم كفروا به وكذّبوه، من باب العناد والاستكبار، مع أنهم فهموا هذا القرآن المفصَّل المبين.

وشهدَ الله للقرآن بأنه كتابٌ عزيز، تنزيلٌ من الله الحكيم الحميد، ولذلك كان كلُّه حقاً، لا يتطرقُ إليه الباطل، لا من بين يديه ولا من خلفِه.

وقدَّمت الآية دليلاً آخرَ على عنادِ الكفارِ واستكبارِهم، وهذا الدليلُ نظريٌّ افتراضي، فلو جعل الله القرآن قرآناً أَعجمياً، وأنزلَه بلغةٍ أعجميةٍ غير عربية، كالفارسية أو اليونانية، وأَنزلَه على أفصحِ العرب محمد ﷺ، وقرأهُ النبيُّ العربيُّ الفصيحُ ﷺ على العربِ الفصحاء، باللغةِ الأعجمية، فسوفَ يعترضون على ذلك، ويقولون: كيفَ يَنزلُ القرآنُ الأعجميُّ على رسولِ عربيٍّ، يُخاطب به قوماً عرباً؟! وهم لا يَفهمون من هذه اللغة الأعجمية شيئاً؟ وهَلاَّ فُصِّلَتْ آياتُه ووُضِّحَتْ وبُيِّنَت، وهي لن تُفَصَّلَ إلا إذا كانت بلسانٍ عربيٍّ مبين.

وكأنَّ الآيةَ تريدُ أنْ تقولَ لهم: لو كانَ القرآنُ أَعجمياً لطلبتُم أنْ يكون عربياً مفصّلاً واضحاً، وقد أَنزلْناه عربياً مفصَّلاً واضحاً، فلماذا لم تُؤمِنوا به؟! إنه لا يمنعُكُم من الإيمان إلا العنادُ والاستكبار.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]: «المعنى: لو جعلنا هذا القرآن أعجمياً لقال قومُك من قريش: يا محمد! هلاّ بُيِّنَتْ أدلَّتُه وآياتُه، فنفقَهه ونعلم ما هو وما فيه، ولقالوا منكرين: أَأَعجميٌّ هذا القرآن ولسانُ الذي أُنزلَ إليه عربي؟.

وقال سعيد بن جبير: ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾: لو كان القرآنُ أعجمياً لقالوا: القرآنُ أَعجمي. ومحمدٌ عربيّ!.

وقالَ السُّدّي: لقالوا: هلاّ بُيِّنَتْ آياتُه؛ أَأَعجمي وعربي، ونحنُ قومٌ عرب ما لَنا وللعُجْمَة»[1]؟!.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

و﴿لَوْ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: حرف شَرط. وجملة ﴿جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: فعل الشرط، وجملة: ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: جواب الشرط.

ومعلومٌ أن ﴿لو﴾ حرف امتناع. أي: أن الله لم ينزل القرآنَ أعجمياً، ولذلك لم يقل الكفارُ لو فُصِّلَتْ آياتُه!.

و﴿لولا﴾ في الآية ليستْ حرفَ شرط، لأنها دخلت على جملةٍ فعلية، فهي حرفُ حَثٍّ بمعنى (هَلاَّ). أي: هلاَّ كانت آياتُ هذا القرآن الأعجمي مفصَّلَةً مبيَّنَةً.

وفي قوله: ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هَمْزتان: الهمزة الأولى للاستفهام، والهمزة الثانية: همزة كلمة (أَعجمي). والاستفهامُ إنكاري.

و(أَعجمي) خبرٌ لمبتدأ محذوف، تقديرُه: ألقرآن أَعجمي...؟ و(عربيٌّ) خبر لمبتدأ محذوف؛ تقديرُه: والرسولُ عربي. فيكون معنى الإنكار: كيف يكونُ القرآنُ بلغةٍ أَعجمية، والرسولُ يتكلمُ بلغةٍ عربية؟ وهلاّ كان التوافقُ بين لغة القرآن ولسانِ الرسول، وهلاّ كان القرآن عربياً مفصّلاً لأنَّ الرسولَ عربي!.

وخلاصةُ الكلامِ عن (الأعجمي) في القرآن: أنها وردَتْ أربعَ مراتٍ في ثلاثِ سور مكية.

- في سـورةِ النحل جاءَتْ وصفاً للسانِ رجلٍ عَجَميٍّ روميٍّ في مكة، لا يمكن أن يتكلَّمَ بلسانٍ عربيٍّ مبين.

- وفي سورة الشعراء جاءت وصفاً لأعاجم غير عرب، وفي سياق النفي، فلو أنزل الله قرآناً عربياً فصيحاً على رجلٍ أعجمٍ غير عربي، وقرأه على العرب، لما آمنوا به؛ لأنهم سيستغربون أنْ يتكلم رجلٌ أعجمٌ، لسانُه أعجمي، بقرآنٍ عربي.

- وفي سورةِ فصلت جاءت الكلمة وصفاً لقرآنٍ لم يَنزل في عالَم الواقع، فلو أنزل الله قرآناً أَعجميَّ اللغةِ واللسانِ، على عربيٍّ فصيح البيان، لاعترض الكفَّارُ وقالوا: كيفَ يكونُ قرآن أعجميٌّ غير مفصَّل، والرسولُ الذي يبلِّغه عربيٌّ فصيحُ اللسان؟!.

أي: أنَّ (الأعجمية) المذكورة في القرآن أَعجميةُ لسان، وأَعجميةُ لغـةٍ وبيان، وأعجميةُ شخصٍ وإنسان، وكلّها في سياقِ تنزيهِ القرآنِ عن الأَعجمية، وتقريرِ عربيتِه في لغتِه وبيانِه وتعبيره!.

* * *

(العربي) في القرآن

وردت مادةُ (عَرَب) في القرآن، وجاءت كلمة (عربيّ) وصفاً للقرآنِ وبيانِه، ونقفُ مع معنى هذه المادةِ في اللغة، ثم نحلل الآيات التي أوردتها.

(العربي) في اللغة:

قال ابن فارس: «العينُ والراء والباء أصولٌ ثلاثة، أحدها: الإبانة والإفصاح، والآخر: النشاطُ وطيبُ النفس. والثالث: فسادٌ في جسمٍ أو عُضْو.

فالأول قولهم: أَعْرَبَ الرجلُ عن نفسه: إذا بيَّنَ وأَوضح... وإعرابُ الكلام من هذا القياس، لأنه بالإعرابِ يُفرَّقُ بين المعاني في الفاعل والمفعول والنفي والتعجب والاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم.

وسُمِّي العَرَبُ عَرَباً من هذا القياس، لأن لسانها أعربُ الألْسِنة، وبيانها أجودُ البيان... وأعربَ الرجل: إذا أفصح القول...»[1].

تقوم مادة (العَرَب) على الإفصاح والبيان، وسُميت اللغةُ العربية بهذا الاسم لأنها لغةٌ فصيحةٌ بليغة. وسمي العرب بهذا الاسم لأنَّهم يُفصحون عندما يتكلَّمون عمَّا في صدورهم، ويَفهمُ عليهم السامعُ ما يريدون.

وقال الراغبُ الأصفهاني: «العَرَبُ: ولد إسماعيل عليه السلام... والعَرَبيُّ: المفْصِح. والإعرابُ: البيان. يقال: أعربَ عن ما في نفسه. وفي الحديث: «الثيِّبُ تُعربُ عن نفسها»، أي: تُبيِّنُ. وإعرابُ الكلام: إيضاحُ فصاحته، وخُصَّ الإعرابُ في تعارُفِ النحويّين بالحركاتِ والسكناتِ المتعاقبةِ على أواخرِ الكلمات.

والعَربي: الفصيح البيِّنُ من الكلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

---

(١) مقاييس اللغة، ص٧٦٦ ـ ٧٦٧.

وامرأةٌ عَروبَةٌ: مُعْرِبَةٌ بحالِها عن عِفَّتِها ومحبةِ زوجِها، وجمعُها عُرُبٌ. قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧].

والعربيُّ إذا نُسِبَ إليه قيل: عربي، فيكونُ لفظُه كلفظِ المنسوبِ إليه.

ويَعْرُبُ بنُ قحطان: قيل: هو أوّلُ من نقلَ السريانية إلى العربية، فسُمي باسم فعله»[1].

الإعرابُ عند الراغب هو الإفصاحُ والبيان. والعربيُّ: المفصح في بيانه.

والعربيُّ صفةٌ للواحِد من العَرَب، وصفةٌ للكلامِ الفصيحِ البيِّن.

وممّا ورد في لسانِ العرب عن هذه المادة: «العُرْبُ والعَرَبُ: جيلٌ من الناس معروف، خلاف العَجَم، والعَرَبُ العاربة: هم الخُلَّصُ منهم.

وعربيٌّ: بَيِّنُ العُروبة. ورجلٌ عربيٌّ: إذا كان نسبُه في العربِ ثابتاً، وإن لم يكنْ فصيحاً. ورجلٌ مُعْرِب: إذا كان فصيحاً، وإن كانَ عجميَّ النَّسَب. ورجلٌ أَعرابي: إذا كان بدوياً، والذي لا يُفرقُ بين العربِ والأعرابِ والعربيِّ والأعرابي ربما تحامَلَ على العرب.

والعربيَّةُ: هي هذه اللغة.

واختلفتِ الناسُ في العرب لِمَ سُمّوا عَرَباً؟ فقال بعضُهم: أوّلُ مَنْ أَنطقَ الله لسانَه بلغةِ العرب هو (يَعْرُبُ بن قَحْطان)، وهو أبو اليمن، وهم العربُ العاربة، ونشأَ إسماعيلُ بن إبراهيمَ عليهما السلام معهم، فتكلَّمَ بلسانِهم، فهم أولادُه، وهم العربُ المستعْرِبَة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: قريشٌ هم أوسطُ العَرَبِ في العَرَبِ داراً، وأَحْسَنُه جواراً، وأَعْرَبُه أَلسنة.

وقال قتادة: كانت قريشٌ تَجْتَني - أي: تختار - أفضلَ لغاتِ العَرَب، حتى صارَ أَفضلَ لغاتِها لغتُها، فنزلَ القرآنُ بها.

---

(١) المفردات، ص٥٥٦ - ٥٥٧ باختصار.

قال الأزهري: جعلَ اللهُ القرآنَ المنزَّل على النبيِّ ﷺ عربياً، لأنه نَسَبَهُ إلى العرب الذين أَنزلَه بلسانِهم، وهم النبيُّ والمهاجرون والأنصار الذين صبغةُ لسانهم لغةُ العرب.

ورجلٌ عربيُّ اللسان: إذا كان فصيحاً. والإعرابُ والتَّعريبُ معناهما واحد: هو الإبانَة. يقال: أَعْرَبَ عنه لسانُه وعَرَّبَ: أَبانَ وأفصح.

وتعريبُ الاسم الأعجمي: أَنْ تتَفَوَّهَ به العربُ على منهاجِها، تقول: عَرَّبَتْه العربُ وأَعْرَبَتْه»[1].

ونختم كلامَنا على هذه المادة بذكرِ بعضِ ما ورد عنها في (المعجم الوسيط) مما يتفق مع موضوعنا: «يقال: عَرُبَ لسانُه: إذا فَصُح. وأَعْرَبَ فلانٌ: إذا كان فصيحاً في العربية، ولو كان من غيرِ العرب.

وأَعربَ الاسم الأعجميَّ: إذا نطقَ به على منهاج العرب. والتَّعريبُ: صبغُ الكلمةِ بصبغةٍ عربية عند نقْلِها بلفظِها الأعجمي إلى اللغة العربية.

والعربُ: أُمَّةٌ من الناس، ساميةُ الأصل، كان منشؤُها شبه جزيرةِ العرب.

والنَّسَبُ إليه: عربيّ. يقال: لسانٌ عربيٌّ. ولغةٌ عربيَّةٌ»[2].

والخلاصةُ: أنَّ مادة (العرب) في اللغةِ تقومُ على الإفصاحِ والبيان، وهذا معناهُ: أنَّ اللغةَ العربية هي أفصحُ اللغات، وأوضحُها بلاغةً وبياناً. والعربيُّ هو الشخصُ من العرب، كما أنه هو الذي يُفصحُ في كلامه، ويُحسنُ الإعرابَ والبيانَ عما في نفسه. والعربيُّ أيضاً وصْفٌ للكلامِ الفصيح، والبيانِ البليغ، واللسانِ الرائعِ في تعبيره ولغته.

(العربي) في القرآن:

وردَ من مادَّةِ (عَرَب) في القرآن ثلاثُ كلمات:

الأولى: (عُرُباً): وردت مرةً واحدةً في سورة الواقعة، وصْفاً لأزواجِ

---

(١) لسان العرب: ١/ ٥٨٦ ـ ٥٩١ باختصار.

(٢) المعجم الوسيط، ص٥٩٠ ـ ٥٩١.

المؤمنين في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٨].

(عُرُباً) في الآيات: جَمْعُ (عَروب). والعَروبُ: هي المرأةُ العفيفة المتحبِّبَةُ لزوجِها، التي تُفصِحُ عن محبتها له، وتُحسنُ مغازلَتَه.

الثانية: الأعراب: وقد وردَتْ عشرَ مراتٍ في القرآن، في أربعِ سور هي: التوبة والأحزاب والفتح والحجرات، وهي سورٌ كلُّها مدنية.

والأعرابْ جمعُ (الأعرابيّ)، وهو الذي يَتَعَرَّبُ ويسكنُ البادية، وهم ـ في الغالب ـ جُفاةٌ قساةٌ غِلاظ، أَجلافٌ في المعاملة. قال الله عنهم: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾ [التوبة: ٩٧].

الثالثة: (عربيّ): وهو المنسوبُ إلى (عَرَب). وقد وردَتْ إحدى عشرةَ مرةً في القرآن: مرتين في حالةِ الرفع، وثمانيَ مراتٍ في حالة النصف، ومرةً في حالة الجر. وفيما يلي وقفةٌ سريعةٌ مع هذه الكلمة في القرآن.

اللافتُ للنظرِ أنَّ (العربيَّ) في القرآن جاء وصفاً للقرآن في عشر مرات من المرات الإحدى عشـرة. فالقرآنُ هو العربي، أنزلَه اللهُ بلسانٍ عربي، على رسولٍ عربي، وجعله حكماً عربياً!:

١ ـ قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ١ ـ ٢].

وصفَ اللهُ القرآنَ بأنَّه عربي، حيث أخبرَ اللهُ أنه أَنزلَه قرآناً عربياً في لغتِه وبيانِه وتعبيرِه، فصارَ كتاباً مُبيناً واضحاً فصيحاً. فالبيانُ فيه مبنيٌّ على عربيتِه، إذ لولاها لما كان كتاباً مُبيناً. ومِنْ حِكَم إنزالِه عربياً: أنْ يعقلَ العربُ المخاطبون به: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؛ فعندما يَفهمونَه ويَعونَه يُفكرون فيه، فيَخْرجون بنتيجةٍ قاطعةٍ أنه من عندِ الله.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾ [الرعد: ٣٧].

أخبرَ الله أنه أَنزلَ القرآن، ووصَفَه بأنَه حُكْم، وأنه عربيّ، ودعا النبيَّ ﷺ إلى الالتزامِ به، ونهاهُ عن اتّباعِ أهواءِ الكافرين.

و(حكماً) حالٌ من الهاء في (أنزلناه) التي تعود على القرآن. و(عربياً) حالٌ ثانٍ للقرآن.

والمرادُ بالحكم هنا: الحكمة، أيْ: أنَّ القرآنَ كتابُ حكمة. و(حكماً) في الحقيقة مضاف إليه لمضافٍ محذوف، تقديرُه: (ذو حكم)، أي: ذو حكمة، فحُذف المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه للمبالغةِ في مَدْحِ القرآن.

قال محمد الطاهر ابن عاشور: «(عربياً): حالٌ ثانية، وليس صفةً لكلمةِ (حكماً)، إذ الحكمةُ لا توصَفُ بالنسبة إلى الأُمم، وإنما المعنى أنه حكمةٌ معبَّرٌ عنها بالعربية.

والمقصودُ أنه بلغة العرب، التي هي أَفصحُ اللغاتِ وأَجملُها وأَسهلُها، وفي ذلك إِعجازُه.

فحصلَ لهذا الكتاب كمالان: كمالٌ من جهةِ معانيه ومقاصِده، وهو كونُه حكماً، وكمالٌ من جهةِ أَلفاظه، وهو المكنّى عنه بكونِه عربياً، وذلك مالم يبلغْ إليه كتابٌ قبلَه، لأنَّ الحكمةَ أشرفُ المعقولات فيناسبُ شرفَها أنْ يكونَ إبلاغُها بأَشرفِ لغة، وأَصلحِها للتعبير عن الحكمة.

ثم في كونه عربياً امتنانٌ على العرب المخاطَبين به ابتداءً بأنه بلغتِهم، وبأنَّ في ذلك حسْنَ سمعتِهم، ففيه تعريضٌ بأَفَنِ رأي الكافرين منهم، إذ لم يشكروا هذه النعمة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ...﴾ [الأنبياء: ١٠]»[١].

لقد أشار قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ إلى جانبين من جوانبِ فضلِ القرآنِ وعظمتِه:

الجانب الموضوعي: المتمثل في أحكام القرآن وحقائِقه وموضوعاتِه ومضامينِه، وهي أُمورٌ حكيمة، أَشارتْ له كلمةُ (حُكماً).

الجانب الأُسلوبي: المتمثل في صياغةِ القرآن وتعبيرِه، الذي هو وعاءٌ

---

(١) التحرير والتنوير: ١٣/ ١٦٠.

وقالبٌ للجانب الموضوعي، وتعبيرُ القرآنِ جاء باللغة العربية، التي هي أَفضلُ وأَسهلُ وأبلغُ وأَحكمُ اللغات، وبذلك كان القرآنُ معجزاً في أُسلوبه وبلاغتِه.

إنَّ شـرفَ الموضوعاتِ القرآنيـةِ الحكيمـةِ يناسـبُه أن تُبلَّغَ وتُقدَّمَ للناس بأَشرفِ اللغات، ولذلك وصفَ اللهُ القرآنَ بأنه (حكم عربي). والله أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقد تكلَّمْنـا عن هذه الآية عندَ حديثِنا عن (الأعجمي في القرآن)، ونشيرُ هنا إلى وصفِ الآية للقرآنِ بأنه لسـانٌ عربيٌّ مبين، وذلك في سياقِ إبطالِ اتهامِ المشركين للرسولِ ﷺ بتلقّي القرآنِ من عبدٍ رومي، فالعبدُ الروميُّ لسانُه أعجمي، والقرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبين، ولا يمكنُ لصاحبِ اللسان الأعجمي أن يقدِّمَ كلاماً مثلَ كلامِ القرآن!.

(هذا) في الآية اسمُ إشارة، والمشارُ إليه القرآن المفهومُ من قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾، والتقدير: هذا القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبين.

وهذا يؤكدُ الحقيقةَ القرآنيةَ المقرَّرَةَ في آياتٍ عديدة، وهي: أنَّ الله أنزلَ القرآنَ بلغةٍ عربية، وهذا يعني أنَّ كلَّ ما فيه فهو عربي!.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

أَخبرَ الله في هذه الآية أنه أنزل القرآن عربياً. وهذا تأكيدٌ للحقيقةِ القاطعة الدالة على عربيةِ لغةِ القرآن.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ٢٠٠].

وصفَ اللهُ القرآنَ بأنه نزَل بلسانٍ عربيٍّ مبين. أي: بلغةٍ عربيةٍ واضحةٍ بينةٍ فصيحة.

قررت الآياتُ أنَّ القرآنَ تنزيلٌ من الله ربِّ العالمين، أَمَرَ الروحَ الأمينَ جبريلَ عليه السلام أنْ ينزلَ به على قلبِ النبيِّ ﷺ، وأدى جبريلُ عليه السلام المهمة، وبَلَّغَ النبيَّ ﷺ القرآن بالحرف، كما تلقّاه من الله سبحانه، ووعى الرسولُ ﷺ ما بلّغه إيّاه جبريل، وتلقّاه منه بقلبِه وعقلِه ووعيِه وحواسّه، وهو في كاملِ الـوعي والانتبـاهِ والإدراك، ثم بلَّغـه الرسولُ ﷺ إلى الصحابة، كما تلقّاه من جبريل، فحفظوه ووَعوه، وبلّغوه كما تَلَقَّوه.

وأَنْذرَ رسولُ الله ﷺ المشركين بالقرآن، وأَسمعَهم آياتِه، فسمعُوها ووَعوها وفهِموا معناها؛ لأنَّ القرآنَ نَزل بلسانِهم العربي، ولغتِهم المبينة، ولو اختارَ اللهُ إنزالَ القرآنِ العربيِّ على بعضِ الأعاجم، وحفظَه دونَ أَنْ يفهمَ معناه، وقرأَهُ على المشركين العرب، ما آمنوا به لعنادهم؛ فهم لنْ يؤمنوا بالقرآن العربيِّ المبين، سواءٌ قرأَه عليهم رجلٌ عربيٌّ مبينٌ مثلُهم، أو قرأه عليهم أَحَدُ الأعجمين غيرُ المبين في لغته.

وقد تكلَّمنا عن هذه الآياتِ عند وقفتِنا أَمامَ كلمة (الأعجمي) فيها. والشاهدُ هنا الإخبارُ بأنَّ الله أنزلَ القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ على الرسولِ العربي المبينِ ﷺ. والمرادُ باللسانِ هو اللغة، لأنَّ اللسانَ هو الذي يترجمُ ما في النفسِ من معانٍ وأفكار، وينقلُها بحروفٍ وكلماتٍ، يسمعُها السامعون؛ فإن كانت اللغةُ المحكيةُ عربيةً كان اللسانُ عربياً، وإن كانت اللغةُ أَعجميةً كان اللسانُ أعجمياً!.

القرآنُ كلامٌ عربيٌّ مبين، والرسولُ ﷺ رجلٌ عربيٌّ مبين، وخرجَتْ كلماتُ القرآنِ من فمِه الشريفِ بلغةٍ عربيةٍ مبينة، ولذلك كان القرآنُ نازلاً بلسانٍ عربيٍّ مبين!.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ ـ ٢٨].

أخبـرَ اللهُ أنه ذكَـرَ أَمثالاً عديدةً للناس في القرآن، ليَعُوها ويتفكّروا فيها، ويُحسنوا فهمَهما وتذكُّرَها.

ثم وصفَ القرآنَ بأنه قرآنٌ عربيٌّ غيرُ ذي عِوَج.

(قرآناً): حالٌ منصوب. وصاحبُ الحالِ هو: (هذا القرآن). والتقدير جعلْنا هذا القرآنَ قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوَج.

(وعربياً): نعتٌ للحال. والمرادُ به عربيةُ لغةِ القرآنِ وأَلفاظِه وجُمَلِه.

(وغير ذي عوج): وصفٌ آخرَ للقرآن. والعِوَجُ ـ بكسر العين ـ هو اختلالُ المعاني، وخطأُ الأفكار والموضوعات.

لقد أثنتِ الآيةُ على القرآنِ في جانبيْن: جانب فصاحةِ لغتِه وبلاغةِ أَلفاظِه وروعةِ تعبيره. وذلك في قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

وجانب صحةِ معانيه وحقائِقه وموضوعاته، حيث نفتْ عنها العِوج: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾، وهذا أَبلغُ من وصْفِه بالاستقامة، فلم يقل: قرآناً عربياً مستقيماً. إنَّ قوله: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ ينفي تطرقَ جنسِ العِوَجِ إلى معاني القرآن وموضوعاته.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ١ ـ ٣].

القرآنُ مكوَّنٌ من الحروفِ العربية: حاء، ميم، ألف، لام. وغيرها. وهو تنزيلٌ من اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، نَـزَّلَهُ على قلبِ محمدٍ ﷺ، وجعلَ اللهُ هذا المنزَّلَ كتاباً آياتُه مفصَّلة، وقرآناً عربياً في لغتِه، ليعلَمَه الناس ويَفهموه.

ومعنى ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: وُضِّحَتْ آياتُه وبُيِّنت، ليس فيها لَبسٌ أَو غموض.

وآياتُ القرآنِ مفصَّلَةٌ مبيَّنةٌ، لأَنها نازلةٌ بلغةٍ عربيةٍ واضحة. قال محمدُ الطاهر ابن عاشور: «... ومن كمالِ تفصيلِ القرآنِ أنه كان بلغةٍ عربيّةٍ، كثيرةِ المعاني، واسعةِ الأفنان، فصيحةِ الأَلفاظ، فكانت سالمةً من التباسِ الدلالة، وانغلاقِ الأَلفاظ، مع وفرةِ المعاني غير المتنافيةِ في قلةِ التركيب.

فكانَ وصفُ القرآنِ بأنه عربيٌّ من مكمِّلاتِ الإخبارِ عنه بأنه فُصِّلَتْ آياته»[1].

و(قرآناً) في الآيةِ: حال، و(عربياً): صفةٌ له. أي: جعلَ الله هذا الكتابَ المنـزَّلَ مفصَّلَ الآياتِ، قرآناً عربياً في لغتِه وتعبيره.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٣١.

٨ ـ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ ﴾ [فصلت: ٤٤].

تحدَّثنا عن معنى هذه الآيةِ في المبحثِ السابق، الذي تحدَّثْنا فيه عن (الأعجمي في القرآن). وخلاصةُ معناها: أَنه لو جعلَ اللهُ هذا القرآنَ أَعجمياً، وأَنزلَه بلغةٍ أَعجمية، على الرسولِ العربيِّ المبينِ محمدٍ ﷺ، لاعترضَ المشركونَ عليه، وقالوا: هلاّ فُصِّلَتْ آياتُ القرآن، ونزلَ بلغةٍ عربيةٍ مُبينة، إذ لا يُعقلُ أنْ يكونَ القرآنُ أعجمياً، والنازلُ عليه عربي.

وحتى لا يَعترضَ الكفارُ هذا الاعتراضَ، لم يجعل اللهُ هذا القرآنَ أعجمياً، وإنما جعلَه قرآناً عربياً فُصِّلَت آياتُه.

لا بدَّ من النظرِ في الآيتيْن من سورةِ فصلت اللتين تحدَّثتا عن عربيةِ القرآن معاً. الآيةُ الثالثة: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾، والآيةُ الرابعة والأربعون: ﴿ لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ ﴾.

﴿عربياً﴾: في الآية الثالثةِ صفةٌ للقرآن، تُخبرُ عن عربيةِ لغتِه وبيانِه.

﴿وعربي﴾: في الآية الرابعة والأربعين معطوفة على ﴿أعجمي﴾، والمراد بها رسول الله ﷺ، والتقدير: القرآنُ أعجميٌّ والرسولُ عربيٌّ؟.

فكلمة ﴿عربي﴾ في هذه الآية ليستْ صفةً للقرآن، بل هي صفةٌ للرسول ﷺ. وهي أولُ مرةٍ تَرِدُ صفةً للرسول ﷺ، بينما كانت في المراتِ السابقة كلِّها صفةً للقرآن.

٩ ـ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ٧].

وصفَ اللهُ الوحيَ الذي أوحى به إلى الرسول ﷺ، بأَنه قرآنٌ عربيٌّ، لينذرَ به العربَ في المقامِ الأول، ثم ينذرَ به الأقوامَ والأُممَ الأخرى.

وجملةُ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا ﴾: معطوفةٌ على جملةِ: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الشورى: ٣].

والمعنى: كما أَوحى اللهُ إلى الرسلِ من قبلك كُتُباً بلسانِ أَقوامِهم، تتفقُ مع

لغاتهم، كذلك أَوحى إليك قرآناً عربياً بلسانِ قومِك، لتنذرَهم وتُذكِّرهم.

وفي هذا إشارةٌ إلى أنه لا فرقَ بين الموحى به للرسولِ الخاتمِ ﷺ، وبين الموحى به للرسلِ السابقين إلا اختلافَ اللغاتِ والألسنة، لأنَّ كلَّ ذلك الموحى به من عند الله.

ووُصِفَ القرآنُ بأنه عربيٌّ، ليحققَ إنذارَ أُمِّ القرى ومَنْ حولها من العرب. ومعنى ﴿قرآناً﴾: أي أنه كلامٌ مقروءٌ متلُوٌّ، ووصْفُه بأنه (عربي) تأكيدٌ على عربيتِه، والمعنى: إنا أَنزلنا عليك الوحي، كلاماً مقروءاً، بلسانٍ عربيٍّ مبين.

١٠ ـ قال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].

أَقسمَ اللهُ بالقرآنِ الكتابِ المبين على أنه جعله قرآناً عربياً ليعقلوه.

قال ابن عاشور: «وفي جعْلِ المقْسَم به القرآن بوصْفِ كونِه مبيناً، وجعْلِ جوابِ القَسَم أنَّ الله جعلَه مبيناً، تنويهٌ خاصٌّ بالقرآنِ، إذ جعلَ المقْسَمَ به هو المقْسَمَ عليه، وهذا ضربٌ عزيزٌ بديع، لأنه يومئ إلى أن المقْسَمَ عليه بلَغَ غايةَ الشرف، فإذا أرادَ المقسِمُ أنْ يُقْسِمَ على ثُبوتِ شرفٍ له لم يجدْ ما هو أَوْلى من القَسَم به!.

وضمير ﴿جعلناه﴾ عائدٌ على ﴿الكتاب المبين﴾: أي إنَّا جعلْنا الكتابَ المبينَ قرآناً عربياً.

وحَصَلَ بهذا الوصفِ أن الكتابَ المنزَّلَ على محمدٍ ﷺ جامعٌ لوصفَيْن: كونِه كتاباً، وكونِه مقروءاً على ألسنةِ الأُمة.

و﴿قرآناً﴾: حالٌ من الهاءِ في ﴿جعلناه﴾ العائدةِ على القرآنِ.

ومعنى جَعْلِه ﴿قرآناً عربياً﴾ تكوينُه على ما كُوِّنَتْ عليه لغةُ العرب، وأنَّ اللهَ بباهرِ حكمتِه جَعَلَ هذا الكتابَ قرآناً بلغةِ العرب، لأنها أَشرفُ اللغات، وأَوسعُها دلالةً على عديدِ المعاني، وأَنزلَه بين أهل تلك اللغة، لتتظاهرَ وسائلُ الدلالةِ والفهم...

والمقصودُ بوصفِ الكتابِ بأنه عربيٌّ غَرَضان: أَحَدُهما التنويهُ بالقرآن،

ومدحُه بأَنه منسوجٌ على منوالِ أَفصحِ لغة. والثاني: التَّورُّكُ على المعانِدين من العرب، حين لم يتأَثَّروا بمعانيه، بأنهم كمن يسمعُ كلاماً بلغةٍ غيرِ لُغتِه!»[1].

١١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

أَشارت الآيةُ إلى الكتابِ الذي أَنزلَه اللهُ على موسى عليه السلام، ووَصفَتْ كتابَ موسى بأَنه إمامٌ ورحمة، وأنَّه ﴿من قبلِ﴾ القرآن. فالهاءُ في ﴿قبله﴾ تعودُ على القرآن، ومعلومٌ أنَّ التوراةَ قبل القرآن.

والإشارةُ في ﴿هذا الكتاب﴾ للقرآن، أي: هذا القرآنُ كتابٌ من كتبِ الله، مثلُ كتابِ موسى عليه السلام. وهذا القرآنُ ﴿مُصَدِّقٌ﴾ للكتبِ السابقة، كالتوراةِ والزبورِ والإنجيل، وتصديقُه للجانبِ الذي لم يُحرِّفْه اليهودُ والنصارى منها، وتصديقُه لهذا الجانبِ غيرِ المحرَّف بإنزالِ آياتٍ قرآنية موافقةٍ له، شاهدةٍ بصدقِه، كالعقيدةِ والوحدانيةِ واليوم الآخر والبشارةِ بالرسولِ الخاتم ﷺ.

ووصفت الآيةُ الكتابَ المصدِّقَ بأَنه (لسان عربي) أي: أنه نَزَلَ بلغةٍ عربيةٍ فصيحةٍ مبينة.

وأُطلِقَ اللسانُ على اللغة، لأنَّ أَشرفَ ما يُستعملُ فيه اللِّسانُ هو الكلامُ والتعبير.

ويدلُّ قولُه: ﴿لساناً عربياً﴾ على أنَّ العربيةَ في القرآن عربيةُ لسانٍ وتعبير، وأَلفاظٍ وعبارات، وذلك لفضْلِ اللغةِ العربية على سائرِ اللغات، باعتبارِها أَفصحَ اللغات وأَبلغَها، وأَوضحَها دلالةً على المعاني. وأَنفذَها إلى قلوبِ المستمعين! وفَرْقٌ بينها وبين لغاتِ الكتبِ السابقةِ كالتوراةِ والزبور والإنجيل!.

وبعدَ هذه الجولةِ السريعةِ مع مراتِ ورودِ كلمةِ (عربي) في القرآن، في المراتِ الإحدى عشرة، نشيرُ إلى **الخلاصةِ التالية**:

جاءتْ كلمةُ (عربي) وصْفاً للقرآن في عشرِ مرات، وجاءَتْ وصفاً للرسولِ ﷺ مرةً واحدة، على القول الراجح.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥/١٥٩ـ١٦١.

وُصفَ القرآنُ بأنه حكمٌ عربيٌّ في آيةِ سورةِ الرعد. وبأنه لسانٌ عربي في سور: النحل والشعراء والأحقاف، وبأنه قرآنٌ عربيٌّ في سور: يوسف وطٰه والزمر وفصلت والشورى والزخرف.

فهو قرآنٌ عربيٌّ مبين، تضمنَ حكماً عربياً مبيناً، وجاءَ بلسان عربيٍّ مبين، ونزلَ على رسولٍ عربيٍّ مبينٍ ﷺ.

وعربيةُ القرآن عربيةُ لسانٍ وتعبير، وبيانٍ وكلام، ولغةٍ وأُسلوب، ومفرداتٍ وألفاظ، وجُملٍ وتراكيب!.

لقد جعلَ اللهُ الحكيمُ اللغـةَ العربيةَ وعاءً وقالَباً لكلامِه سبحانه وتعالى. وهذا لفضلِ اللغةِ العربيةِ على سائرِ اللغات، لأنها أكثرُها بياناً وفصاحةً وبلاغةً وفهماً، وقدرةً على حملِ المعاني والدلالات.

ونختمُ كلامَنا عن (العربي في القرآن) بالإشارة إلى الحقيقةِ الإيمانية، الدالةِ على رحمةِ الله بالناس.

فاللهُ كان يختارُ للناس نبياً رسولاً منهم، ليكونَ ذلك أدعى لاستجابتِهم له، وإيمانِهم به، وكان يرسلُ ذلك الرسولَ بلسانِ قومِه ليبيّنَ لهم، ويفهموا كلامه.

ووردَتْ هذه الحقيقةُ في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وإذا كان اللهُ قد أَرسلَ كلَّ رسـولٍ بلسانِ قومِـه ولغتِهم ليبينَ لهم، فـإنَّ الكتابَ الذي أنزله عليهم كان بلسانِهم ليُحسنوا فهمَه.

والرسولُ محمدٌ ﷺ عربيُّ النَّسَب واللسانِ واللغةِ والبيان، وقومُه عربُ النَّسَب واللسان، وكان قومُه أَفصحَ العرب، كما كان هو ﷺ أَفصحَ قومِه، فهو أَفصحُ الفصحاء، ولذلك أنزلَ الله عليه القرآنَ حكماً عربياًو ولساناً عربياً، فجاءَ قرآناً عربياً مبيناً.

* * *

بين عربية القرآن وأعجمية بعض الأعلام

خرجنا من المبحثِ السابقِ بحقيقةٍ قاطعة، هي أنَّ اللغةَ العربيةَ أَفضلُ اللغاتِ وأَشرفُها وأَفصحُها، ولذلك جعلَها اللهُ وعاءً لكتابه الأخير، فأَنزلَ القرآنَ الكريمَ بها، وجعلَه كتاباً معجزاً، وحَفِظَه من التغيير والتبديل.

وأَخبرَ اللهُ أَنه أنزلَ كتابَه قرآناً عربياً، بلسانٍ عربيٍّ مبين، على قلبِ الرسولِ العربيِّ المبين ﷺ.

ومعنى كونِ القرآن عربياً مبيناً أَنَّ كلَّ أَلفاظِه ومفرداتِه وكلماتِه عربية. إنَّ عربيةَ القرآن هي عربيةُ لغةٍ وتعبير، وألفاظٍ ومفردات.

هل كلُّ ما في القرآن عربي؟ أم فيه كلماتٌ غيرُ عربية بلغاتٍ أُخرى، كالفارسية والروميةِ والحبشية؟.

اختلفَ العلماءُ واللغويون في هذه المسألة، وناقَشَها معظمُ الذين كَتبوا في لغة القرآن.

ولَخَّصَ هذه المسألة السيوطيُّ في (الإتقان)، وذكر أشهر الأقوال فيها وهي:

١ ـ الأكثرونَ من العلماءِ على عدمِ وجودِ (المعرَّب) في القرآن؛ فكلُّ ما في القرآنِ عربي، لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤].

وممن قال بهذا القول: الإمامُ الشافعي، وابنُ جرير الطبري، وأَبو عبيدة معمرُ بن المثنى، والقاضي أبو بكر ابن الباقلاني، وابنُ فارس.

وقد شَدَّدَ الشافعيُّ النَّكيرَ على مَنْ زعمَ أنَّ في القرآنِ غيرَ عربي.

وقال أبو عبيدة: إنما أُنزلَ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مبين، فمنْ زَعَمَ أنَّ فيه غيرَ العربية فقد أَعظمَ القول.

وقال ابنُ فارس: لو كان فيه من لغةِ غيرِ العرب شيءٌ، لتوهَّمَ متوهِّم: أنَّ العربَ إنما عَجَزتْ عن الإتيانِ بمثْلِه لأنه أَتى بلغاتٍ لا يَعرفونَها.

وقال ابنُ جرير الطبري: ما وردَ عن ابنِ عباس وغيرِه، من تفسيرِ أَلفاظٍ من القرآنِ أَنها بالفارسيةِ أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك، إنما اتفقَ فيها تواردُ اللغات. فتكلمتْ بها العربُ والفرسُ والحبشةُ بلفظٍ واحد.

وقال آخرون: كانَ للعربِ الذين نزلَ القرآنُ بلغاتِهم بعضُ مخالطةٍ لسائرِ الألسنةِ في أَسفارِهم، فعَلَّقَتْ من لغاتِهم أَلفاظاً، غيَّرَتْ بعضَها بالنقصِ من حروفِها، واستعمَلتْها في أَشْعارِها ومحاوراتِها، حتى جرَتْ مجرى العربيِّ الفصيح.

أي: هذه الألفاظُ التي أَخذَها العربُ في قديم الزمان من اللغاتِ الأُخرى، عَرَّبوها وتصرَّفوا فيها، فصارتْ عربية وليستْ أَعجمية، وبها نزلَ القرآن.

وقال آخرون: كلُّ هذه الألفاظ عربيةٌ صرفة، ولكنَّ لغةَ العرب متسعةٌ جداً، ولا يَبعدُ أن تَخفى بعضُ كلماتِها على الأكابرِ من العلماء.

قال الشافعي: لا يُحيطُ باللغةِ إلا نبيّ.

وقال أبو المعالي (عُزَيْزي بن عبد الملك): إنما وُجدتْ هذه الألفاظُ في لغةِ العرب، لأنها أَوسعُ اللُّغات، وأَكثرُها أَلفاظاً.

٢ ـ وذهبَ بعضُ العلماءِ إلى وقوع (المعَرَّب) في القرآن، وقالوا بوجودِ كلماتٍ أَعجميةٍ فيه، وهي كلماتٌ قليلةٌ، بالفارسية أو الرومية أو الحبشية.

وأَجابوا عن قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، بأنَّ الكلماتِ الأعجميةِ اليسيرةِ في القرآن، لا تُخرجُه عن كونِه عربياً.

واستدلّوا على وجودِ الكلماتِ الأعجمية في القرآن، باتفاقِ النُّحاةِ على منْع بعضِ الأعلامِ القرآنية من الصرف، مثل (إبراهيم). فإذا وردَتْ (أعلامٌ) أَعجميةٌ في القرآن، فقد وردَتْ كلماتٌ أُخرى أُصولُها أَعجمية(١).

---

(١) انظر: الإتقان: ١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

ورجَّحَ السيوطيُّ القول الثاني، واعتبر ورود بعض الكلمات المعرّبة في القرآن لا يتعارض مع عربية القرآن.

وسردَ السيوطي الكلمات التي رَجَّحَ أَنها أَعجمية، مرتَّبةً على حروفِ المعجم، وزادتْ تلك الكلماتُ على مئةٍ وعشرين كلمة، فيها من أسماءِ الأعلامِ الأعجمية أَقلُّ من عشرةِ أسماء[1].

وختَمَ سَرْدَهُ لتلك الكلماتِ بقولِهِ: «فهذا ما وقَفْتُ عليه من الألفاظِ المعَرَّبة، بعدَ الفحصِ الشديد سنين، ولم تجتمعْ قبلُ في كتابٍ قبل هذا»[2].

وعند النظر في الكلماتِ التي اعتبرها السيوطيُّ معَرَّبة ذاتَ أُصولٍ أعجمية، فإنه يسهل إيجادُ أُصولِها وجذورِها العربية، وإرجاعُها إلى تلك الأُصولِ والجذور، أي: أَنه لا يسلمُ له منها إلا الأعلامُ الأعجمية التي أَوردَها.

في مسألةِ وجودِ المعَرَّبِ في القرآن قولان:

الأول: في القرآنِ كلماتٌ معَرَّبة أَصلُها غيرُ عربي، كالفارسيةِ والروميةِ والحبشية وغيرها، وهي عشراتُ الكلمات، وهذا لا يتعارضُ مع كونِ القرآنِ عربياً مُبيناً، لأَنَّ معظمَ كلماتِه عربيةُ الأُصولِ والجذور، ولا يَنفي عنه هذه الصفةَ وجودُ بعضِ الكلماتِ بلغاتٍ أُخرى. والسيوطيُّ على هذا الرأي، حيثُ سَجَّلَ أكثر من مئةِ كلمةٍ أَعجمية معَرَّبة في القرآنِ.

الثاني: ليس في القرآنِ كلماتٌ أَعجميةٌ معَرَّبة، فكلُّ ما فيه كلماتٌ عربيةُ الأُصول والجذور، لأَنَّ اللهَ جعلَه قرآناً عربياً، وأَنزله بلسانٍ عربيٍّ مبين.

وإذا وُجِدتْ بعضُ كلماتِ القرآن في لغاتٍ أُخرى كالفارسية والحبشية، فهذا لا يمنعُ كونَها عربية، ولا يدلُّ على أنَّ العربَ أَخذوها من تلك اللغةِ وعَرَّبوها. إنما تكونُ تلك الكلمةُ مشتركةً بين تلك اللغة وبين العربية، وذكْرُها في اللغتيْن من بابِ توارُدِ اللغاتِ.

---

(١) انظر: الإتقان: ١/ ٤٣١ـ٤٤٣.

(٢) الإتقان: ٢/ ٤٤٣.

وهذا هو الراجح، وعليه جمهورُ العلماءِ والمحققين، وفي مقدمتِهم الإمامُ الشافعي والإمام الطبري، وابنُ فارس والراغبُ الأصفهاني وغيرهم.

وعقدَ الإمامُ الطبريُّ في مقدمةِ تفسيرِه فصْلاً لهذا الموضوع، ولَخَّصْناه في تهذيبنا لتفسير الطبري، ونذكُر هنا ذلك التلخيصَ الذي يمثلُ خلاصةَ هذه المسألة:

«لا تعارضَ بين القولِ بأنَّ كلَّ ما في القرآن عربي، وبين القولِ بأنَّ فيه كلماتٍ لها معانٍ في لغاتٍ غيرِ عربية.

لأنَّ كونَها لها معانٍ في لغاتٍ غيرِ عربية، لا يَنفي أنْ تكونَ تلك الكلماتُ نفسُها لها معانٍ في اللغةِ العربيةِ أيضاً.

إن تلك الكلماتِ متفقةٌ بين اللغةِ العربية واللغاتِ الأُخرى في اللفظِ والمعنى، بحيثُ نطقَ بها العربُ في لغتهم، واستخدموها في الدلالة على معناها، وفي نفسِ الوقتِ نطقَ بها الآخرون في لغتهم، واستخْدَموها في الدلالةِ على نفسِ المعنى عندهم.

لا نقولُ ـ كما قال آخرون ـ إنَّ في القرآنِ كلماتٍ غيرَ عربية، فليسَ بعضُ القرآنِ فارسيّاً، وبعضُه نبطيّاً، وبعضُه روميّاً، وبعضُه حبشيّاً.

من الممكنِ أنْ توجدَ كلماتٌ مشتركةٌ بين عدةِ لغات، بحيثُ تتفقُ في النطقِ بها عدةُ أُمم، مثل: الدرهم، والدينار، والدواة، والقلم، والقرطاس.

إنَّ ما قيل عنه بأنَه غيرُ عربيّ في القرآن، وأَنه أَعجميٌّ مُعَرَّب، الصوابُ أنْ يُقالَ عنه: هو عربيٌّ أَعجمي، لأنه وردَ في اللسانين.

ولا مانعَ من أنْ يكونَ اللفظُ مشتركاً بين اللغتيْن، وأنْ يُقالَ عنه: إِنه عربيٌّ فارسي...

وخلاصةُ القولِ في هذه المسألة: إنَّ كلَّ ما في القرآنِ عربيٌّ أَصلاً، في اللفظِ والمعنى والاستعمال، فليسَ فيه فارسيٌّ مُعَرَّب، أو روميٌّ مُعَرَّب، أو حبشيٌّ مُعَربٌ! قد يكون فارسيّاً عربياً، أو روميّاً عربياً، أو حبشياً عربياً، المهمُّ أَنه عربيٌّ غيرُ مُعَرَّب.

إنَّ القولَ بوجودِ كلماتٍ غيرِ عربية في القرآن، يتعارضُ مع صريحِ القرآن، حيثُ أَخبـرَ اللهُ عن كتابِه بأَنه جعلَه قرآناً عربياً غيرَ ذي عوج، وأنه بلسـانٍ عربي مبين»[1].

الأعلام العربية والأعجمية في القرآن:

كـلُّ كلماتِ القرآن عربيـة، حتى تلك الكلماتِ التي زعم بعضُهم أنها أَعجمية، كما فعلَ السيوطيُّ في الإتقان، لا يصعبُ إيجادُ نَسَبِها العربي، وإِعادتُها إلى جذورِها وأُصولِها، سواء كانت ثلاثيةً أو رباعية.

أما (الأَعلامُ) فالكثيرُ المذكورُ في القرآن منها أَعجمي. والمرادُ بالأَعلام أَسماءُ الأَشخاص أو البلدان أَو المواقع والبقاع.

إنَّ الأَعلامَ المذكورةَ في القرآن نوعان:

الأول: أعلامٌ عربيةٌ:

وهي أسماءُ الأَشخاص والمواقع والبلدانِ العربية، فهناك أَشخاصٌ عرب، أَسماؤُهم عربية مشتقةٌ من أُصولها، وهناك أسماءُ بلدانٍ عربية مشتقةٌ من أُصولها.

من أَسـماءِ الأَشخاصِ العربيـةِ في القرآن أَسماءُ الأنبياءِ العرب: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ومن أسماءِ البلدان والمواقع العربية في القرآن: بكة، ومكة، ويثرب، وبدر، والمدينة، وحنين، وسبأ، وثمود، والأحقاف، والمؤتفكة، والأيكة، وعرفات، والصفا، والمروة، والمشعر الحرام.

ويمكنُ إعـادةُ هذه (الأعلام العربيـة) المذكورةِ في القرآن إلى أُصولِها وجذورها العربية، وملاحظةُ توفُّرِ المعنى الأَصلي الثلاثي فيها.

الثاني: أعلامٌ أعجميةٌ:

وهي أَسماءُ أشخاصٍ غيرِ عرب، عاشوا وسطَ أَقوامِهم من غير العرب،

---

(١) تفسير الطبري (تقريب وتهذيب): ١/ ٢٦ ـ ٢٩ باختصار.

سَمَّاهم أَقوامُهم بتلك الأسماء، وفقَ لغاتِهم غيرِ العربية. ولما ذكرَ القرآنُ تلكَ الأعلامِ الأعجمية أَوردَها بحروفٍ عربية، أي أنه عَرَّبَ تلك الأعلامَ الأعجمية، عندما ذَكَرَها بحروفٍ عربية.

من أسماءِ الأشخاصِ الأعجميةِ في القرآن: آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ومن أسماءِ البلدانِ والأماكنِ الأعجمية: بابل، ومصر، وسيناء، والطور، والجودي وغيرها.

والأصلُ في الأسماءِ الأعجمية أنْ تكونَ ممنوعةً من الصرف، للعلَميـةِ والعجمة، ولكنَّ بعض الأعلامِ الأعجمية لم تُمنعْ من الصرف، إمَّا لخِفَّتِها كأَنْ تكونَ ثلاثةَ أَحرفٍ ساكنةَ الوسَطِ، مثل: نوح، ولوط، وودّ، ونَسْر. وإمّا لإدخالِ (أل) التعريف عليها مثل: التوراة، والإنجيل، والزبور، والسامري، والروم.

الأعلام مشتركة بين اللغات:

اتفقَ العلماءُ على وجود (الأعلام الأعجمية في القرآن)، ولم يخالفْ في ذلك أحدٌ منهم، فلم يزعمْ أَحَدٌ منهم أنَّ إبراهيم - مثلاً - اسمٌ عربيٌّ مشتقّ.

ووجودُ تلك الأعلامِ الأعجميةِ لا يتعارضُ مع عربيةِ القرآن، لأنَّ هذه الأعلامَ مشـتركةٌ بين اللغات، فاسـمُ الشخصِ أو البَلَد أو المكان أُطلقَ عليه بحروفِ وصوتِ اللغةِ التي يَنطقُ بها أولئك القومُ من غيرِ العرب، ولم تكنْ تلك اللغة عربية، لأنَّ القومَ لم يكونوا عرباً. وعندما نطقَ العربُ باسمِ ذلك الشخصِ أو المكانِ عَرَّبوه، ولَفظوه بحروفٍ عربية، فصارَ ذلك العلمُ مُعَرَّباً. ولما أوردَ القرآنُ ذلك العَلَمَ أَوردهُ بحروفٍ عربية.

إنَّ ورودَ العَلَم الأعجمي بحروفٍ عربية في القرآنِ لا يَعني أَنه صار عربياً، لقد بقيَ أَعجمياً، لأنه مستعملٌ من قِبَلِ غيرِ العرب، اسماً لغيرِ العربي، ووروده في القرآنِ جَعَلَه مُعَرَّباً وليس عربياً!.

(نوحٌ) مثلاً اسمٌ أَعجمي، لأنه اسمٌ لرجلٍ غير عربي، سَمَّاه به قومُه من غيرِ العرب، وعاشَ وماتَ قبلَ وجودِ العرب، وكان قومُه يَلفظونه بحروفٍ في لغتِهم

غيرِ العربية، وعندما عَرَّبَه القرآنُ ذَكَرَه بحروفٍ عربيةٍ ثلاثة، هي النونُ والواوُ والحاء.

ومع أنَّ مادة (النَّوْحِ) بمعنى البكاء موجودةٌ في اللغة العربية، تقول: ناحَ، ينوحُ، نَوحاً، فهو نائح، بمعنى: بكى، يبكي، بُكاءً، فهو باكٍ، إلا أنه لا صلةَ بين هذه المادةِ العربية المشتقة، وبينَ (نوحٍ) الاسم الأعجمي.

إنَّ (الأعلامَ) مشتركةٌ بين اللغاتِ المختلفة، والفرقُ بينها هو في الحروفِ التي تُكتبُ ويُنطقُ بها، هذه الحروفُ تختلفُ من لغةٍ إلى أُخرى، والنطقُ بالعَلَم في لغةٍ أُخرى غيرِ لغتِه الأَصليةِ، لا يَعني أَنه أصيلٌ في تلك اللغة.

(الهندُ) مثلاً كلمةٌ غيرُ عربيـة، أُطلقتْ منذُ آلافِ السـنين على ذلك البلدِ الآسيويِّ المعروف، ونطقَ به أَهلُ تلك البلادِ بحروفِهم ولغتِهم، ولما وصلَ هذا الاسمُ إلى العرب عَرَّبوه بحروفٍ ثلاثة (هند)، ثم أدخلوا عليـه (أل التعريف) وقالوا: الهند. وتَلَفُّظُ العربِ به بالحروفِ العربيةِ لا يَعني أَنه صارَ عربياً مشتقاً. وبقي عَلَماً على ذلك البلدِ، مُعَرَّباً بحروفٍ عربية.

و(هرقل) مثلاً اسمٌ أَعجمي لملكِ الروم، الذي حاربَه الصحابة لما فتحوا بلادَ الشام، ونطقَ به الرومُ بحروفِهم اللاتينية، ولمّا عَـرَّبَه العربُ المسـلمون تلفَّظوا به بحروفٍ عربيةٍ أَربعة: الهاء، والراء، والقاف، واللام، وتعريبُه بهذه الأَحرفِ العربيةِ لا يَعني أَنه صار عربياً، لأنه ملفوظٌ بحروفٍ عربية، إنما يَعني أَنه مُعَرَّب. وبذلك صارَ (هرقل) مشترَكاً بين اللغةِ العربية واللغةِ الرومية، لأَنه اسمُ علمٍ أَعجميٍّ رومي.

و(فرنسا) مثلاً اسمٌ أَعجمي ـ أَجنبي ـ لتلكَ الدولةِ الأوروبيةِ المعروفة، سُميتْ به تلكَ الدولة، بالحروفِ الفرنسية التي يتكلمُ بها شعبُ تلك الدولة، ولما نطقَ العربُ باسم تلكَ الدولةِ عَرَّبوها، ولَفَظوها بخمسةِ حروفٍ عربية: الفاءُ والراءُ والنونُ والسينُ والألف. فهل نُطْقُ العربِ باسم (فرنسا) بحروفٍ عربية جعلَها كلمـةً عربيةً أَصلية؟ لقد بقيَتْ عَلَماً أَعجمياً على تلك الدولة، مُعَرَّبـاً بحروفٍ عربية.

ولنأخذْ مثالاً عكسياً، (أحمدُ) اسمُ علمٍ عربيّ، مشتقٌّ من الحمدِ، بصيغةِ

أَفعل التفضيل، وصارَ اسماً لشخص، وكثيرٌ من العرب يُسَمَّوْنَ به، فيقال: (أَحمدُ بن حنبل) مثلاً.

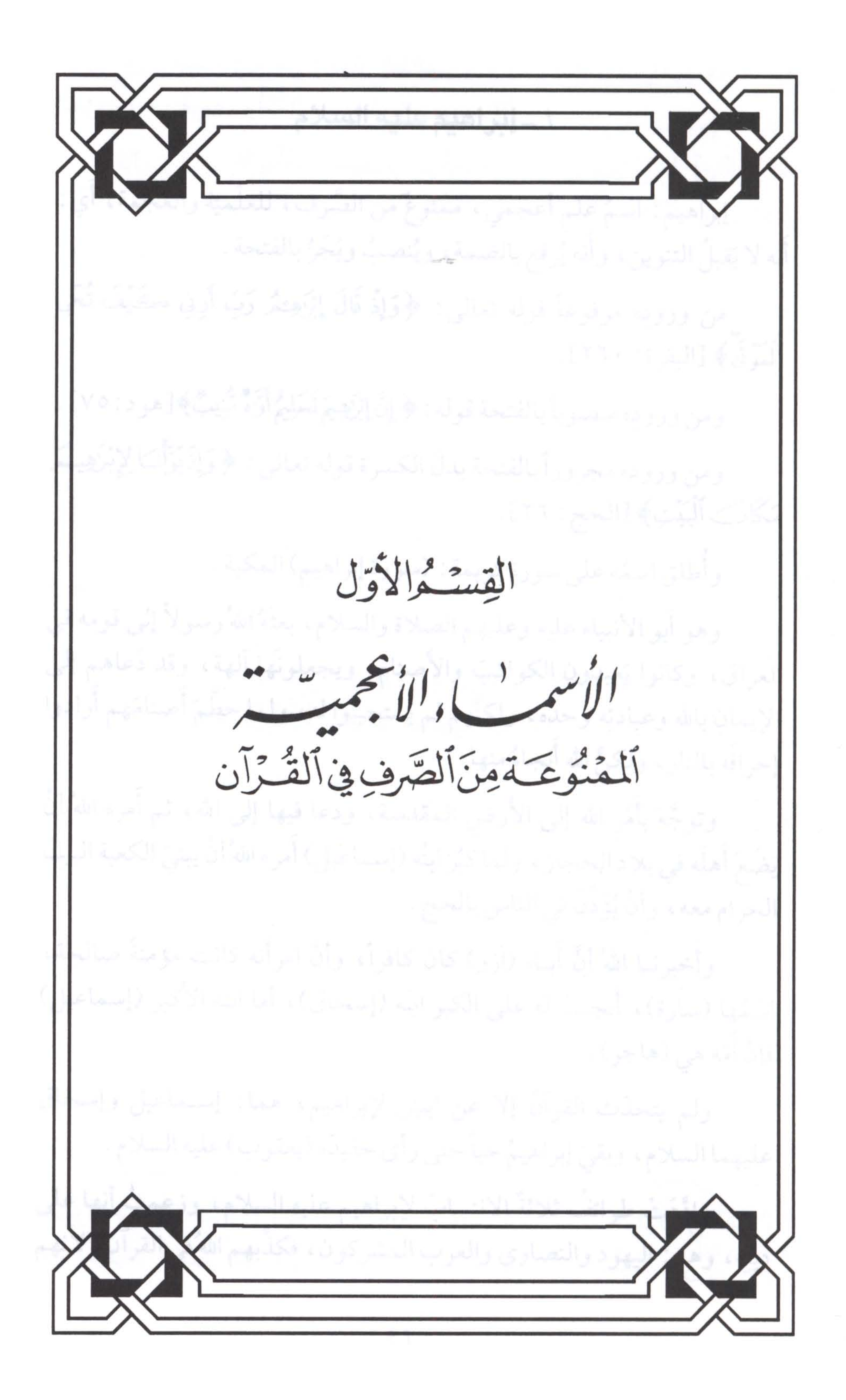
وإذا أرادَ الإنكليز النطقَ باسم (أحمد) وكتابتِه باللغةِ الإنكليزية، فإنهم يفعلون ذلك بحروفِ لغتِهم الإنكليزية اللاتينية، فهل كتابةُ (أحمد) بالحروف الإنكليزية، يحوِّلُه من اسمٍ عربيٍّ مشتق إلى (علم أَعجمي أجنبي)؟.

هذا معنى كلامنا: أَسماءُ الأَعلامِ مشتركةٌ بين اللغات؛ فالواحدُ منها أَصيلٌ في اللغةِ التي بدأَ إِطلاقُه على أَهلها. لكنه يُنقلُ إلى أَيةِ لغةٍ أُخرى، بحروفِ تلك اللغةِ الجديدة، فيكونُ منقولاً لها ومترجَماً إِليها، وليس أَصيلاً فيها.

فالأَعلامُ الأعجميةُ في القرآن، أَعلامٌ في اللغاتِ التي نطقَ بها الأَقوامُ الآخرون من غير العرب، ولما استعملها العربُ ترجَموها إلى اللغةِ العربية، وعَرَّبوها بحروفٍ عربية، وتعريبُهم لها بالحروفِ العربية لم يُلْغِ أَعجميتَها. ولما استخدمَها القرآنُ استخدمَها بحروفٍ عربيةٍ قرآنية، مع أنها في الأَصلِ بحروفِ لغاتِها المختلفة كالفارسية والحبشية والآرامية والعبرانية!.

لقد عَرَّبَها القرآنُ بحروفٍ عربية، وترجَمَها إلى اللغةِ العربية، ونقلَها إلى اللغةِ العربية، وهذا مجردُ تعريبٍ لفظيٍّ لها، لا يُلغي أَصلها الأَعجمي، وحروفَها الأعجمية ومعانيها الأعجمية. وورودُ الأَعلام الأَعجميةِ في القرآن لا يتعارضُ مع عربيةِ القرآن، الذي جعلَه اللهُ لساناً عربياً مبيناً، لأَنَّ الأَعلامَ مشتركةٌ بين اللغاتِ المختلفة... والله أعلم.

* * *



القِسمُ الأوَّل

الأسماء الأعجميّة

المَمنُوعَة مِنَ الصَّرفِ فِي القُرآن



١ ـ إبراهيم عليه السلام

إبراهيم: اسمُ علمٍ أعجمي، ممنوعٌ من الصَّرف، للعلَميَّة والعُجمة، أَي: أَنه لا يَقبلُ التنوين، وأَنه يُرفع بالضمة، ويُنصبُ ويُجرُّ بالفتحة.

من ورودِه مرفوعاً قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن ورودِه منصوباً بالفتحة قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

ومن وروده مجروراً بالفتحة بدلَ الكسرة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦].

وأُطلق اسمُه على سورةٍ كريمة: (سورة إبراهيم) المكية.

وهو أَبو الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام، بعثَهُ اللهُ رسولاً إلى قومه في العراق، وكانوا يَعبدون الكواكبَ والأَصنام، ويجعلونَها آلهة، وقد دَعاهم إلى الإيمانِ بالله وعبادتِه وحده، ولكنَّهم لم يَستجيبوا له، ولما حطَّمَ أَصنامَهم أَرادوا إحراقَه بالنار، ولكنَّ الله أَنجاهُ منها.

وتوجَّهَ بأَمْرِ الله إلى الأَرضِ المقدسة، ودعا فيها إلى الله، ثم أَمره اللهُ أنْ يَضَعَ أَهلَه في بلاد الحجاز، ولما كبُرَ ابنُه (إسماعيل) أَمره اللهُ أنْ يبنيَ الكعبة البيتَ الحرام معه، وأنْ يُؤَذِّنَ في الناس بالحج.

وأخبرنـا اللهُ أنَّ أَبـاه (آزر) كان كافراً، وأَنَّ امرأَته كانت مؤمنةً صالحة، اسْمُها (سارة)، أَنجبتْ له على الكبر ابنَه (إسحاق)، أما ابنه الأكبر (إسماعيل) فإنَّ أُمّه هي (هاجر).

ولـم يتحدّث القرآنُ إلا عن ابنيْن لإبراهيم، همـا: إسـماعيل وإسحاق عليهما السلام، وبقيَ إبراهيمُ حياً حتى رأى حفيدَه (يعقوب) عليه السلام.

وادَّعَتْ طوائفُ ثلاثةٌ الانتسابَ لإبراهيم عليه السلام، وزعمتْ أنها على دينِه، وهم: اليهود والنصارى والعرب المشركون، فكذَّبهم اللهُ في القرآن، لأنهم

كفار، وإبراهيم بريءٌ من الكفار الظالمين، وأَوْلى الناس بإبراهيمَ هم أَتباعُه المؤمنون من قومه، وأُمَّةُ الرسولِ الخاتمِ محمدٍ ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨].

ولذلك كانَ إبراهيمُ عليه السلام (أباً) للأُمة المسلمة، وهو الذي اختارَ لها اسْمَها، وسَمّى أفرادَها (المسلمين). قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨].

والكافرون الظالمون من ذريتِه لا يَنتسبون دينياً له، بل هو بريءٌ منهم، وينطبقُ هذا على الطوائفِ الثلاثةِ الكافرة: اليهودِ والنصارى والمشركين العرب، فاللهُ جعلَ إبـراهيمَ عليه الســلام إماماً، وأَخبره أَنَّ عهدَه لا يصلُ إلى الكافرين الظالمين من ذريتِه. قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وأَخبرَنا اللهُ أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام كان (أُمَّة) في إيمانِه ودعوتِه ومواقفِه وآثارِه. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وأَمَرَ اللهُ رسولَه محمداً ﷺ أَنْ يتبعَ ملةَ إبراهيمَ عليه السلام. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

وأَبقى اللهُ ذكْرَ إبراهيمَ عليه السلام الطيِّبَ الحسنَ في ذريتِه وعقبه إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومن مظاهر الصلةِ الوثيقةِ بين إبراهيمَ عليه السلام وبين المسلمين، أَنهم يُصَلُّون عليه في الصلاة، ويقرنون بينَه وبين محمدٍ ﷺ، حيث يقولون في الصلاةِ الإبراهيمية: «اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ

وعلى آل إبراهيم، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميدٌ مجيد».

وأَنزلَ اللهُ على إبراهيمَ عليه السلام صُحُفاً، ليهتديَ بها أَتْباعُه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

ووردَ اسمُ (إبراهيمَ) تسعاً وستين مرة في القرآن: في سورة البقرة خمسَ عشرة مرة، وفي سورةِ آل عمران إِحدى عشرةَ مرة، وفي سورةِ الأنعام أَربعَ مرات، وفي سورةِ التوبة ثلاثَ مرات، وفي سورةِ هود أَربَع مرات، وفي سورة يوسف مرتين، وفي سورة إبراهيم مرة، وفي سورة الحجر مرة، وفي سورة النحلِ مرتين، وفي سورةِ مريم ثلاث مرات، وفي سورة الأنبياء أَربعَ مرات، وفي سورةِ الحج ثلاث مرات، وفي سورة الشعراء مرة، وفي سورةِ العنكبوت مرتين، وفي سورة الأحزاب مرة، وفي سورة الصافات ثلاثَ مرات، ومرةً واحدةً في كلٍّ من سورِ: صّ والشورى والزخرف والذاريات والنجم والحديد والأعلى، ومرتيْن في سورة الممتحنة.

وبما أَنَّ (إبراهيم) اسمُ علمٍ أَعجمي، فهو ليس مشتقّاً ولا متصرِّفاً، ولا نبحثُ له عن معنى في اللغةِ العربية، ولا نذهبُ إلى أَسفارِ العهدِ القديم عند اليهود لنعرفَ منها معناه، ونتوقّفُ في ما قَدَّموه من بيانٍ لمعناه، وسببِ تسميتِه بهذا الاسم.

والأَصْلُ أَنْ لا نأخذَ رواياتِ اليهود والنصارى وأَخبارَهم عن إبراهيمَ عليه السلام، لأنهم ليسوا مأمونين في ما يقدِّمون من تلك الروايات، ولأن كتبَهم أَصابَها التحريفُ والتغييرُ والتبديل، ونحنُ مأمورون بالتوقُّفِ في ما عندهم من ذلك، فلا نصدِّقُه ونأْخُذُه لأنه قد يكون باطلاً، وهذا هو الغالبُ فيه، ولا نكذِّبُه لأنه قد يكون حقاً، وهذا هو النادرُ فيه، وَنكلُ العلمَ به إلى الله تعالى.

وندعو إلى رفْضِ ما يُطرحُ في هذا الزمان حولَ (أبناء إبراهيم) عليه السلام، بزعم أَنَّ أصحابَ الدياناتِ الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام هم أَبناءُ إبراهيم، وأَنهم كلَّهم موحّدون، وكلَّهم على حق، وكلَّهم مؤمنون في الجنة! وما أوردناهُ من آياتِ سورةِ آل عمران قبلَ قليلٍ كافٍ بردِّ هذه المزاعمِ والأكاذيب!.

* * *

٢ - إبليس

إبليس: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، فهو يُجَرُّ بالفتحةِ بدلَ الكسرة.

وهذا الاسم أُطلقَ على أَولِ كافر، وهو الذي أَمره الله أَنْ يسجدَ لآدم، فأَبى وكفرَ وتمرَّد، وقال: أَنا خيرٌ منه، خلقْتَني من نارٍ وخلقْتَه من طين.

ووردَ اسمُ (إبليس) إحدى عشرةَ مرةً في القرآن: مرةً واحدةً في كلٍّ من سور: البقرة والأعراف والإسراء والكهف وطه والشعراء وسبأ، ومرتيْن في كلٍّ من: سورة الحجر وسورة صٓ.

وذهبَ بعضُ العلماءِ والمفسرين إلى أنَّ اسمَ (إبليس) عربيٌّ مشتَقٌّ، وجَذْرُه الثلاثيّ (بَلَسَ). ولذلك ذكره محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله ضمن تصريفاتِ هذه المادة.

قال الراغبُ في المفردات: «الإبلاس: الحزْنُ المعترضُ من شدةِ اليأس، يقال: أَبْلَسَ. ومنه اشتُقَّ إِبليس، فيما قيل...»[1].

وعلى هذا الرأيِ ابنُ منظور صاحبُ لسانِ العرب، حيث قال: «أبلسَ الرجل: قُطِعَ به، وأَبْلَس: سكت. وأَبْلَسَ من رحمة الله، أي: يَئِس وندم. ومنه سُمي إبليس، وكان اسْمُه (عزازيل).

وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢].

وإِبليسُ لعنه الله مشتقٌّ منه، لأنه أُبْلِسَ من رحمةِ الله، أي: أُويسَ منها.

وقال أبو إسحاق: لم يصرف لأنه أعجمي معرفة»[2].

---

(١) المفردات، ص٤٣.

(٢) لسان العرب: ٦/ ٢٩.

ولَسْنا مع هؤلاء في اشتقاقِ إبليس من البَلْس أو الإبلاس، وإنما هو اسمُ علمٍ أعَجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعجمة، وعلى ذلك دليلان:

الأول: أنَّ (إبليس) مخلوقٌ قبل آدم أَبي البشر، وسُمي بهذا الاسم قبلَ أنْ يخلقَ الله آدم عليه السلام، وقبلَ أنْ يتكلمَ أَول عربيٍّ بكلمةٍ عربية بمئاتِ الآلاف من السنين.

الثاني: أن (إبليس) لم يأتِ في القرآنِ إلاّ ممنوعاً من الصرف، لأنه اسمُ علمٍ أعَجمي، ولو كان مشتقاً من الإبلاس ـ وهو اليأسُ الشديد ـ لكان مصروفاً.

علينا أن نفرقَ بين المادةِ العربية (بَلَسَ) التي بمعنى: يَئِسَ وتحيّر، وبين الاسم الأعجمي (إبليس).

وقد وردتْ من تلك المادة في القرآن صيغةُ الفعلِ المضارع الرباعي (يُبلس)، وصيغةُ اسم الفاعل المجموعِ جمعَ مذكّر سالم (مبلسون).

وإذا لم يكن (إبليس) مشتقّاً من الإبلاس، وهو اليأسُ من رحمةِ الله، فلا نبحثُ له عن معنى في اللغةِ العربية، لأنه اسمٌ أعجمي.

والغريبُ أنْ يزعمَ بعضُهم أنَّ لإبليسَ اسمين: اسمٌ قبلَ كفرِه وعصيانِه، هو (عزازيل)، كما نقلْنا قبلَ قليلٍ عن لسان العرب، واسمٌ بعد كفرِه هو (إبليس) لأنه يئسَ من رحمةِ الله!.

وهذا الزعمُ ليس عليه دليل، ولا يجوزُ أنْ نفسِّرَ كلامَ الله بما لا يصحُّ من الرواياتِ والأقوال.

لقد كانَ إبليسُ مخلوقاً قبلَ آدمَ عليه السلام، وكان مع الملائكةِ في الجنة، بدليل أنه شملَه الأمْرُ بالسجودِ لآدم، ولكنه عصى وأَبى واستكبر، ولما سأَله الله عن سببِ عدمِ سجودِه قال: أنا خيرٌ من آدم، خلَقْتَني من نار وخلَقْتَه من طين، وقد حكمَ اللهُ عليه باللعنِ والرجمِ والطردِ من الجنة، وبعدَ أنْ وسوسَ لآدمَ وحواء، وحملَهما على الأكلِ من الشجرة، أَهبطه اللهُ معهما إلى الأرض، فهو يعيش عليها.

وقد طلبَ إبليسُ من اللهِ أنْ يبقيَه حيّاً إلى يومِ البعث، وهو خبيثٌ ماكرٌ في

هذا الطلب، إنه يريد منه أن يحصلَ على الخلود، وأنْ لا يجري عليه الموت، لأنه إذا بقي حياً إلى يوم البعث فإنَّ معناه أنه لم يمت، لأنَّ اللهَ سيُميتُ الأحياءَ المخلوقين جميعاً، وسيبعثُهم بعد ذلك، وإبليسُ حيٌّ يَنظرُ إليهم عند موتِهم وبعثِهم.

وسنةُ اللهِ أنَّ كلَّ مخلوق لا بدَّ أنْ يموت، حتى الملائكة كلّهم سيموتون، ولذلك أَخبره اللهُ أنه سيبقى حياً إلى يوم الوقتِ المعلوم، وهو الوقتُ الذي قدَّرَه الله لإنهاءِ حياته، حيثُ سيميتُه عند مجيء ذلك الوقت؛ قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [الحجر: ٣٢-٣٨].

وهذا معناهُ: أنّ إبليسَ من أَطولِ المخلوقين عمراً، فقد كان موجوداً قبلَ أنْ يخلقَ اللهُ آدمَ عليه السلام، ولا نعلمُ المدةَ بين خلْقِه وبينَ خلق آدم، وسيبقى حياً حتى قرب قيامِ الساعة، وهذا معناهُ أن عمرَه ملايين السنين! ولا غرابةَ في ذلك، لأنَّ الأمرَ أَمْرُ الله، فهو الذي قَدَّرَ أنْ يعيشَ هذه المدةَ الطويلةَ البالغةَ ملايين السنين، وهو فعّالٌ لما يريدُ سبحانه وتعالى.

وإبليسُ من الجنِّ وليس من الملائكة، ولكنَّه كانَ معهم، فشملَه أَمر اللهِ لهم بالسجودِ لآدم، ولا نَدري سببَ كونِه مع الملائكة، ولا عملَه بينهم، لأنَّ الله لم يخبرْنا بذلك.

ولا يمكنُ أنْ يكونَ إبليسُ من الملائكة، لأنه لو كانَ منهم لما عصى الله، فهم لا يعصونَ الله ما أَمرهم، ويفعلون ما يُؤْمَرون.

ثم إنَّ الملائكةَ مخلوقون من النور، قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ الملائكةَ من نور، وخَلَقَ الجنَّ من نار، وخَلَقَ آدمَ مما وَصَفَ لكم».

وإبليسُ صَرَّحَ بأنَّ اللهَ خلقَه من نار: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢].

وصَرَّحَ القرآنُ بأنَّ إبليسَ كان من الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ

ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الكهف : ٥٠] .

ولا أدري لماذا يُصرُّ بعضُهم على أنَّ إبليس كان من الملائكة، مع هذا البيانِ القرآنيِّ الصريح في أنه كانَ من الجن؟! .

ووصفَ اللهُ إبليسَ بأنه شيطان، ووردَ هذا الوصفُ في آياتٍ عديدة، منها قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٣٦].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

والشيطانُ كلمةٌ عربيةٌ مشتقة، وجَذْرُها الثلاثي (شَطَنَ)، ومعناها: ابتعد. يقال: شَطَنَ فلان: إذا ابتعد.

ووُصفَ إبليسُ بأنه شيطان، لأنه ابتعدَ عن رحمةِ الله، وذهبَ بعيداً في معصيةِ الله. ولذلك أَخذَ الأمريْن: الاسمَ: إبليس. والوصفَ: شيطان.

وهذا الوصفُ (شيطان) ليس خاصاً بإبليس، وإنما هو عامٌّ يُطلقُ على كلِّ كافرٍ متمرد، سواء كانَ من الجنِّ أو من الإنس.

وقد وردتْ كلمةُ (شيطان) بصيغةِ المفرد سبعين مرة في القرآن، وبصيغةِ الجمع ثماني عشرة مرة.

وكلُّ الكافرين من الجنِّ والإنس شياطين، أَعضاءٌ في حزبِ الشيطان، الذي يقودُه إبليس قائدُ الشياطين إلى نار جهنم! قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

* * *

٣ ـ إدريس عليه السلام

إدريس: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، وهو اسمُ نبيٍّ كريمٍ صِدّيقٍ عليه السلام.

وقد وردَ في القرآن مرتيْن: في سورةِ مريم وفي سورة الأَنبياء.

وردَ في سورةِ الأنبياءِ مع نبيَّيْن آخريْن، في سياقِ الحديثِ عن بعض الأَنبياء والرسلِ عليهم الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥ ـ ٨٦].

و(إسماعيل): منصوبٌ بفعْل مقدَّر، تقديره: اذكر. و(إدريسَ): منصوبٌ لأَنه معطوفٌ عليه، أي: اذكُرْ إسماعيلَ وإدريسَ وذا الكفل.

وإِدريسُ موصوفٌ هنا بأنه كان من الصابرين، ومن الصالحين.

وورد في سورةِ مريم، في سياقِ الحديثِ عن بعضِ الأَنبياءِ والرسلِ عليهم الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ ـ ٥٧].

أَخبرَ اللهُ أَنَّ إدريسَ عليه السلام كان صِدّيقاً نبياً، وأَنه رفعه مكاناً عليّاً.

و(صِدّيق) مأخوذٌ من الصِّدْق، ومقامُ (الصّدّيقيّة) مقامٌ عظيمٌ للمقربين عند الله، وكلُّ الأَنبياء صِدّيقون، ووصفَ القرآنُ ثلاثةَ رسلٍ به، وهم: إبراهيمُ ويوسفُ وإِدريسُ عليهم الصلاة والسلام.

ولم يَذكر القرآنُ تفاصيلَ رفْع إدريسَ مكاناً علياً، واكتفى بذكْرِ جملةٍ مجملة، ونبقى مع القرآنِ في هذه الإشارة المجملَة، ولا نَذهبُ إلى الإسرائيليات لنأخذَ كيفيةَ وتفاصيلَ رفْعِه، لأَنه لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ بما لا يثبتُ من الرواياتِ والأَخبار.

واللافتُ للنظرِ في التعبيـرِ القرآني، أَنه أَخبرَ عن رفْعِ إدريسَ عليه السلام مكاناً عليّاً، وعن رفْعِ عيسى إلى الله، واختَلفَ التعبيرُ عن رفعِ كلٍّ منهما.

قال عن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. وقال عن رفعِ عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فنصَّ على رفع عيسى إلى الله، واستخدمَ حرفَ (إلى): ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾، وفي هذا إشارةٌ إلى رفْعِ عيسى عليه السلام بجسمه حياً إلى السماء.

ولكنه أَسقطَ (إلى) عند الإخبارِ عن إدريس عليه السلام، فقال: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ولم يقل: ورفعناه إلينا. ودلّ هذا على أنَّ رفْعَ إدريسَ ليس كرفعِ عيسى عليهما السلام.

ولما عُرِجَ برسولِ الله ﷺ إلى السماء قابلَ إدريسَ عليه السلام في السماءِ الرابعة، قال ﷺ: «أَتيتُ على إدريسَ في السماء الرابعة».

ولم يذكر القرآنُ زمنَ نبوةِ إدريسَ عليه السلام، ولا القومَ الذين أُرسلَ إليهم، ولا تفاصيلَ ما جرى بينه وبينهم، ومن ثم اختلفَ المفسرون والمؤرخون في تحديدِ زمانِ نبوته.

فذهب جمهورُهم إلى أنَّ نبوَّته كانتْ متقدمة، وأنه كان بين آدم ونوح، وأَنه النبيُّ الثاني في التاريخ، ويَعُدّونَ قائلين: آدم، إدريس، نوح...

ولا يملكُ هؤلاء دليلاً على ما يقولون، لا من القرآن، ولا ما صحَّ من حديثِ رسول الله ﷺ، ولذلك نعتبرُ هذا الرأيَ مرجوحاً.

وذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أن نبوةَ إدريس عليه السلام كانت متأخرة، بعدَ إبراهيم وموسى عليهما السلام، ويرجِّحون أنَّ الله بعثه إلى بني إسرائيل.

وهذا هو الراجح، وترجيحُنا له اجتهاديٌّ، من خلال النظرِ في النصوص التي تحدثَتْ عنه.

ففي سورة مريم وردَ الحديثُ عنه بعدَ إبراهيم وإسماعيل وموسى، عليهم السلام، مما يوحي بأنه جاءَ بعدهم، وفي سورة الأنبياء وردَ الحديثُ عنه بعدَ إبراهيم ولوط وداود وسليمان وأَيوب عليهم السلام، مما يوحي بأنه كان بعدهم.

وعندما أَخبرَ رسولُ الله ﷺ عن لقائِه بالأنبياءِ في السماءِ ليلةَ المعراج، أَخبرَ عن ترحيبهم به، وتفاوتَتْ صيغُ ذلك الترحيب:

فآدمُ وإبراهيمُ عليهما السلام قالا له: مرحباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالح، بينما قال له الأنبياءُ الخمسة: يوسفُ وإدريسُ وموسى وهارون وعيسى عليهم السلام: مرحباً بالنبيِّ الصالح والأخِ الصالح.

وعُدولُ الأنبياءِ الخمسةِ عن وصْفِه بالابنِ الصالح إلى الأخِ الصالح مقصود، لأنه أَخٌ لهم، وليس ابناً لهم، كما قال له آدم وإبراهيم عليهما السلام.

وقد ذهبَ بعضُ اللغويين إلى أنَّ اسم (إدريس) عربي، وأَنه مشتقٌّ من الدَّرْس. قال ابن منظور: «ويُقالُ: سُميَ إدريسَ عليه السلام لكثرةِ دراستِه كتابَ الله، واسْمُه أَخْنوخ»[1].

وهذا كلامٌ مردود، فقد ذكَرَ القرآنُ أنَّ اسْمَه إدريس، وزعمَ اليهودُ في أَسفارِ العهد القديم أنَّ اسْمَه أَخنوخ، والصوابُ هو ما ذكرهُ اللهُ في القرآن، ولا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يتركَ القرآن ويذهبَ للعهدِ القديم ليأخذَ منه ما يخالفُ القرآن.

ولو كانَ إدريسُ مشتقّاً من الدرسِ لما كان ممنوعاً من الصرف، وما أَجملَ ما قالَه الزمخشريُّ في ردِّ هذا القول: «قيل: سُمِّيَ إدريسَ لكثرةِ دراستِه كتابَ الله عزَّ وجلَّ، وكانَ اسْمُه (أَخنوخ).

وهذا غيرُ صحيح، لأنه لو كان (إفْعيلاً) ـ يعني على وزن (إفْعيل) ـ من الدرس، لم يكنْ فيه إلاّ سببٌ واحد، وهو العلمية، فكان منصرفاً. فامتناعُه من الصرفِ دليلُ العُجْمَة. وكذلك إبليسُ أعجمي، وليس مشتقاً من الإبلاس، كما يزعمون، ومَنْ لم يُحَقِّقْ، ولم يتدرَّبْ بالصناعة، كَثُرَتْ منه أَمثالُ هذه الهنات...»[2].

* * *

(١) لسان العرب: ٦/ ٧٩.

(٢) الكشاف: ٣/ ٢٣ ـ ٢٤.

٤ ـ آدم عليه السلام

آدَمُ: اسـمُ علمٍ أَعجمي، ممنـوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمـة، يُرفعُ بالضمة، ويُنصبُ ويُجَرُّ بالفتحة.

وأُطلقَ هذا الاسمُ على أبي البشرِ عليه السلام، والذي سَمّاه بهذا الاسمِ هو اللهُ سبحانه وتعالى.

ولَسْنا مع مَنْ يَذْهبون إلى أنَّ اسمَ (آدم) عربيٌّ مشتقّ، وأَن جَذْره الثلاثي (أَدْم).

جـاءَ في (مفرداتِ أَلفاظِ القرآن) للـراغب الأَصفهاني، حـولَ ما قيلَ عن اشتقاق اسم (آدم) ما يلي:

«آدَمُ: أبو البشر. قيل: سُمِّيَ بذلك لكونِ جسدِه من أَديمِ الأَرض. وقيل: لسـمرةٍ في لونه. يُقال: رجلٌ آدَمٌ، نحو أَسمر. وقيل: سُمي بذلك لكونِه من عناصرَ مختلفة، وقوى متفرقة... وقيل: سُمي بذلك لما طُيِّبَ به من الروحِ المنفوخِ فيه... وذلك من قولهم: الإدام، وهو ما يُطَيَّبُ به الطعام...»[1].

«قيل: هو مشتقٌّ من (أديمِ) الأَرض، وهو ظاهرُها. وقيل: مشتقٌّ من (الأَدْمَةِ)، وهي السُّمرةُ الشديدة. وقيلَ: مشتق من (الأَدْم) وهو الخَلْط، والإدامُ هو الطعام»[2].

لَسْنا مع القائلين باشتقاقِ اسم آدم، ونرى أنَّ (آدم): اسمُ علمٍ أَعجمي، لا صلةَ بينه وبين (الأَدْمِ)، الجذرِ العربيّ الصحيح، لا في الاشتقاق، ولا في المعنى.

ولَنا على ذلك دليلان:

---

(١) المفردات، ص٧٠.

(٢) المعجم الوسيط، ص ١٠.

١ ـ آدم: أولُ مخلوقٍ خلقَه اللهُ من البشر، واللغةُ العربيةُ ظهرتْ بعد آدم عليه السلام بآلاف السنين، لأنّ أوّلَ مَنْ تكلمَ بالعربية هو (يَعْرُبُ بن قحطان) في الجزيرة العربية، بعدَ إسماعيل عليه السلام.

فكيفَ نجعلُ اسمَ (آدم) مشتقّاً، مع أن صاحبَه عاشَ وماتَ، قبلَ أنْ يتكلمَ أَولُ عربيٍّ اللغةَ العربية؟.

٢ ـ لو كانَ اسمُ (آدم) عربياً مشتقاً من (الأَدْم) لكان في القرآن مُنوّناً مصروفاً، كباقي الأسماءِ العربية المشتقة، مثل: هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ عليهم السلام.

فورودُه في القرآن ممنوعاً من الصرف دلَّ على أنه علمٌ أَعجمي، وليس عربياً مشتقاً والله أعلم.

ولعلَّ الراغبَ الأصفهاني في المفردات لم يذهبْ إلى القولِ باشتقاقِه وعربيته، ولذلك أوردَ الأقوالَ الثلاثةَ في مادةِ اشتقاقه بلفظ (قيل)، الدالِّ على التمريض والتضعيف، مما يوحي أنه لا يقولُ به.

وردَ (آدمُ) في القرآن مرفوعاً، كما في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧].

ووردَ منصوباً، كما في مثلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

ووردَ مجروراً بالفتحةِ لمنعِه من الصرف، كما في مثلِ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ووردَ (آدمُ) خمساً وعشرين مرة في القرآن: في سورةِ البقرة خمسَ مرات، وفي سورةِ آل عمران مرتين، وفي سورةِ المائدة مرة، وفي سورةِ الأعرافِ سبع مرات، وفي سورةِ الإسراءِ مرّتيْن، ومرةً واحدة في كلٍّ من سورِ: الكهف ومريم ويٰسٓ، وفي سورةِ طٰهٰ خمسَ مرات.

وأَحياناً كان الخطابُ لآدمَ نفسِه، أو كانَ إخباراً عن ما جرى بينه وبين إبليس، وأَحياناً كان الخطابُ لبني آدم، أو إخباراً عنهم.

خاطبَ الله (بني آدم) في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وأَخبرَ اللهُ عن تكريمه لبني آدم، في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وأَخبرَ اللهُ عن النبيين الذين اصطفاهم من ذرية آدم، في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ [مريم: ٥٨].

وتحدثَ القرآنُ عن المراحلِ التي مَرَّ بها خلْقُ آدمُ عليه السلام، قبلَ نفخِ الله فيه من روحه، وهي خلقُه من تراب، ثم من طين، ثم من طينٍ لازب، ثم من صلصالٍ من حمأ مسنون، ثم من صلصالٍ كالفخار، وبعدَ ذلك نفخَ الله فيه من روحه فصارَ إنسـاناً حياً، وهذا كلُّه جَرى في الجنةِ دارِ الخلد، وأَمَرَ اللهُ الملائكـةَ أنْ يسجدوا له، سجودَ تحيةٍ وتكريم، فنفّذوا الأمْرَ جميعاً، أَمّا إبليسُ فقد تمردَ وعصى، فلعنَه الله، وطردَه من رحمتهِ وجنته.

وخلقَ الله لآدم زوجاً، لا نعرفُ كيفيةَ وتفصيلَ خلْقِها، وأَباحَ اللهُ لهما سكنى الجنة والتحرُّك فيها، وأَكْلَ ما يريدان من ثمارِها، إلا شجرةً واحدةً، نهاهما عن الاقتراب منها، والأكلِ من ثمارها، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

وذكرَ رسولُ الله ﷺ أنَّ اسْمَ زوجِه هو (حواء). فقال ﷺ: «لولا حواء لما خانَتْ أُنثى زوجَها».

وزيّنَ إبليسُ اللعينُ لآدمَ وحواءَ الأكلَ من الشجرة، التي نهاهُما اللهُ عن الأكل منها، ومازالَ بهما حتى أَقسمَ لهما أَنه لهما من الناصحين، فنسيا عهدَ الله وأَكلا منها، وما أَنْ ذاقا الشجرةَ حتى بَدَتْ لهما سوءاتُهما، فقاما فوراً بتغطيتهما بورقٍ من أَشجارِ الجنة، ولما شعرا بالمخالفةِ سارعا بالتوبة والاستغفار، وقالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقدّر اللهُ أن ينزلَ آدمُ وحواءُ وإبليسُ إلى الأرض، وأن تبقى العداوة بين بني

آدم وإبليس حتى قيام الساعة؛ قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ ﴾ [البقرة: ٣٦].

ونجح الشيطانُ في إغواءِ أَحد ابْنَيْ آدمَ من صُلبه، حيث زيّنَ له قتْلَ أَخيه، وذكرتْ سورةُ المائدة خلاصةَ قصتهما.

ولم يذكر القرآنُ المكانَ الذي أُهبط فيه آدمُ على الأرض، ولا المنطقةَ من الأرضِ التي أَقامَ فيها مع زوجِه حواء، ولا عددَ مَنْ أَنجبا من الأولاد والبنات، ولا العمرَ الذي عاشَه كلٌّ منهما، ولا المكانَ الذي دُفنَ فيه كلٌّ منهما، فهذا من (مبهمات القرآن) التي لا نبينُها، لأن بيانَها لم يَرِدْ في القرآنِ أو الحديث الصحيح.

وكما قلْنا في اسم (آدم) نقولُ في اسمِ زوجه (حواء)، من أنه اسمٌ أَعجمي، وليس عربياً مشتقاً من الحياةِ، كما زعمَ ذلك بعضُهم!.

* * *

٥ ـ إرَم

وردتْ كلمةُ (إرَم) مرةً واحدةً في القرآن، في سورةِ الفجر، مقرونة باسمِ (عاد)؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨].

ـ والراجحُ أنَّ (إرَمَ) اسمُ علمٍ أعجمي، فهو ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجْمة.

ـ و(إرَمَ) في الآية بدلٌ من (عادٍ) مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرة: ﴿ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾.

(عادٍ): اسمٌ مجرورٌ بالباء، وعلامةُ جَرِّه الكسرة. و(إرَمَ) بدلٌ من (عادٍ) ممنوعٌ من الصرف كما قلنا، و(ذاتِ) صفةٌ لكلمةِ (عاد) مجرورة، وهي مضاف، و(العمادِ) مضافٌ إليه.

فكلمةُ (ذاتِ العماد) صفة مجرورةٌ لعاد، القبيلةِ العربيةِ المعروفة، و(عادٍ) ليست ممنوعةً من الصرف، لأنها كلمةٌ عربية، مشتقةٌ من (العَوْد) وهو الرجوع، تقول: عادَ، يَعود، عَوْداً، إذا رجع.

ـ وسُميت (عادٌ) بهذا الاسم العربي، لأنها أَولُ قبيلةٍ جاءَتْ بعدَ قومِ نوح عليه السلام، وبعدَ نجاةِ المؤمنين معه من الطوفان. ولعلَّ تسميةَ القبيلةِ بهذا الاسم، للإشارةِ إلى عودةِ الحياة بعدَ الطوفان، ولعلَّ (عاداً) أولُ قبيلةٍ عربية نطقَتْ باللغة العربية، ولذلك جاءَ الاسم مصروفاً مشتقّاً من العود.

أمّا (إرَم) فالراجحُ أنه اسمُ شخصٍ أَعجمي، وأَنه أَحَدُ أَجدادِ (عاد)، نُسبتْ إليه القبيلة، فقيل (عادُ إرم)، أي: عادٌ المتولِّدَةُ من جَدِّها (إرَمَ)، وهو اسمُ علمٍ أَعجمي، مثلُ (نوح) و(آدمَ)، لأنه عاشَ وماتَ قبلَ أنْ يَخلقَ الله أَحفادَه من قومِ (عادٍ) الذين تكلَّموا العربية.

و(ذاتِ العماد) صفةٌ لقبيلةِ (عاد) فهي عادٌ ذاتُ العماد، ووُصفَتْ بذلك إمّا

لأنها كانتْ تسكن بيوتَ الشَّعَرِ المرفوعة بالأعمدة، وإمَّا لأنها كانتْ تسكنُ البيوتَ والقصورَ العالية مرفوعةَ الأعمدة.

﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ صفةٌ أُخرى لقبيلة عاد، أي: لم يخلق اللهُ مثلَ عادٍ في القوةِ والبأس، في الزمان الذي عاشوا فيه، فقد كانوا أَقوى أُمة في ذلك الزمان.

ولا تصلحُ (ذات العماد) أنْ تكونَ صفةً للكلمةِ الأعجمية (إِرَم) ولا ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ أيضاً، فلا يُرادُ وصفُ (إِرَمَ) بهاتين الصفتيْن، بأَنْ يُقال: «إِرَمَ: ذاتِ العماد، التي لم يُخلق مثلُها في البلاد»؛ لأنَّ (إِرَمَ) اسمُ شخصٍ، هو جَدُّ قبيلةِ عاد، ولا يوصَفُ الرجلُ بكلمتي (ذات) و(التي).

ونُنبهُ في هذا المقام إلى وجوبِ رفضِ الأساطيرِ والخرافات، الموجودةِ في بعضِ الكتب، والتي تتحدثُ عن المدينةِ الأسطورية الخرافية (إِرَمَ ذاتِ العماد)، التي لا تَزالُ موجودة، متنقلةً في أَقطارِ العالم، منذ زمنِ قومِ عاد!.

قال ابنُ كثير: «ومَنْ زعمَ أنَّ (إِرَمَ) مدينة، تدورُ في الأرض، فتارةً في الشام، وتارةً في اليمن، وتارةً في الحجاز، وتارةً في غيرها، فقد أَبْعَدَ النجعة، وقال ما لا دليل عليه، ولا برهانَ يُعَوَّلُ عليه، ولا مسندَ يُركنُ إليه...»[١].

والراجحُ أنه لا صلةَ اشتقاقيةً بين اسمِ العلمِ الأعجميِّ (إِرَم) الذي هو جدُّ قبيلةِ عاد، وبين الجذْرِ العربي (أَرْم).

فالإِرْمُ: الضِّرس. والأُرَّمُ: الأَضراس. والإِرَمُ: الحجارة تُبنى ليُهتدي بها. والأُرومةُ: الأصلُ[٢].

وهذا الجذرُ وتصريفاتُه كان بعد وفاةِ ذلك الرجلِ (إِرَم).

* * *

(١) قصص الأنبياء، ص٨٨

(٢) المعجم الوسيط، ص١٥

٦ ـ آزر

آزَرُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعجمة. وقد وردَ مرةً واحدةً في القرآن؛ وذلك في قول الله تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

أَخبرَ اللهُ في هذه الآيةِ أنَّ (آزرَ) هو أبو إبراهيمَ الخليل عليه الصلاة والسلام، وأَنه كان كافراً بالله، يُشركُ به الأَصنام، ويتخذُها آلهة، ولما بعثَ اللهُ إبراهيمَ عليه السلام نبياً أَنكرَ ذلك على أَبيه، وقال له: أَتتخذُ أَصناماً آلهة، إني أَراك وقومَك في ضلال مبين.

و(آزرُ) في الآيةِ بدلٌ من (أبيه) مجرور: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾، وعلامةُ جَرِّه الفتحةُ بدلَ الكسرة، لأَنه ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة. والتقدير: وإذ قالَ إبراهيمُ لآزرَ.

وتصرحُ الآيةُ أنَّ آزرَ هو أبو إبراهيم، ومع هذا التصريح القرآني فقد أَجازَ بعضُهم لأنفسِهم مخالفتَها، حيثُ أَخذَ بعضُهم له اسماً آخر من أَسفارِ العهدِ القديم، وقالوا: سُمِّيَ في التوراة (تارَخ). فاسْمُه تارَخ ولقبُه آزر!.

قالَ الراغبُ في المفردات: «قيل: كان اسمُ أَبيه تارَخ، فعُرِّبَ فجُعل آزرَ. وقيل: آزرُ معناه الضالُّ في لغتهم...»[1].

وهذا القولُ مردودٌ، لأَنه يعتمدُ الاسمَ الذي أطلقه اليهودُ في العهد القديم عليه، ولا يعتمدُ الاسمَ الذي أَطلقه عليه القرآن!.

وادِّعاءُ أنه معرَّبٌ مردودٌ أَيضاً، لأَنه لو كان مُعَرَّباً لكان مصروفاً، ولكان في الآيةِ مجروراً بالكسرة، ولقال: لأَبيه آزرٍ.

---

(١) المفردات، ص٧٤.

وقالَ ابن منظور في (لسان العرب): «آزرُ: اسمٌ أعجمي، وهو اسمُ أَبي إبراهيم، على نبيِّنا وعليه الصلاةُ والسلام... وليس بين النّسّابين اختلاف أنَّ اسمَ أَبيه كان تارَخ، والذي في القرآن يدلُّ على أنَّ اسمَه آزر... وقيل: آزرُ عندهم ذمٌّ في لغتهم، كأنه قال: وإذ قالَ إبراهيمُ لأبيه الخاطئ...»[1].

وكيف جاز لأولئك النّسّابين تجاوزُ المذكورِ في القرآن إلى إسرائيليات اليهود؟.

إنَّ اسْمَه هو (آزَر) كما وردَ في صريحِ القرآن، وإذا سَمَّى القرآن اسماً لشخص فيجبُ اعتمادُه والقولُ به، ولا يجوزُ تركُه والبحثُ عن اسمٍ آخرَ، في مصادرَ غيرِ موثوقة وغيرِ مأمونة!.

وفي كلمة (آزر) قراءتان عشريّتان صحيحتان:

الأولى: قراءةُ التسعة ـ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ـ بالفتح: (لأبيه آزرَ). على أنه بدلٌ من (أَبيه) مجرورٌ بالفتحة، لأنه ممنوعٌ من الصرف.

الثانية: قراءةُ يعقوب الحضرمي: (آزَرُ) بالضمّ. على أنه منادى، مبنيٌّ على الضم، لأنه مفرد. أي: إذ قال إبراهيمُ لأبيه: يا آزرُ أتتخذُ أصناماً آلهة؟.

و(آزرُ) هو أَبو إبراهيم عليه السلام، لتصريحِ القرآنِ بذلك: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ والأَبُ يُطلقُ على الوالدِ حقيقة، ويُطلَقُ على غيرِه كالعَمِّ والجَدِّ، تَجَوُّزاً وتوسُّعاً في التعبير، والأَصلُ حملُ اللفظ على الحقيقة، ولا يُحملُ على غيرِها إلا عند الضرورة، ووجودِ قرينةٍ تدلُّ على ذلك.

ومع هذا التصريح القرآنيِّ، فقد خالَفَه بعضُهم، وقالوا: لم يكنْ آزرُ والداً لإبراهيم، وإنما هو عمه، أو هو اسمُ صنم، أو غير ذلك!.

وقالوا بذلك، ليهربوا من القولِ بكفرِ والدِ إبراهيم عليه السلام، فزعموا أن كلَّ آباءِ إبراهيم عليه السلام كانوا مؤمنين موحِّدين!.

---

(١) لسان العرب: ٤/ ١٨ ـ ١٩.

وهذا الهروبُ منهم مرفوض، وكونُ (آزر) والدِ إبراهيم عليه السلام كافراً، لا يُضيرُ إبراهيم ولا يُعيبه، ولا يُعتبرُ مأخذاً على نبوته، لأنه دَعاه إلى الإيمان، وأَنكر عليه الكفر، وقامَ بواجبه تجاهَه، وهذا هو الواجبُ على إبراهيم عليه السلام، ورفضُ آزرَ لدعوةِ ابنه، وإصرارُه على الكفر لا يُعيبُ الابن في شيء.

وقد وعدَ إبراهيمُ عليه السلام أَباه آزر أن يستغفرَ له، طمعاً في إيمانه، ولما رأى إصرارَه على الكفر تبرأ منه. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وبقيَ (آزر) كافراً مشركاً حتى مات. وأَخبرنا رسول الله ﷺ عن ما سيكونُ بين الابنِ والأَبِ يومَ القيامة. روى البخاري[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَلقى إبراهيمُ أَباهُ آزرَ يومَ القيامة، وعلى وجهِ آزرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَة.

فيقول له إبراهيم: أَلم أَقُلْ لك: لا تَعصِني؟ فيقولُ له أبوه: اليومَ لا أَعصيك.

فيقول إبراهيم: يا ربّ! إنك وعدْتَني أنْ لا تُخْزِني يومَ يبعثون، وأَيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأَبعد؟.

فيقولُ الله: إني حرّمْتُ الجنة على الكافرين!.

فيقال: يا إبراهيمُ! انظُرْ ما بين رجلَيْك، فينظر، فإذا هو بِذيخٍ متلطّخ، فيؤخَذُ بقوائِمه، فيُلقى في النار...».

أي أنَّ الله يمسخُ (آزر) يوم القيامة إلى ضبعٍ منتنٍ، متلطِّخ بأوساخه، فيؤخَذُ بقوائمه، ويُلقى في جهنم على هذه الصورة، ولا يُلقى في النارِ على صورتِه البشرية كباقي الكفار، إكراماً لإبراهيمَ عليه السلام.

* * *

---

(١) البخاري، برقم (٣٣٥).

٧ ـ إسحاق عليه السلام

إسحاق: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف. وقد ذُكِرَ في القرآن سبعَ عشرةَ مرة: في سورةِ البقرة ثلاث مرات، وفي سورةِ هود مرتين، وفي سورة يوسف مرتين، وفي سورة الصافات مرتين، ومرةً واحدةً في كلٍّ من سور: آل عمران، والنساء، والأنعام، وإبراهيم، ومريم، والأنبياء، والعنكبوت، وصَ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنه عربيٌّ من (السَّحْق) وهو البُعد.

لكنَّ هذا مردود، لأنه وردَ في القرآنِ ممنوعاً من الصرف، ولو كان مشتقّاً من السَّحقِ لصُرِفَ وجُرَّ بالكسرة.

قال الفيروزآبادي في (البصائر): «إسحاق عليه السلام: اسمٌ أَعجميٌّ غيرُ منصرفٍ للعلميةِ والعُجْمة... وقيلَ: مشتقٌّ من السَّحْق، والإسحاق الإبعاد. والسَّحْقُ البُعد. ومكانٌ سحيق: مكان بعيد»[1].

والفيروزآبادي مع مَنْ يَرى أنه أَعجميٌّ ممنوعٌ من الصرف، وذَكَرَ الرأيَ الثاني مجردَ ذكْرٍ فقط، مع أنه لا يقولُ به.

وإِسحاقُ بنُ إبراهيم عليهما السلام، رزقَه الله به بعد ابنه البكر إسماعيلَ عليه السلام، والدليلُ على أنه وُلِدَ بعدَ إسماعيل بفترة، أنَّ سورة الصافات ذَكرتْ مشاهدَ من قصةِ إبراهيم عليه السلام مع قومِه، ثم ذَكَرَتْ تبشيرَه بغلامٍ حليم، ورؤياه بذبْحه، ولما عزمَ على تنفيذِ الرؤيا فَداه الله بذبحٍ عظيم... ثم ذكرتْ تبشيرَه بإسحاقَ بعدَ ذلك.

فهذا الترتيبُ في الذِّكْر، وعطفُ البشارة بإسحاقَ على فداءِ إسماعيل الذبيح، يدلُّ على أنَّ إسحاقَ وُلِدَ بعدَ ما صار أَخوه شاباً، بلغَ مع أَبيه السعي.

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٤٢.

وجاءتْ بشارةُ إبراهيمَ بإسحاق في ظرفٍ حافل، حيثُ أَرسلَ اللهُ الملائكةَ لتدميرِ قرى قوم لوط، وكانوا متحوِّلين إلى صورةِ رجال، ومَرّوا على إبراهيمَ عليه السلام في طريقهم إلى قوم لوط، وبعد مفاجآتٍ بينه وبينهم، بَشَّروه بإسحاق، ومن وراءِ إسحاقَ يعقوب.

وكانت امرأَتُه سارةُ قائمةً، فلما سمعت البشارةَ دُهشتْ وضَربتْ وجْهَها بكفِّها، وقالت: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [هود: ٧٢]، فطمأَنوها بأَنَّ هذه هي إِرادةُ الله، ولا غرابةَ في ذلك.

وحَمَدَ إبراهيمُ عليه السلام ربَّه على نعمتِه عليه. قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وكانتْ ولادةُ إسحاقَ آيةً من آيات الله، فإبراهيمُ شيخٌ كبير، وامرأتُه سارةُ عاقر، لم تُنجبْ في شبابها، وبلغت الآنَ سنَّ اليأس، ويَستحيلُ عادةً على مَنْ كانت مثْلَها ووصلَتْ إلى عمرِها أنْ تحملَ وتَلِدَ، لكنَّ الله أَرادَ ذلك، وهو فعّالٌ لما يريد.

وطمأنَ اللهُ إبراهيمَ وامرأَتَه سارةَ أَنهما سَيَريانِ حفيدَهما يعقوب، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود: ٧١].

وهذا التطمينُ ضروريٌّ لهما، لأَنه إذا رُزقَ الطاعنُ في السنِّ بمولودٍ، فإنه سيغلبُ على ظنِّه أنَّ ابنَه سيعيشُ يتيماً، فطمأَنَ اللهُ إبراهيمَ وسارة أَنهما سيستمران في الحياة، حتى يكبرَ ابنُهما إسحاق، ثم يتزوج، وينجبَ حفيدَهما يعقوب، فيسعَدا به، ويَقَرّا به عيناً.

ولم يُفَصِّل القرآن في الحديث عن إسحاق عليه السلام، ولم يَذكر شيئاً عن طفولتِه وشبابه ومكانِ إقامته، ومدة حياته، ومكان وفاته، ولم تَرِدْ أحاديثُ صحيحةٌ عن رسول الله ﷺ تتحدثُ عن حياته، فهذه الأُمورُ من (مُبهماتِ القرآن) التي نُبقيها على إبهامها!.

وقد أَخبرَنا اللهُ أَنَّ دينَ إسحاقَ عليه السلام هو الإسلام، مِثْلُه في ذلكَ مِثْلُ أَبيه إبراهيم، وأَخيه إسماعيل، وابنِه يعقوب، عليهم السلام، ولذلكَ وصَّى

يعقوبُ عليه السلام أَبناءَه بأَنْ يكونوا على هذا الدينِ الإسلام، لأنَّه دينُ آبائهم من الأنبياء. وأَخبرَنا اللهُ عن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهذا ردٌّ على اليهـودِ الذين يزعمـونَ أنَّ إسحاقَ أَحدُ آبائِهم، وأنَّهم على دينِه، لأنَّه كان يهودياً وليس مسلماً! وهم كاذبون في هذا الزعم، لأنَّ إسحاقَ جاءَ بالإسلام، ودينَه هو الإسلام، عليه الصلاة والسلام.

* * *

٨ ـ إسرائيل عليه السلام

إسرائيل: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة، ولا وزْنَ لكلامِ مَن قال: هو عربيٌّ مشتقٌّ من (سَرَلَ) أو (سَرْأَلَ)، لأنَّ هذا قولٌ باطل.

وقد وردتْ كلمةُ (إسرائيل) ثلاثاً وأربعينَ مرةً في القرآن، مرتان منها اسماً آخرَ لنبيٍّ الله يعقوبَ عليه السلام، وإِحدى وأربعون مرةً مضافةً إلى (بني)، إخباراً عن (بني إسرائيل).

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم: ٥٨].

أخبرَ اللهُ في هذه الآية أنّه اجتبى واصطفى الأنبياءَ من ذريةِ آدمَ ونوح، ومن ذريةِ إبراهيم وإسرائيل.

والمرادُ بإسـرائيل في الآية نبيُّ اللهِ يعقوبُ عليه السلام، والمرادُ بجعْلِ النبوةِ في ذرّيته، الأنبياءُ الذين بعثَهم اللهُ لبني إسرائيل، مثل موسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام.

وقال تعالى عن إسرائيل عليه السلام: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣].

يُخبرُ اللهُ في الآية أنّه أَحَلَّ لبني إسرائيل ـ ذريةِ يعقوب عليه السلام ـ كلَّ الطعام، ولم يحرِّمْ عليهم إلا الطعامَ الذي حَرَّمَه على نفسِه أَبوهم إسرائيل، حيثُ نَذَرَ لله أَنْ يمتنعَ عن نوعٍ معيَّنٍ من الطعام، فالتزمَ بنوهُ من بعدِه بذلك، وحرَّموا ذلك الطعام على أَنفسهم، مقتدينَ بأَبيهم إسرائيل.

وأخبرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ إسرائيلَ عليه السلام حَرَّمَ على نفسِه لحومَ الإبل، حيثُ مَرِضَ يوماً مرضاً شديداً، فنذرَ للهِ أنَّه سيمتنعُ عن أحبِّ الطعامِ إليه، تقرُّباً إلى الله، إنْ شفاهُ اللهُ من مرضِه، ولما شفاهُ اللهُ وفَّى بنذرِه.

وبما أنَّ (إسرائيل) ـ الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام ـ أَعجمي، فلا نبحثُ له عن معنى في اللغة العربية، ولا نلتفتُ للإسرائيلياتِ والأباطيل والأكاذيب، التي يذكُرُها أَحبارُ اليهود الكاذبون في أَسفارِ العهد القديم، ومنها ما هو كفرٌ بالله سبحانه، واتّهامٌ له بالضعفِ والعجزِ أمامَ إسرائيل!!.

و(بنو إسرائيل) هم ذريةُ يعقوبَ عليه السلام من أبنائِه الاثني عشر، حيثُ جعلَهم اللهُ اثنتي عشرة أسباطاً أُمماً، لأنَّ كُلَّ سبطٍ وأُمة ينتسبون إلى أَحدِ أولادِ إسرائيل، فهم أبناءُ إسرائيلَ بهذا الاعتبار.

و(إسرائيل) في (بني إسرائيل) في كلِّ مراتِ ورودِها في القرآنِ، مضافٌ إليه مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرة، لأنَّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وقد أقامَ بنو إسرائيل في مصر، منذ أَن ارتحلوا إليها، عندما كانَ يوسفُ العزيزُ عليه السلام حاكماً لمصر، ولكنَّ الفراعنةَ اضطهدوا بني إسرائيلَ بعد وفاةِ يوسف عليه السلام، فاصطفى اللهُ منهم موسى رسولاً عليه السلام، وخرجَ بهم من مصرَ إلى سيناء، وتوفيَ موسى عليه السلام قبلَ دخولِهم الأرضَ المقدسة، فدخلوها بعدَ ذلك بقيادةِ خليفتِه يوشع.

ولما كفروا وطغوا غضبَ اللهُ عليهم ولعنَهم، وشتَّتَهم في الأرض، وسُمّوا بعد ذلك (اليهود).

وفي هذا الزمانِ نجحَ اليهودُ الكافرون في التجمُّع من مختلفِ بقاعِ الأرض، وإِقامةِ دولة يهودية لهم على أرضِ فلسطين، وأعلنوا تلك الدولة عام ١٩٤٨م، واحتلوا فلسطين كلَّها عام ١٩٦٧م، وهزموا العربَ الذين لم يُحاربوهم على أَساسِ الإسلام.

وسَمَّى اليهودُ دَولتَهم المسخَ (دولةَ إسرائيل)، وسَمَّوا مؤسّساتِها بهذا الاسم، مثل: بنكُ إسرائيل، وصوتُ إسرائيل، وعَلَمُ إسرائيل، وجيشُ الدفاع الإسرائيلي... وهكذا!.

ويزعمونَ بهذه التسميةِ أنَّهم ما زالوا ينتسبونَ إلى نبيِّ اللهِ إسرائيلَ عليه السلام، وأنهم ورثتُه الملتزمونَ بدينه، وأنَّ اللهَ أَعطاهم الأرضَ المقدّسةَ

فلسطين، عندما وعدَ إسرائيلَ وجَدَّه إبراهيم عليهما السلام بذلك، ولذلك سمّوها (أرضَ الميعاد).

واليهودُ كاذبون في هذا الادّعاء، مغالِطون في هذا الزعم، يتمسَّحون باسم (إسرائيل) زوراً وبهتاناً، وإبراهيمُ وإسرائيلُ عليهما السلام بريئان منهم، ويَشهدانِ بكفرِهم وضلالهم، وأنَّهم ليسوا مسلمين ولا مهتدين، لأنَّهم كَذَّبوا الرسولَ الخاتمَ محمداً ﷺ، وحاربوا دينَه وأُمتَه.

إنَّ اليهودَ الموجودين في العالم الآن، ليسوا من بني إسرائيل الممدوحين في القرآن، ولا تربطهم أيةُ رابطةٍ دينيةٍ بإسرائيل النبيِّ الكريم عليه السلام، ولا يجوزُ لهم استعمالُ هذا الاسمِ الطيبِ (إسرائيل) ولا التمسُّحُ به، إنهم (يهود) ودولتُهم دولةُ (يهود)، الذين غضبَ اللهُ عليهم ولعنَهم.

* * *

٩ ـ إسماعيل عليه السلام

إِسماعيلُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلَميةِ والعُجمة.

وبما أنَّه ليس عربيّاً مشتقّاً، فلا نبحثُ له عن معنى في اللغةِ العربية، مثْلُ أَسماءِ إبراهيم وإسحاق وإسرائيل، عليهم السلام.

ومَنْ ذهبَ إلى أنّه عربيٌّ مشتقٌّ فلا اعتبارَ لقوله، لأنّه لو كانَ كذلك لكانَ مصروفاً، يُنَوَّنُ ويُجَرُّ بالكسرة.

قالَ الفيروزآبادي في (البصائر): «إسماعيلُ: اسمٌ أَعجمي، كسائرِ الأَسماءِ الأَعجمية، وهو أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ بهذا الاسم من بني آدم... وتكلَّفَ بعضُ الناسِ وجعلَ له اشتقاقاً من (سَمِعَ)، وتركيباً منه ومن (إيل)، وهو اسمُ اللهِ عزَّ وجلّ.. فإنْ كانَ وزْنُه (إِفْعالِيل) فمعناه: أَسمعَهُ اللهُ أَمْرَه فقامَ به. وإنْ كانَ وَزْنُه (فَعاليل) ـ لأنَّ أصله سَماعيل ـ فمعناهُ: سمعَ من اللهِ قولَه فأَطاعَه...»[1].

ولَسْنا مع هذا التفسيرِ الاشتقاقيِّ الصرفيِّ لكلمةٍ هي أَعجمية، والأَصْلُ أَنْ لا نبحثَ له عن معنى في العربية.

وقد وردَ (إسماعيلُ) اثنتي عشرةَ مرةً في القرآن، مرةً واحدةً في كلٍّ من سور: آل عمران والنساء والأنعام وإبراهيم ومريم والأنبياء وصَ، وخمسَ مراتٍ في سورةِ البقرة.

وقد يكونُ مرفوعاً بالضمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقد يكونُ منصوباً بالفتحة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٣٩.

وقد يكونُ مجروراً بالفتحةِ بدلَ الكسرةِ لأنَّه ممنوعٌ من الصرف؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[النساء: ١٦٣].

وإسماعيلُ عليه السلام هو المولودُ البكرُ لإبراهيمَ عليه السلام، وقد رزقه اللهُ له على كبر، لأنَّ امرأتَه سارة لا تُنجب، ولما عادَ من رحلةٍ مثيرةٍ إلى مصر، وهبتْ له سارةُ أَمَتَها هاجر، لتكونَ أَمَةً له، ولما تسرّى بها وعاشَرَها أنجبَتْ له ابنَه البكرَ إسماعيل.

وقد أمرَهُ اللهُ أَنْ يأخذَ أَمَتَهُ وابنَه إلى وادٍ غيرِ ذي زرعٍ في بلادِ الحجاز، وهناك أنبعَ اللهُ لهما ماءَ زمزم، وتمَّ إنشاءُ مكة، وفي شبابِ إسماعيل شاركَ أباه إبراهيمَ عليهما السلام في بناء الكعبة وبيتِ اللهِ الحرامِ حولَها، وبعدَ إتمامِ البناء أذَّنَ إبراهيمُ عليه السلام في الناس بالحج، فلبّوا النداءَ وحَجّوا إلى بيتِ اللهِ الحرام.

وهو الذبيحُ الذي أُرِيَ إبراهيمُ عليه السلام في المنامِ أنّه يذبحه، ولما أرادَ تنفيذَ الرؤيا فَداهُ اللهُ بذبحٍ عظيم. وكان هذا قبلَ ولادةِ أخيه إسحاق.

وأثنى اللهُ عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ـ٥٥].

كان رسولاً نبياً عليه الصلاة والسلام، وكان صادقَ الوعد، ينفذُ كلَّ وعدٍ يقطعهُ على نفسِه، مع اللهِ ومعِ الناس، وكان يدعو إلى الله، ويأمر أَهلَه بإقامةِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة، وكان مرضيّاً عند الله، يحبُّه ويرضى عنه.

وقد عاشَ إسماعيلُ في مكة، حيثُ جاءَ العربُ إليها بعدما أنبعَ اللهُ ماءَ زمزم، فنشأَ إسماعيل بينهم، وتكلّم العربيةَ مثلَهم، وتزوّجَ عربيةً منهم، وأنجبَ أولاداً يتكلّمونَ العربية.

وبعثَهُ اللهُ رسولاً إلى أهلِ مكة ومَنْ حولَها، فاستجابوا له واتَّبعوهُ ودخلوا في دينِه، وكانت الكعبةُ رمزاً يَحجُّون إليها، ويعبدونَ اللهَ عندها، مؤمنين به موحِّدين له.

وكان إسماعيلُ عليه السلام رامياً ماهراً، يُحسنُ الرمايةَ والصيد، وشهدَ له بهذا رسولُ الله ﷺ. فقد روى البخاري[1] عن سلمةَ بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ على قومٍ من أَسْلَمَ يَنْتَضِلون بالسوق.

فقال عليه الصلاة والسلام: «ارموا بني إسماعيل فإِنَّ أَباكم كان رامياً، وأنا مع بني فلان. . .».

واصطفى اللهُ إسماعيلَ من ولدِ إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، واصطفى من نسْلِه سيدَ الخلقِ محمداً ﷺ.

روى مسلم[2] عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلّ اصطفى من ولدِ إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانةَ قريشاً، واصطفى من قريشٍ بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. . .».

* * *

---

(١) البخاري، برقم (٢٨٩٩).

(٢) مسلم، برقم (٢٧٧٦).

١٠ ـ إلياس عليه السلام

إِلْياس: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، وليسَ عربياً مشتقاً، ولا نبحثُ له عن معنى اشتقاقيٍّ في اللغةِ العربية.

وأُطلقَ هذا الاسـمُ في القرآن على أَحَـدِ رسلِ الله، وورد ذِكْرُه في القرآن مرتين:

الأُولى: في سورةِ الأنعام، ضمنَ أسماءِ مجموعةٍ من أَنبياءِ اللهِ ورسلِه عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٥].

الثانية: في سورةِ الصافات، حيثُ أَشارتْ إشارةً مجملةً إلى قصتِه، بعد الكلامِ عن نوحٍ وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ وموسى وهارون، عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣ ـ ١٣٢]

يُخبرُ اللهُ في هذه الآياتِ أَنَّ إلياسَ عليه السلام كانَ أَحَدَ رسلِ الله، وقام بدعوةِ قومِه إلى الله، حيث طلبَ منهم أَنْ يتّقوا الله، وأَنكرَ عليهم عبادةَ غيرِ الله، ولكنَّهم كذَّبوه، فأَهلكهم الله، ونَجَّى إلياسَ عليه السلام والذين آمنوا معه، ووصَفَهُ بأنَّه مؤمنٌ محسنٌ عابدٌ لله سبحانه.

ولم يذكر القرآنُ القومَ الذين أُرسلَ إليهم إلياسُ عليه السلام، ولا المدينةَ التي كانوا يُقيمونَ فيها، ولا الزمنَ الذي عاشَ فيه إلياس، ولا كيفيةَ إهلاكِهم ونجاتِه هو والذين آمنوا معه. فهذه الأُمورُ من (مبهمات القرآن) التي لا نَخوضُ فيها، ونكتفي منها بما وردَ في آياتِ القرآن، وما صَحَّ من حديثِ رسولِ الله ﷺ.

ويُفهَمُ من آياتِ القرآن أَنَّ إِلياسَ عليه السلام كان متأخِّراً، ولعلَّه كان بعدَ داود وسليمان عليهما السلام، وأنه كان من أنبياءِ بني إِسرائيل.

ويُفهَمُ من آياتِ القرآنِ أَنَّ قومَه كانوا يعبدونَ صنماً يُسمونه: (بعلاً)، ولذلكَ قالَ لهم: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾؟.

وذهبَ بعضُ المؤرِّخين إلى أنَّ إلياسَ عليه السلام بُعِثُ إلى أَهلِ المدينة اللبنانية (بعلبك). وأنَّ تلكَ المدينةَ الأثرية نُسِبَتْ إلى ذلك الصنمِ المعبود (بَعْل).

قـال ياقوت في (معجم البلدان) عن بعلبك: «اسْمُها مركَّب من (بَعْل): اسـمُ صنم، و(بَكّ): أصله من: بَـكَّ عنقَه. أَيْ: دقَّها. و: تبـاكَّ القوم، أي: ازدحموا.

فإما أَنْ يكونَ نُسِبَ الصنمُ إلى (بَك)، وهو اسمُ رجل، أو جعلوه يبـكُّ الأَصنامَ أي: يدقُّها.

هذا إنْ كانَ عربياً، وإِنْ كانَ أعجمياً فلا اشتقاق»[1].

ونتوقَّفُ في كلامِ ياقوت عن (بعلبك) فلا نَنفيه ولا نُثبتُه، لعدمِ وجودِ أدلةٍ نعتمدُ عليها في ذلك.

ولا نجزمُ بحقيقةِ (بَعْل) الذي أَنكرَ إلياسُ عليه السلام على قومِه عبادتَهم له، كما لا نملكُ الأدلةَ على تحديدِ مكانِه وتفصيلِ أمره، ونعتبرُ ذلك من مبهمات القرآن.

وقد أثنى اللهُ على إلياس بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾. أي: أبقى اللهُ لإِلْياسَ عليه السلام الذكْرَ الحسنَ والثناءَ الطيبَ في الأَجيالِ القادمة من بعدِه، وبالذاتِ أُمةِ محمد ﷺ، يقتدونَ به في مواقفِه في الدعوةِ إلى الله.

وأخبرَ اللهُ أَنَّه جعلَ على إلياسَ عليه السلام سلاماً منه سبحانه وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠].

ويلاحَظُ إضافةُ الياءِ والسين إليه: (إِلْياسين).

---

(١) معجم البلدان: ١/ ٤٥٣.

وفي هذه الكلمة قراءتان:

الأُولى: قراءةُ نافع وابن عامر ويعقوب: «آلِ ياسين». بإضافةِ (آلِ) إلى (ياسين).

والمرادُ بياسين على هذه القراءة (إِلْياس). والمرادُ بآلِ ياسين: أتْباعُ إِلْياس الذين آمنوا به وصَدَّقوه ودخلوا في دينِهِ، أكرمَهم اللهُ بالسلامِ عليهم.

الثانيـة: قـراءة السـبعة ـ عاصم، وحمـزة، والكسـائي، وابن كثير، وأبي عمرو، وأبي جعفر، وخلف ـ: «إِلْياسين» بإسكانِ اللامِ وكسرِ الهمزة. و«إِلْياسين» هو إِلْياس، تَصَرَّفَ العربُ فيه فأضافوا له الياء والنّون، وبقيَ ممنوعاً من الصرف، وهو في الآية: ﴿عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرةِ للعلَمية والعُجمة.

و(إِلْياسـين) لغةٌ ثانيةٌ في (إِلْياس)، مثل: جبريل وميكال وإسـماعيل وإِسرائيل، تقول: جبرائين وميكائين وإسماعين وإسرائين.

ولعلَّ الحكمةَ في استخدامِ اللغةِ الثانية لإِلْياس في الآية: «إِلْياسين» هي مراعاةُ الفاصلةِ القرآنيةِ للآيات التي ذكرتْ قصةَ إِلياس عليه السلام في سورة الصافات، ففاصلةُ الآيات مختومةٌ بالواوِ والنون أو الياءِ والنون: المرسلين، تتقون، الخالقين، الأولين، لمحضرون، المخلصين، الآخرين، إلياسين، المحسنين، المؤمنين.

فلو قال: «سلامٌ على إِلْياس» لما توافقَ مع فواصلِ الآيات قبلَها وبعدَها، ولحدَثَ فيها ما يُشبهُ (الكَسْرَ) في الشِّعْرِ العربي! فآثرت الآيةُ اللغـةَ الثانيـةَ في (إِلْياس) المتوافقةَ مع فواصل الآيات.

والخلاصـة: (إِلْياس) اسمٌ أعجميٌّ لنبيٍّ رسولٍ عليه الصلاة والسلام، أَرسلَه اللهُ إلى بني إسرائيل، وأنكرَ عليهم عبادتَهم (بَعْلاً) من دون الله. و(إِلْياسين) لغةٌ أُخرى في (إِلْياس)، متوافقةٌ مع فواصلِ آياتِ سورةِ الصافات. والكلمتان: (إِلْياس) و(إِلْياسين) ممنوعتان من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة.

* * *

١١ ـ إِلْيَسَع عليه السلام

إِلْيَسَع : اسمُ علمٍ أَعجمي ، ممنوعٌ من الصرف ، وهو اسمٌ لنبيٍّ كريم ، بعثَه اللهُ إلى بني إسرائيل ، على ما هو الراجح .

ولم يتحدَّث القرآنُ عن قصتِه شيئاً ، ولم يَرِدْ حديثٌ عنه في حديثِ رسولِ الله ﷺ ، فكلُّ ما يتعلَّقُ به من مبهماتِ القرآن ، تحديدُ زمانِه ومكانُ إقامتِه ، وتفصيلُ ما جرى بينَه وبين قومِه .

وورد ذكرُه في القرآنِ مرتيْن ، في سياقِ مجموعةٍ من الأنبياءِ والمرسَلين .

قال تعالى : ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

وقال تعالى : ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ﴾ [صَ : ٤٨] .

وفي (الْيَسَع) في السورتين قراءتان :

الأولى: قراءةُ حمزة ، والكسائي ، وخلف : «وَاللَّيْسَع» ، بـ(أل التعريف) و(لَيْسَع) بعدها . على أنّه اسمٌ أعجميّ (لَيْسَع) أُدخلَتْ عليه (أَل التعريف) فصارَ (اللَّيْسَع) . وقد تَدخلُ (أل التعريف) على بعضِ الأسماءِ الأعجمية ، مثل يحيى ، فيقال : اليحيى .

ويبقى (اللَّيْسَع) ـ على هذه القراءة العشرية ـ ممنوعاً من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة .

الثانية: قراءةُ السبعةِ الآخرين ـ عاصم ، ونافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبي عمرو ، وأبي جعفر ، ويعقوب ـ : «والْيَسَع» بلامٍ ساكنة وياءٍ مفتوحة ، ومن دونِ (أل التعريف) . على أنه اسمُ العلمِ الأعجمي ، الممنوعُ من الصرف .

وردَ في تفسير القرطبي عن (الْيَسَع) والقراءتيْن في النطقِ به : «قال النحاس : والحقُّ في هذا أنّه اسمٌ أَعجمي ، والعُجمةُ لا تؤخَذُ بالقياس ، إنما تؤخَذُ سماعاً ، والعربُ تُغيِّرُها كثيراً ، فلا يُنْكَرُ أَنْ يأتيَ الاسمُ بلغتين .

قال مكّي: مَنْ قرأ بلامَيْن فأَصْلُ الاسم (لَيْسَع)، ثم دَخَلَتْ (أَل التعريف) عليه، فصار: (اللَّيْسَع). ولو كان أصلُه: (يَسَع) ما دخلَتْه الألفُ واللام.

والقراءةُ بلامٍ واحدةٍ: (والْيَسَع) أَحَبُّ إليَّ، لأنَّ أكثرَ القرّاءِ عليه.

و(الْيَسَع) اسمٌ لنبيٍّ معروف، مثل إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ولكنّه خرجَ عما عليه الأسماءُ الأعجمية بإدخالِ الألف واللام.

وتوهَّمَ قومٌ أنَّ (الْيَسَع) هو (إِلْياس)، وليس كذلك، لأنَّ اللهَ تعالى أَفردَ كلَّ واحدٍ بالذكر.

وقال وهب: «الْيَسَع: هو صاحبُ إِلْياس، وكانا قبلَ زكريا ويحيى وعيسى، وقيل: إِلْيسع هو إدريس، وهذا غيرُ صحيح...»[1].

(الْيَسَع) في سورتي الأنعام وصٓ منصوبٌ بالفتحةِ لأنّه ممنوعٌ من الصرف، للعَلَمية والعُجْمة، وهو نبيٌّ كريم، أرسلَه اللهُ إلى بني إسرائيل، وهو ليسَ إدريس ولا إلياس ولا ذا الكفل، وإنما هو نبيٌّ مستقل، لأنَّ القرآنَ ذكرَ اسْمَه مستقلاً، بالإضافةِ إلى ذكْرِ أُولئك الأنبياء الآخرين.

ونعترفُ أننا لا نعرفُ عن (الْيَسَع) عليه السلام أكثر من اسْمِه، لأنَّ القرآنَ اكتفى بذلك، وأَبْهمَ كلَّ ما يتعلّق بحياتِه، ونحنُ نسكتُ على ما سكتَ عنه القرآن، فلا نخوضُ فيه.

* * *

---

(١) تفسير القرطبي: ٧/ ٢٣ ـ ٢٤.

١٢ ـ أيوب عليه السلام

أَيوب: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، وبما أنّه أَعجمي فلا نبحثُ له عن معنى أو اشتقاقٍ في العربية.

قال الفيروزآبادي في (بصائره): «أيّوبُ: اسمٌ أَعجميٌّ غيرُ منصرف، كسائرِ نظائره، وقيل: هو عربيّ، معناه الرّجّاعُ إلى الحقِّ في جميعِ أحوالِه، من المحنةِ والبلاء، والمنحةِ والرخاء. من: آبَ، يَؤُوب، أَوْباً وإياباً. . .»[1].

وقال أبو منصور الجَواليقيُّ في (المعرَّب): «قالَ أبو علي الفارسي: وقياسُ همزةِ (أيّوب) أَنْ تكونَ أَصْلاً غيرَ زائدة، لأنّه لا يخلو أَنْ يكونَ (فَيْعولاً) أو (فَعُّولاً)، فإنْ جعلْتَه (فَيْعولاً) كان قياسُه ـ لو كان عربياً ـ أنْ يكونَ من (الأَوْب)، مثلُ (قَيُّوم)، ويمكنُ أنْ يكونَ (فَعُّولاً)، مثل (سَفّود) و(كَلُّوب)، وإنْ لمْ يُعْلَمْ في الأَمثلةِ هذا، لأنّه لا يُنْكَرُ أَنْ يجيءَ العَجميُّ على مثالٍ لا يكونُ في العربي»[2].

ولَسْنا مع مَنْ يَذْهبون إلى أنَّ (أيوب) عربيٌّ مشتقٌّ من الأَوْب، وهو الرّجوع، وأنّه على وزْن (فَيْعول) أو (فَعُّول) كما قال الجواليقي، فهو اسمٌ أَعجميٌّ، ممنوعٌ من الصرفِ للعَلَميةِ والعُجمة.

وقد وردَ اسمُ أَيُّوبَ أربعَ مرات في القرآن:

الأولى: في سورةِ النساء، ضمنَ مجموعةٍ من الأَنبياءِ الكرام عليهم السلام. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [النساء: ١٦٣].

و(أيّوبَ) في الآيةِ معطوفٌ على ما قبلَه، وهو مجرورٌ بالفتحةِ لأنّه ممنوعٌ من الصرف.

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٥٩.

(٢) المعرب، ص٦٢ ـ ٦٣.

الثانية: في سورةِ الأنعام ضمنَ مجموعةٍ من الأنبياءِ أيضاً. قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

و(أيّوبَ) في الآيةِ منصوبٌ بالفتحة، لأنّه معطوفٌ على الأسماءِ المنصوبةِ قبلَه.

الثالثةُ: في سورةِ الأنبياء، في قوله تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ ـ ٨٤].

(أيّوبَ) في الآيةِ منصوبٌ بفعلٍ مقدَّر، تقديرُه: اذكرْ أيوبَ.

يخبرُنا اللهُ أنّه ابتلى عبدَه أيوبَ عليه السلام بالضُّر، أَصابَه في جسمِه وأَهله، فدعا ربَّه مستغيثاً به، طالباً منه كشفَ ضُرِّه، فاستجابَ اللهُ له، وكشفَ الضُّرَّ عنه، وآتاهُ أَهلَه ومثلَهم معهم، رحمةً منه له.

الرابعة: في سورةِ صَ، في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: ٤١ ـ ٤٤].

(أَيوبَ) في الآيةِ منصوبٌ لأنه بدلٌ من المفعولِ به (عبدَنا).

يخبرُنا اللهُ أنَّ أَيوبَ عليه السلام لجأ إِليه ودعاه وناداه، طالباً كشفَ ضرّه، وإزالةِ النُّصْبِ الذي مَسَّه به الشيطان، وهو التعبُ والابتلاءُ والمرض، الذي أُصيبَ به، فصبرَ واحتسب.

لقد كانَ أَيوبُ عليه السلام قدوةً في الصبرِ على البلاء، والرضا بقَدَرِ الله، ولم يُفَصِّل القرآنُ الابتلاءَ الذي ابتلاهُ اللهُ به، في نفسِه وأَهلِه وماله، ولم يُبيّنْ ذلك رسولُ الله ﷺ.

وتكلَّمَت الإسرائيلياتُ كثيراً عن ابتلاءِ أَيّوب، والمرضِ الذي أَصابَه، وتفاصيلِ محنتِه، وروى كثيرٌ من المؤرِّخين والمفسّرين تلك الإسرائيليات التي لم تصحّ، والتي يتعارَضُ كثيرٌ منها مع نبوّةِ أيوبَ عليه السلام.

ولا يجوزُ لنا إيرادُ تلك الإسرائيليات، وتفسيرُ كلام الله بها، فما أَبهمه القرآنُ من قصتِه وابتلائِه نُبقيه على إِبهامِه، وما سكتَ عنه القرآنُ نسكتُ عنه، ويَسعُنا ما وسعَ الصحابةَ في ذلك.

ولما أرادَ اللهُ كشفَ الضرِّ عن أيوب عليه السلام، ومعافاتِه من المرض الذي حَلَّ بجسمِه، أنبعَ عينَ ماءٍ باردٍ، وأمرهُ أَنْ يغتسلَ بذلك الماء، وأَنْ يشربَ منـه، فذهبَ عنه المرضُ الظاهري في جسمه، والباطنيُّ في بدنه، ثم عَوَّضَهُ اللهُ ما فقدَه من مالِه وأَهلِه، وآتاهُ أَهلَه ومثلَهم معهم، مكافأةً له على صبرِه وعبوديّتِه لربِّه.

* * *

١٣ ـ بابل

بابل: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجمة.

وقد وردَ هذا الاسمُ مرةً واحدةً في القرآن. وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(بابلَ) في الآيةِ مجرورٌ بالباء، وعلامةُ جَرِّهِ الفتحةُ بدلَ الكسرة، لأنَّه ممنوعٌ من الصرف.

تتحدَّثُ الآيةُ عن السحرِ والسحرةِ في مدينةِ (بابلَ)، وعن نزولِ المَلَكَيْن هاروتَ وماروتَ إلى الناس في بابل. قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ اليهودَ تركوا الحق، واتّبعوا الباطلَ والكذبَ، الذي كانتْ تتلوهُ الشياطينُ وتخبرُ به، عن مُلْكِ سليمان عليه السلام، حيث كانت الشياطينُ تزعمُ أنَّ سليمانَ عليه السلام كان ساحراً، وكان يحكمُ الناسَ بالسحر، وهم كاذبون في هذا التقوُّل والزعم، فسليمانُ عليه السلام لم يكفرْ ولم يكن ساحراً، والذين كفروا هم الشياطين الذين كانوا يُعَلِّمون الناسَ السحر.

واتبعَ اليهودُ أيضاً السحرَ الذي أُنزلَ على المَلَكيْن هاروتَ وماروت، اللَّذَيْن أَنزلَهما اللهُ إلى أهلِ بابل، لتحذيرِهم من السحرِ، بكشفِه وإزالةِ الغموضِ عنه، فكان المَلَكان هاروت وماروت يُعَلِّمانِ الناسَ السحرَ في بابل، ويوصيانهم بعدمِ ممارستِه وتطبيقِه، ويقولانِ لهم: السحْرُ كفر، فلا تكفروا بممارسةِ السحر، ونحنُ نُعلّمكم السحرَ لإزالةِ غموضِه وكشفِ سرِّه، لئلا تخافوا من السَّحَرة.

ولما عادَ المَلَكان هاروتُ وماروتُ إلى السماءِ خالفَ الناسُ في بابلَ وصيتَهما، وصاروا يُمارسونَ السحر، ويُفرّقون به بين المرءِ وزوجِه، ويوقعونَ الضررَ في الناس، علماً أنَّ الضررَ لا يُصيبُ أحداً إلاّ بإذنِ الله، وما السحرُ إلاّ سببٌ فقط!.

وكلامُنا هنا عن (بابل)، وسنتكلَّمُ عن المَلَكَيْن هاروتَ وماروتَ فيما بعد إن شاءَ الله.

جَرَتْ أَحداثُ قصةِ المَلَكيْن هاروتَ وماروتَ في مدينةِ بابل، كما صَرَّحت الآية.

و(بابل) مدينةٌ في العراق، على شاطئ نهر الفرات، وهي من أقدمِ مدنِ العالمِ في التاريخ.

ومما قالَـه عنها يـاقوتُ في (معجم البلدان): «بابل: اسمُ ناحية، منها الكوفةُ والحِلَّة، يُنسَبُ إليها السحرُ والخمرُ. قالَ الأخفش: لا يَنصرفُ لتأنيثِه، وذلك أنَّ اسمَ كلِّ شيءٍ مؤنَّثٍ إذا كان عَلَماً، وكان على أَكثرَ من ثلاثةِ أحرف، فإنه لا يَنصرف.

والكِلْدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابلَ في الزمن الأول. ويُقال: إنَّ أَوَّلَ مَنْ سكنَها هو نوحٌ عليه السلام...»[1].

وكانتْ بابـلُ عاصمـةَ الآشوريين، وكان ملكُهم (بُخْتُنَصَّر)، كما كانتْ عاصمـةَ البابليين، ومن أشـهرِ ملوكِهم (حمورابي). ودمَّـرَ بابـلَ الإسـكندرُ المقدوني في القرن الثالث.

ولما أفسدَ اليهودُ في الأرضِ المقدَّسةِ بعد سليمان عليه السلام، سلَّطَ اللهُ عليهم بختنصر. فدمَّرَ مملكتَهم، وساقَهم أَسرى من بيتِ المقدس إلى بابل، حيثُ أَقاموا فيها إلى أَنْ قضى الفُرْسُ على الآشوريين، ثم أعادوا اليهودَ إلى بيتِ المقدس.

---

(١) معجم البلدان: ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠.

وجرتْ أَحداثُ قصةِ هاروتَ وماروتَ في بابل، أثناءَ السبي اليهوديِّ إلى بابل، لأنَّ اليهودَ مشهورونَ بالسحر، وكانوا يُخيفونَ أَهلَ بابلَ بسحرِهم، ويَنشرونَ عليهم أكاذيبَهم بشأنِ سليمان عليه السلام والسحر، فأَنزلَ اللهُ هاروتَ وماروتَ إلى أَهلِ بابل، ليكشفا سِرَّ السحر، ويُبيّنا للناسِ أكاذيبَ اليهود.

إنَّ (بابلَ) اسمٌ أعجمي، وليس عربياً مشتقّاً، وهو اسمٌ لتلك المدينةِ التاريخية القديمة. ولا نبحثُ له عن معنى في اللغة العربية.

ولا نصدِّقُ أَكاذيبَ اليهودِ التي سجَّلوها في العهدِ القديمِ عن معنى اسم (بابل)، وأنَّه مشتقٌّ من البلبلةِ والتفرُّق، حيثُ زعموا أنَّ أهل مدينةِ بابل بَنَوا برجاً عظيماً عالياً في السماء، فرأى (الرَّبُّ) ما يفعلون، وخشيَ أن يتمكَّنوا من الصعودِ للسماء! فأَمَرَ المَلَكَ أَنْ يَنزلَ عليهم، وأَنْ (يُبَلْبِلَ) أَلسنتَهم ويفرقَهم! فسُمِّيَتِ المدينةُ (بابل) من البلبلةِ والتفرُّق!!.

* * *

١٤ ـ جالوت

جالوتُ: اسمُ علَمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَمية والعُجمة.

وقد وردَ ثلاثَ مراتٍ في القرآن، كلُّها في قصّةِ (طالوت) في سورة البقرة:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

(جالوت) في الآيـة مجرورٌ بالبـاء، وعلامةُ جَرِّه الفتحة لأنّه ممنوعٌ من الصرف.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة: ٢٥٠].

(جالوتَ) في الآية مجرورٌ باللام، وعلامةُ جره الفتحةُ بدلَ الكسرة.

٣ ـ قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(جالوتَ) في الآية مفعولٌ به منصوب، وعلامةُ نصبِه الفتحة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (جالوتَ) علمٌ عربيٌّ مشتقٌّ من (الجَوَلان)، تقول: جالَ، يَجولُ، جَوْلاً وجَوَلاناً، والواوُ والتاءُ فيه للمبالغة!.

وقد ذكرَ السمينُ الحلبيُّ القولَيْن فيه، ورجَّحَ أَعجميته. قال: «في (جالوت) قولان: أَظهرُهما أنَّه أعجميٌّ لا اشتقاقَ له، فلذلكَ مُنِعَ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجمة. وهو اسمُ ملكٍ جبّار، وقصتُه مشهورةٌ مع داود عليه السلام.

والثاني: أنَّه مشتقٌّ من (جال)، ووزْنُه (فَعَلوت)، مثل: رَهَبوت. والأَصْل (جَوَلوت)، فقُلبت الواوُ ألفاً. وهذا ليسَ بشيء..»[1].

---

(١) عمدة الحفاظ: ١/ ٣٨٣.

والزَّعمُ أنَّ (جالوتَ) عربيٌّ مشتقٌّ من الجَوَلان ليس بشيء، كما قالَ الإمامُ السمينُ الحلبي، والراجحُ أنه اسمُ علمٍ أَعجمي، لأنَّه في الآياتِ الثلاث ممنوعٌ من الصرف.

و(جالوتُ) زعيمُ القومِ المُعادين، المُحاربين لبني إسرائيل، كما ذكرتْ ذلك قصةُ طالوت في الآيات: ٢٤٦ ـ ٢٥١ من سورة البقرة.

فبعدَ إقامةِ بني إسرائيل في الأرضِ المقدّسة، تمرَّدُوا على رسلِهم، وعصوا الله، فأضعفَهم الله، وسلَّطَ عليهم أعداءَهم، الذين حارَبوهم وأَذَلُّوهم وهزموهم، وأَخذوا منهم التابوت.

وبعدَ ذلك اختارَ اللهُ لبني إسرائيل طالوتَ ملكاً، فقادَهم لقتالِ أَعدائِهم الذين كانوا بقيادةِ (جالوت)، وساروا مع طالوت مُرْغَمين مُكْرَهين.

ومَرَّ جيشُ طالوتَ بنهر، ونهاهم طالوتُ عن الشربِ منه، وأَباحَ لكلٍّ منهم شربةً يغرفُها بيده، ولكنهم خالَفوا أَمره وشربوا حتى ارتووا، ففصَلَهم طالوتُ من الجيش، ولم يلتزمْ بأَمرِه إلا أَفرادٌ قلائل، فسارَ بهم لحربِ جالوتَ وجنوده..

ولما رأوا كثرةَ جيشِ جالوت خافوا وفَزِعوا، وقالوا لطالوت: لا طاقةَ لنا بجالوتَ وجنودِه، ولا قدرةَ لنا على قتالِهم.

فشجَّعهم مقاتلون شجعان في الجيش، وقالوا لهم: كم من فئةٍ قليلةٍ غلبَتْ فئةً كثيرةً بإذنِ الله، واللهُ مع الصابرين.

ونشبَت المعركَةُ بين جيشِ طالوتَ المؤمنِ وجيشِ جالوتَ الكافر، ولجأَ الجنودُ المؤمنون إلى ربِّهم، وقالوا: ربَّنا أَفرِغْ علينا صبراً وثَبِّتْ أَقدامَنا وانصُرْنا على القومِ الكافرين.

وكتبَ اللهُ لجنودِه القلائلِ النصرَ على أَعدائِهم الكثيرين، وهزمَ جيشُ طالوتَ المؤمنُ جيشَ جالوتَ الكافر، وبرزَ فتى من وسطِ الجنودِ المؤمنين ـ هو داود ـ وهجمَ على قائدِ الكفار جالوت فقتله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾.

هذا ما ذكَرَهُ القرآنُ عن (جالوت)، ولم يُفَصِّلْ في الحديثِ عنه، ولم يحدِّد

اسمَ القومِ الذين كان قائداً لهم، ولا زمانَ ومكانَ واسمَ المعركةِ الفاصلةِ التي هُزِمَ جيشُه فيها، وقُتِلَ فيها على يدِ داود.

وقد تحدَّثَتْ أَسفارُ العهدِ القديم بالتفصيل عن تلك المعركة، وذكروا فيها أساطير وخرافاتٍ ورواياتٍ باطلة حول مقلاع داود وحجره، وتفاصيل قتلِه لجالوت. ونحنُ على منهجِنا في رفضِ الإسرائيليات، وعدمِ ذكرِها في دراساتنا لآياتِ القرآنِ ولله الحمد.

وفي أرضِ فلسطين قريةٌ تُسمى (عين جالوت)، بين طبريةَ وبيسان، وقد وقعَتْ فيها معركةٌ فاصلةٌ بين المسلمين بقيادةِ قطز والظاهر بيبرس، وبين التتار، هـزمَ اللهُ فيها التتـار، وكانت نهايتُهم بعدهـا، ولا ندري الصلـةَ بين هذه القرية وبينَ جالـوت المذكورِ في القرآن، وهل كان مقيماً في تلـكَ المنطقة من فلسطين أم لا؟!!.

* * *

١٥ ـ جبريل عليه السلام

جِبْريلُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف.

وقد وردَ ثلاثَ مراتٍ في القرآن:

١ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧].

(جِبْريلَ) في الآيةِ مجرورٌ بحرفِ الجر، وعلامةُ جَرِّه الفتحة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

٣ ـ قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [التحريم: ٤].

(جِبْريلُ) في الآيةِ مرفوع، لأَنَّه معطوفٌ على خبرِ (إنَّ) (مولاه).

وجبريلُ اسمٌ كريم، سُميَ به المَلَكُ الموكَّلُ بالوحي، الذي يأْمره اللهُ بإنزالِ وحيِه وكلامِه على رسلِه، فهو أَمينُ الوحي عند الله، وهو السفيرُ إلى رسله عليهم الصلاة والسلام.

واختلفَ المفسّرون واللغويون فيه، فذهبَ المحقِّقون منهم إلى أنه اسمٌ أعجمي، وليسَ عربياً مشتقاً. وذهبَ آخرون إلى أنه اسمٌ عربيٌّ مشتق، وأَنَّ جَذْرَه الثلاثي (جَبَر).

والراجحُ أنّه أَعجميٌّ وليس عربياً مشتقاً، فلا نبحثُ له عن معنى في العربية.

قال أبو حيان الأندلسي في (البحر المحيط): «جِبْريل: اسمُ مَلَك، عَلَمٌ له، وهو الذي نزلَ بالقرآنِ على رسولِ الله ﷺ.

وهو اسمٌ أَعجميٌّ ممنوعٌ من الصرف، للعلَميةِ والعُجمة. وأَبعدَ مَنْ ذهبَ

إلى أنّه مشتقٌّ من جَبَروتِ الله. ومَنْ ذهبَ إلى أنه مركَّبٌ تركيبَ الإضافة، ومعنى (جَبْر): عَبْد، و(إِيل): اسمٌ من أسماءِ الله.. لأنَّ الأعجميَّ لا يدخلُه الاشتقاقُ العربي، ولأنه لو كانَ مركَّباً تركيبَ الإضافةِ لكانَ مصروفاً...

وقد تصرَّفَتْ فيه العرب، على عادتِها في تغييرِ الأسماءِ الأعجمية، حتى بلغَتْ فيه إلى ثلاثَ عشرةَ لغة...»[1].

وفي (جبريل) ثَلاثُ قراءات:

الأولى: قراءةُ نافعٍ، وابنِ عامر، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: «جِبْرِيل»، بكسرِ الجيمِ والراء، على وزْن (قِطْمير).

وهذه لغةٌ في (جبريل). وشاهِدُها قولُ حسانَ بن ثابت رضي الله عنه:

وَجِبْرِيلٌ رسولُ اللهِ فينا ... وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ

الثانية: قراءةُ ابنِ كثير المكي: «جَبْرِيل» بفتحِ الجيم وكسرِ الراء. وهي لغةٌ أُخرى في الكلمة، على وزْن: (صَمْوِيل).

الثالثة: قراءةُ حمزةَ، والكسائي، وشعبةَ عن عاصم: «جَبْرَئِيل» بفتح الجيمِ والراء. وهي لغةٌ ثالثةٌ في الكلمة، وشاهدُها قولُ كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

شَهِدْنا فَما تَلْقَى لَنا مِنْ كَتيبَةٍ ... مَدَى الدَّهْرِ إلاَّ جَبْرَئيل أَمامها

وهذه القراءاتُ الثلاث[2] متوافقةٌ مع اللغاتِ الثلاثِ في النطقِ بالكلمة، وتؤكدُ كونَ الكلمةِ أَعجمية، تَصَرَّفَ العربُ في النطقِ بها، كما قالَ أَبو حيان الأندلسي.

و(جِبْريل) عليه السلام أَفضلُ الملائكةِ وإمامُهم، وموصوفٌ في القرآن بصفات، منها: روحُ القُدُس، والروحُ الأمين، والروح.

---

(١) البحر المحيط: ١/ ٥٠٩.

(٢) انظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، ص١٠٧.

وهو أَمينُ وحيِ اللهِ إلى رسلِه جميعاً، وهو الذي حَمَلَ القرآنَ إلى رسولِ الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤].

وزعمَ اليهودُ أنَّ بينَهم وبين جبريل عداوةً، لأنَّه كان يَنزلُ عليهم بالعذابِ والإهلاك، كما زَعموا أنَّ (ميكائيل) يحبُّهم، ووردَ هذا الزعمُ عندما قابَلَهم رسولُ الله ﷺ في المدينة، وأقامَ عليهم الحجّة، فقالوا له: أَخبرْنا مَنِ الذي يأتيكَ من الملائكةِ بالوحي؟.

قالَ لهم: يأتيني جبريل!.

فقالوا له: هذا عدوُّنا من الملائكة، لأنَّه ينزلُ علينا بالعذاب، ولو كان الذي يأتيكَ بالوحي ميكائيل لآمنَّا بك واتّبعناك!.

فأَنزلَ اللهُ في تكذيبهم قولَه تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨].

والموضعُ الثالثُ لذكْرِ جبريلَ عليه السلام في سياقِ تهديدِ اثنتين من أَزواجِ رسولِ الله ﷺ، هما عائشةُ وحفصةُ رضي الله عنهما، عندما أخطأَتا أمامَ رسولِ الله ﷺ، في حادثةٍ روتْها كتبُ التفسيرِ والحديثِ والسيرة[1]، فأنزلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤].

وكان جبريلُ عليه السلام يأتي إلى الرسولِ ﷺ أَحياناً في صورةِ رجلٍ غريبٍ غيرِ معروف، وأَحياناً في صورةِ أجمل الصحابة (دِحْيَةَ بن خليفةَ الكلبيِّ رضي الله عنه).

وهو الذي قادَ الملائكةَ الذين أتوا مدداً للمسلمين في معركةِ بدر.

* * *

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لسورة التحريم.

١٦ ـ جهنم

جَهَنَّمُ: اسْمٌ للنارِ التي يُعذِّبُ اللهُ بها مَنْ شاءَ من عبادِه المذنبين والكافرين.

وقد وردَتْ في القرآنِ سبعاً وسبعين مرة، في سورٍ مكية ومدنية.

واختلفَ العلماءُ فيها، فقالَ بعضُهم: هي اسمُ علم أَعجمي، ليستْ عربيةً مشتقة، وليس لها معنى في العربية، وأُطلِقَت اسماً للنار. وقالَ آخرون: بل هي كلمةٌ عربيةٌ مشتقَّة، جذْرُها الثلاثي (جَهْمَ).

قال عنها الجواليقيُّ في (المعرَّب): «قالَ ابنُ الأنباري: في جهنّمَ قولان:

قالَ يونسُ بنُ حبيب وأَكثرُ النحويين: جهنمُ اسمٌ للنار التي يُعذِّبُ اللهُ بها في الآخرة. وهي أَعجمية، لا تُجْرى [ممنوعة من الصرف] للعلَميةِ والعُجمة.

وقيلَ: هي عربية، ولم تُجْرَ [ممنوع من الصرف] للعلميةِ والتأنيث. وحُكِيَ عن (رُؤْبَةَ) أنَّه قال: رَكِيَّةٌ جِهِنَّام، أَيْ: بَعيدةُ القَعْر»[١].

وأوردَ ابنُ منظور في (لسانِ العرب) الاختلافَ في جهنّم، هل هي أَعجميةٌ أم عربية مشتقة، وخلاصةُ ما قالَ حولَ ذلك: «الجِهِنّامُ: القَعْرُ البعيد. وبئرٌ جهنم: بعيدةُ القعر.. وبه سُميتْ جهنمُ لبُعْدِ قعْرِها.

وقال الجوهري: جهنمُ من أسماءِ النارِ التي يُعذِّبُ الله بها عبادَه. ولا يُجرى للمعرفةِ والتأنيث. ويقال: هو فارسيٌّ مُعَرَّب.

وقال الأزهري: في جهنم قولان: قيل: هي أعجمية، لا تُجرى للتعريفِ والعُجمة. وقيلِ: جهنمُ اسمٌ عربي، سُميت نارُ الآخرةِ به لبُعْدِ قَعْرِها، وإنما لم تُجْرَ لثِقَلِ التعريف وثِقَلِ التأنيث.

وقيل: هو تعريبُ كلمةِ (كِهِنّام) بالعبرانية.

---

(١) المعرب، ص١٥٥.

وقالَ ابنُ خالويه: بئرٌ جِهِنَّام: للبعيدةِ القَعْر، ومنه سُميتْ جهنم. فهذا يدلُّ على أنّها عربية»[1].

وذكرَ السمينُ الحلبيُّ في (عمدة الحفاظ) الاختلافَ في (جهنم) فقال: «جهنم: أعاذَنا اللهُ منها: اسمٌ لنارِ اللهِ الموقَدَة.

قال بعضُهم: هي فارسيةٌ معَرَّبة، وأَصلُها (جِهِنّام)، وأكثرُ النحويين على ذلك، كما نقله الراغب، فعلى هذا مُنِعَ صرفُها للعلَمية.

وما قالَه غيرُ مشهورٍ في النقل، بل المشهورُ عندَهم أنّها عربية، وأنَّ مَنْعَها للعلَمية والتأنيث.

وحكى قطرب عن رُؤْبَة: رَكِيَّةٌ جِهِنَّام، أي بعيدةُ القعر. واشتقاقُ جهنم من ذلك لبُعْدِ قعْرِها»[2].

من هذه الأقوال يتبينُ اختلافُ العلماءِ في (جهنم):

فقالَ بعضُهم: هي كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (جَهْنَمَ) الرباعي، على وزن (فَعْلَلَ)، وهو ما كانَ بعيدَ القعْر، وسُميتْ جهنمُ بهذا الاسم لبُعدِ قعرِها. وهي ممنوعةٌ من الصرفِ للعلميةِ والتأنيث.

وقالَ أكثرُ النحويين: هي كلمةٌ أَعجمية، ليس لها مادةُ اشتقاق، ولا معنى في العربية، وأُطلِقَت اسماً على نارِ اللهِ الموقَدَة التي يُعَذِّبُ اللهُ بها من يشاء. وهي ممنوعةٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجْمة.

ولكلٍّ فريقٍ حجَّتُه اللغوية، ومع أنَّ القولَ بعربيتها واشتقاقِها ليس بعيداً، إلاّ أننا مع الفريقِ القائلِ بأَعجميتِها، ولهذا ذكرناها ضمن (الأسماءِ الأعجمية في القرآن) والله أعلم.

وقد وردَتْ (جهنمُ) سبعاً وسبعين مرةً في القرآن: في سورِ: البقرة، وآلِ عمران، والنساء، والأعراف، والأنفال، والتوبة، وهود، والرعد،

---

(١) لسان العرب: ١٢/ ٢١٢.

(٢) عمدة الحفاظ: ١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

وإبراهيم، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف، ومريم، وطـه، والأنبياء، والمؤمنون، والفرقان، والعنكبوت، والسجدة، وفاطر، ويـس، وصّ، والزمر، وغافر، والزخرف، والجاثية، والفتح، وقّ، والطور، والرحمن، والمجادلة، والتحريم، والملك، والجن، والنبأ، والبروج، والفجر، والبيّنة.

والسورُ التسعُ والثلاثون التي وردتْ فيها، شملت القرآن المكيَّ والقرآنَ المدني، كما أنّها شملَتْ مختلفَ السورِ من السبعِ الطوالِ إلى السورِ القصار.

* * *

١٧ ـ داود عليه السلام

داودُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنه اسمٌ عربيٌّ مشتقّ من (دَوَدَ).

قال الفيروزآبادي: «داودُ: اسمٌ أَعجميٌّ ممنوعٌ من الصرف. وقيل: معنى داود: قصيرُ العمر، وكان داودُ أَقصرَ الأنبياءِ عمراً. وقيل: معنى (داود): داوىٰ جُرحَه بوُدّ. وقيل: إنما سُميَ داودَ لأنّه داوى الذنوبَ بوُدِّه الودود. وقيل: داوىٰ ذنبَه وَوَدَّ ربَّه!»[1].

إنَّ مَنْ ذهبوا إلى أنَّ (داودَ) عربيّ مشتقّ، اعتبروه مكوَّناً من جزأَين: المداواة والمعالجة في (داوَ). والودّ والحبّ في (ود). فصارَ معنى (داوود) الذي يداوي ويعالجُ بوُدّ وحبّ!.

وهذا تعليلٌ غريبٌ على اللغةِ العربيةِ ومعاني أُصولها. فهو مرفوض.

إنَّ (داودَ) اسمُ علمٍ أعجمي، فلا نبحثُ له عن أَصْلٍ اشتقاقيٍّ في العربية، كما لا نبحثُ له عن معنى أيضاً!.

وقد وردَ (داودُ) ستَّ عشرةَ مرةً في القرآن: مرةً في كلٍّ من سور: البقرة، والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء. ومرتين في سور: الأنبياء، والنمل، وسبأ. وخمسَ مرات في سورةِ صَ.

وداودُ عليه السلامُ نبيٌّ رسول، وملكٌ خليفة، كان ملكاً على بني إسرائيل.

وكان بدءُ أَمْرِ داودَ عليه السلام في قصةِ طالوت، حيثُ كانَ مجرَّدَ جنديٍّ في جيشِ طالوتَ المؤمن، واشتركَ في المعركةِ الفاصلةِ ضدَّ جالوتَ وجنودِه الكافرين، وقتلَ الجنديُّ المؤمنُ داودُ القائدَ الكافرَ جالوت، وانهزمَ الكفارُ بعدَ قتْلِ قائدهم.

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٨٣.

وصارَ داودُ بعد ذلك مَلِكاً على بني إسرائيل، وآتاهُ اللهُ النبوةَ والعلمَ والمُلكَ والحُكم، وبذلك جمعَ بين النبوةِ والمُلك.

وكانت فترةُ مُلْكِ داودَ على بني إسرائيل فترةً ذهبية، وعُمْرُ مملكتِهم في الأرضِ المقدَّسةِ كان قصيراً، لعلَّه لم يَزِدْ على قرنٍ من الزمان، وبلغت المملكةُ أَوْجَ قوتِها أثناءَ ملك النبيَّيْن داود وابنِهِ سليمانَ عليهما السلام، وسرعانَ ما سقطَتْ بعدَ ذلك سقوطاً سريعاً!.

وأنزلَ اللهُ على داودَ عليه السلام الزبورَ، الذي هو مكملٌ للتوراةِ التي أَنزلَها على موسى عليه السلام، والزَّبورُ أَحدُ كتبِ اللهِ الأربعةِ التي يجبُ على كلِّ مسلمٍ أَنْ يؤمنَ بها. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وآتى اللهُ داودَ عليه السلام صوتاً حسناً جميلاً في ذكْرِ اللهِ وتسبيحِه، وأجرى له معجزةً ربانية، فعندما كان يسبِّحُ كانت الجبالُ والطيرُ تسبِّحُ معه، ويسمعُ صوتَها وهي تسبّح، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وعَلَّمَ اللهُ داودَ عليه السلام صنعَ الدروع الحديديةِ القوية، التي يلبسُها جنودُه في الحرب، وتَحميهم من الأخطارِ بإذنِ الله، وكان ماهراً في إتقانِ هذه الصناعةِ الحديدية، وأشارَ إلى هذا قولُه تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١].

وأشارَ القرآنُ إلى حادثةِ داودَ عليه السلام مع الخصْمَين، اللذيْن تسوَّرا المحراب، ودخَلا عليه، ولما فزعَ وخافَ منهما طمأَناه، وعرضَ أحدُهما القضية: يملكُ أَحدُهما تسعاً وتسعين نعجة، ويملكُ الآخرُ نعجةً واحدة، فطمعَ صاحبُ النعاج الكثيرةِ بنعجةِ صاحبِه، وأرادَ ضمَّها إلى نِعاجِه، فحكم داودُ عليه السلام بأنّه ظالمٌ لطمعِه في نعجةِ صاحبه، ثم عَلمَ أنه تسرَّعَ في حكمه، فاستغفرَ ربَّه وسجدَ له.

وكانَ ابنُه سليمان عليه السلام يساعدُه في ملكِه وإدارتِه للبلاد. وذكرَ القرآنُ استدراكَ سليمانَ على أبيه عليهما السلام في حكمٍ أصدره، وعَدَّلَه له، فأَخذَ الأبُ بحكمِ الابن. قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ

نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩].

تُشيرُ الآيتان إلى حرثٍ لأحدِهم، وهو أرضٌ مزروعةٌ زرعاً، فنزلتْ فيه غنمٌ لآخرَ ليلاً ورعَتْه وأكَلَتْه، فحكمَ داودُ لصاحبِ الأرضِ المزروعةِ على صاحبِ الغنمِ الآكلة، ولما علمَ سُليمانُ عليه السلام بحكْمِ أبيه استدركَ عليه، وأصدرَ حكماً آخر، فَهَّمَهُ اللهُ إياه، ورضيَ الأبُ بحُكْمِ الابن.

ولا توضِّحُ الآياتُ تفاصيلَ القضية، ولا حكْمَ داودَ وحكْمَ سليمان المعدِّلَ له، ولا تَعنينا معرفةُ تلك التفاصيل، ونعتبرُها من مبهماتِ القرآن.

وكانَ داودُ عليه السلام من أكثرِ المؤمنين عبادةً وذِكراً لله، ولم يُشغلْه ما هو فيه من ملْكٍ كبيرٍ عن عبادةِ اللهِ وذكْرِه وشكْرِه. وقد أَخبرَنا رسولُ الله ﷺ أنه كان يصومُ يوماً ويُفطر يوماً، وكان يصلّي بالليل كثيراً، ويقرأُ كتابَ الله (الزبور) دائماً.

وداودُ النبيُّ الرسولُ الملكُ الوحيدُ الذي أَخَذَ لقبَ خليفة، وذلك في قولِ اللهِ له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صَ: ٢٦].

ولم يُطْلَقْ لقبُ (خليفة) في القرآنِ إلاّ على نبيَّيْن: آدمَ عليه السلام في سورة البقرة، وداودَ عليه السلام في سورةِ صَ.

وهذا يشيرُ إلى معنى إيمانيٍّ إسلاميٍّ خاصٍّ، في مُلكِ داود لبني إسرائيل، ففترةُ حكْمِه وملْكِه يعتزُّ بها المسلمون، لأنَّ حكمَه لم يكن يهودياً إسرائيلياً ـ مع أنّه إسرائيليٌّ من حيثُ النسب ـ وإنما كان حكماً إسلامياً إيمانياً، ولذلك وصفَه اللهُ بأنّه خليفة.

وداودُ عليه السلام بريءٌ من اليهود الكافرين، وإنْ تَمسَّحُوا به، وادَّعَوْا أنّهم على دينه، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨].

* * *

١٨ - زكريا عليه السلام

زكريا: اسمُ علمٍ أَعجميٌّ، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وهو اسمٌ لنبيٍّ كريم من أنبياءِ بني إسرائيل، عليهم الصلاة والسلام. ووردَ اسْمُه سبعَ مرات في القرآن: ثلاثَ مراتٍ في سورةِ آل عمران، ومرتيْن في سورةِ التحريم، ومرةً في سورةِ الأنعام، ومرةً في سورةِ الأنبياء.

وفي (زكريّا) لغتان: زكريّا، بالقصر. و: زكريّاء، بالمد.

ولذلك في الكلمةِ قراءتان عشريتان:

الأُولى: قراءةُ حمزةَ، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: «زكريّا» بالألف بعدَ الياءِ المشدّدة.

الثانيةُ: قراءةُ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو، وأبي جعفر، ويعقوب، وشعبة عن عاصم: «زكريّاء» بالهمزةِ بعد الألف.

وهما لغتانِ في الكلمة، وإنْ كانتْ (زكريا) من دونِ همزةٍ أَشبهَ بموافقةِ أَسماءِ باقي الأَنبياءِ كموسى وعيسى ويحيى عليهم السلام، إذ ليس في آخرِ أَسمائِهم همزة.

وهو من آخرِ أَنبياءِ بني إسرائيل، وكان متزوّجاً بأُختِ مَرْيَمَ ابنةِ عمران رضي الله عنها، وعاشَ مع امرأتِه مدةً طويلة، وكانتْ عاقراً لا تحمل، ولما كانت امرأةُ عمرانَ حاملاً، نذرتْ ما في بطنِها محرّراً لله، ولما وضعتْ حملَها إذا هي أُنثى، فسمَّتْها مريم، وسألت اللهَ أن يحفظَها، فاستجابَ اللهُ دعاءَ المرأةِ الصالحة، حيث كَفَّلَ مريمَ رسولَه زكريا عليه السلام، وهو زوجُ أُختِها، فعاشَتْ في رعايةِ أُختِها، ونشأَتْ في بيتِ زكريا نشأةً إيمانيةً صالحة.

ولمّا كبرتْ مريمُ وهي في كفالةِ زكريا عليه السلام، رزقَها اللهُ بابنِها عيسى عليه السلام آيةً من آياته.

عندَ ذلكَ دعا زكريا عليه السلام ربَّه، وطلبَ منه أنْ يرزقَه بغلامٍ زكي، وهو يوقنُ أنَّ اللهَ قادرٌ على فعلِ ذلك، فالذي جعلَ الفتاةَ العذراءَ تحملُ بغلامٍ بأمرِه سبحانه، قادرٌ على إزالةِ عقمِ امرأتِه، وجعْلِها تلدُ غلاماً.

فأنزلَ اللهُ له مَلَكاً يحملُ له البشرى، بأنَّ اللهَ سيرزقُه بغلامٍ اسْمُه يحيى.

فوجئ زكريا عليه السلام بالبشرى، فسألَ المَلَكَ قائلاً: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].

أجابَه المَلَكُ بأنَّ هذه إرادةُ الله، واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير، وليس عليه شيءٌ مستحيل. قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [مريم: ٩].

عند ذلك طلبَ زكريا عليه السلام آيةً معجزةً يقدمُها لقومِه، فجعلَ اللهُ له آية في ذاتِ نفسه.. لقد أمسكَ اللهُ لسانَه عن الكلامِ عندما يواجه الناس، بينما ينطلقُ لسانُه بالكلام إذا كان وحده، وذلك لمدةِ ثلاثةِ أيام.

وخرجَ زكريا عليه السلام على قومِه من المحراب، وفوجئوا به يتعاملُ معهم بالإشارة، حيثُ أشارَ لهم بيديْه، أَنْ يسبِّحوا اللهَ في الصباح والمساء، وسألوه عن سِرِّ عدمِ نطقِه فلم يجبْهم، لعجْزِه عن الحديثِ معهم. وبعدَ انقضاءِ الأيامِ الثلاثةِ كلَّمَ زكريا عليه السلام قومَه، وأخبرَهم أنَّ اللهَ هو الذي أَمسكَ لسانَه ـ فكانَ صمتُه أمامَهم صمتاً لا إرادياً ـ ثم أخبرَهم أنَّ اللهَ جعلَ ذلك آيةً له، لأنَّه سيهبُه بعد ذلك غلاماً!.

إنَّ اللهَ الذي أمسكَ لسانَ زكريا عليه السلام عن الكلام عند مخاطبةِ الناس، هو الذي سيصلحُ له زوجَه، ويُزيلُ ما بها من عُقْم، ويجعلُها قادرةً على الإنجاب، حيث أَنجبَت ابْنَهُ يحيى عليه السلام.

لقد أَجرى اللهُ لامرأةِ زكريا آيةً؛ حيثُ أزالَ عقمَها بعدما بلغتْ سنَّ اليأس، وأَنجبَتْ يحيى عليه السلام، بينما أجرى لأُختِها مريم آيةً أَوضحَ وأَعجب، حيثُ جعلَها تنجبُ عيسى عليه السلام وهي الفتاةُ العذراءُ البتول، وكلتاهما آية!.

ولم يُفصِّل القرآنُ الحديثَ عن قصةِ زكريا عليه السلام ودعوتِه، وما جرى بينه وبين قومِه من بني إسرائيل، وكيفَ كانتْ وفاتُه، وهذا من مبهماتِ القرآن

التي لا نُحاولُ بيانَها من الإسرائيليات!.

وقد ذكرَ الإخباريّون أنَّ اليهودَ قتلوا زكريا عليه السلام، وأنَّ الشيطانَ هو الذي دلَّهم عليه، عندما هربَ منهم واختفى داخلَ شجرة، فقطعوا الشجرة وقطعوه معها! وهذا الخبرُ لم يردْ عن رسولِ الله ﷺ، فنتوقَّفُ فيه، ولا نقولُ به!.

* * *

١٩ ـ سليمان عليه السلام

سليمانُ: اسْمُ علمٍ أعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة.

قال الجواليقيُّ في (المعرَّب): «سليمان: اسمُ النبيِّ عليه السلام، عبراني. وقد تكلَّمَتْ به العربُ في الجاهلية. وقال المعَرّي: ولا أعلمُ أنهم سَمّوا به.

وإنما سمّى الناسُ بهذا الاسمِ لمّا شاعَ الإسلام ونزلَ القرآن، فسَمّوا به كما سَمّوا إبراهيم وداود وإسحاق، وغيرِهم من أسماءِ الأنبياء، على معنى التبرّك»[1].

ونقلَ الفيروزآبادي قولَ بعضِهم: إنه عربيٌّ مشتق. قال: «سليمان: اسمٌ أَعجمي، غيرُ منصرف. وقيل: مشتقّ من السّلامة، سُمي به لاستسلامِ أعدائِه له، ولسلامتِه من غوائِلِهم»[2].

والقولُ باشتقاقه مردود، والراجحُ أنّه أَعجمي، ولذلك لا نحاولُ معرفةَ معناه، لأنَّ الأسماءَ الأعجميةَ لا تُعَلَّل ولا تُفَسَّرُ في اللغة العربية.

و(سليمان) هو ابنُ النبيِّ الملكِ داودَ عليه السلام، آتاهُ اللهُ النبوةَ والمُلكَ مثْلَ أَبيه. وقد وردَ اسْمُه في القرآنِ سبعَ عشرةَ مرة: ذُكِرَ في سورةِ البقرةِ مرتيْن، وفي سورةِ الأنبياءِ ثلاثَ مرات، وفي سورةِ النمل سبعَ مرات، وفي سورةِ صَ مرتيْن، ومرةً في سور: النساء، والأنعام، وسبأ.

وقد كانَ سليمانُ عليه السلام مساعداً لأبيه داودَ في حياتِه، ولما توفيَ ورثَه في النبوةِ والرسالة، وفي الملكِ والخلافة، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

ولم يرثْه في الأموالِ والممتلكات، لأنَّ سنةَ اللهِ في الأنبياءِ أنّهم لا يورّثون في الأموالِ ومتاعِ الحياةِ الدنيا، فإنْ تَركوا شيئاً من ذلك كان صدقةً في سبيل الله!

---

(١) المعرب، ص٢٣٩.

(٢) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٨٦.

ودليلُ ذلك ما رواه البخاري ومسلم[1] عن عائشةَ رضي الله عنها، عن رسولِ الله ﷺ قال: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نورَثُ، ما تركْناه صدقة. . .»!.

وكانتْ فترةُ حكمِ سليمان عليه السلام فترةً ذهبية، حيثُ ورثَ عن أبيه مملكةً إسلاميةً قوية، وزادَ هو في قوتِها وامتدادِها.

وقد سَخَّرَ اللهُ لسليمانَ الإنسَ والجنَّ والطيرَ والريح، فكانَ الجنُّ يعملونَ بين يديه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٣].

والجنُّ ماهرونَ في الصناعة، نشيطونَ في العمل، وقد استفادَ سليمانُ عليه السلام من مهارتِهم وإتقانِهم، وصارَ في عهدِه تقدُّمٌ صناعيٌّ كبير، تمثَّلَ في مصنوعاتِهم من المحاريب، والتماثيل، والجِفانِ الكبيرةِ كالجوابي الضخمة، والقدورِ الكبيرةِ الراسيةِ المثبتةِ في الأرض!.

وفَجَّرَ اللهُ لسليمانَ عليه السلام النحاسَ من باطنِ الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ [سبأ: ١٢]. والقِطْرُ هو النحاسُ المُذاب.

وعَلَّمَ اللهُ سليمانَ منطقَ الطير، فكان يفهمُ لغةَ جنودِه من الطير، كما يفهمُ لغةَ الجن.. وبينما كان يسيرُ مع جنودِه من الجنِّ والإنسِ والطير، مَرُّوا على وادي النمل، فسمعَ نملةً تقولُ لقومِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فأُعجبَ سليمانُ بنصحِها لقومِها، وحرصِها عليهم، و﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [النمل: ١٩].

وكانَ الهُدهدُ جندياً في جيشِه، ولما غابَ فَقَدَهُ وهَدَّدَه، ولما عادَ الهدهدُ قدَّمَ لسليمانَ تقريراً عجيباً، عن مملكةِ سبأ في اليمن، وجرى بينهما حوارٌ وأحداث، عَرَضَتْها آياتُ سورةِ النمل.

وسخَّرَ اللهُ لسليمانَ عليه السلام الريح، حيثُ جعلَها تسيرُ بأمره، تحملُ

---

(١) البخاري برقم (٦٧٣٠)؛ ومسلم برقم (١٧٥٨).

الغيثَ والخصبَ والرخاءَ لشعبه، لأنّهم عبدوا اللهَ وأَطاعوه وشكروه.

وكان سليمانُ عليه السلام داعيةً إلى الإسلام، ولما علمَ من الهدهدِ عن ملكةِ سبأ، وعبادتِها وقومِها الشمسَ من دونِ الله، قام بواجبه في دعوتِهم إلى الله، وكلَّفَ الهدهدَ بحملِ رسالةٍ إليهم، جعلَ نصَّها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

ولما رفضَ هديةَ ملكةِ سبأ التي حملَها الوفد، وأَصَرَّ على دعوتِهم إلى الله، علمَ أنهم سيأتونه مسلمين، فطلبَ إِحضارَ عرشِ ملكتِهم قبلَ وصولِها، وقامَ أَحدُ الرجال عنده بإحضار العرش من صنعاءَ إلى القدسِ، قبل أَنْ يرتدَّ طَرْفُ سليمان إليه، وهذا لا يتجاوزُ بِضْعَ ثوانٍ! وكان الأَمْرُ معجزةً من الله، وكرامةً لهذا الرجلِ الصالح، الذي عنده علمٌ من الكتابِ، أجراها اللهُ على يديه.

ولما وصلتْ ملكةُ سبأ مَقرَّ سليمان فاجأَها بمفاجآت، انبهرَتْ بها، وعلمَتْ قوةَ سليمان، وأنّه أقوى منها، وأَنَّ اللهَ معه لأنّه على حقٍّ وهي على باطل، وصَرَّحَتْ قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ودعوةُ سليمانَ عليه السلام إلى الإسلام، تدلُّ على أَنَّ دينَه كان هو الإسلام ـ بمفهومِه العام ـ وأَنَّ حُكْمَه كان حُكماً إسلامياً، وليس حكماً يهودياً، ولا يحقُّ لليهودِ الادّعاءَ بذلك، فرغمَ أنّه كانَ إسرائيلياً من حيثُ النسب، إلا أنه كانَ مسلمَ الدعوةِ والدِّينِ والحكمِ والمنهاجِ والطريق. وهذا ردٌّ على مزاعمِ اليهودِ الكافرين بأنَّهم ورثةُ حكم سليمان، وأنه بنى (الهيكل) الذي يمثِّلُهم.

وبما أَنَّ حكمَ سليمانَ عليه السلام كان إسلامياً، فقد جَدَّدَ بناءَ المسجد الأقصى في بيتِ المقدس، الذي كان أَوّلُ مَنْ بناه هو إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام، ويبدو أنّه في الفترةِ الزمنيةِ بينَ إبراهيمَ وسليمانَ عليهما السلام ـ وتُقَدَّرُ بآلافِ السنين ـ كان قد هُدِمَ وبُنِيَ أكثرَ من مرة، فجدَّدَ سليمانُ عليه السلام بناءَه، ليصلّي فيه المسلمون من شعبه.

روى النَّسائي[١] عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنَّ سليمانَ بنَ داودَ عليهما السلام لما بنى بيتَ المقدس،

---

(١) النسائي: ٢/ ٣٤.

سألَ اللهَ عزَّ وجلّ خلالاً ثلاثة: سألَ اللهَ عزَّ وجلّ حكماً يصادف حكمه، فأوتيه. وسأل اللهَ عزَّ وجلّ حكْماً لا ينبغي لأحدٍ من بعدِه، فأُوتيَه. وسألَ اللهَ عزَّ وجلّ حين فرغَ من بناءِ المسجد أن لا يأتيهِ أحدٌ لا يَنْهَزُهُ إلاّ الصلاةُ فيه، أَنْ يُخرجَه من خطيئتهِ كيوم ولدَتْه أُمُّه...».

فهذا الحديثُ الصحيحُ ردٌّ واضحٌ على مزاعمِ اليهودِ حول (هيكل سليمان)! إنّه لم يَبْنِ هيكلاً يهودياً تلمودياً باطلاً، وإنما بنى مسجداً لعبادةِ اللهِ والصلاةِ فيه.

وجعلَ اللهُ موتَ سليمان عليه السلام آيةً وعبرة، ودليلاً على عدم علم الجنّ بالغيب، فقد كانَ بعضُ الجنِّ يعملونَ أَعمالاً شاقةً لسليمان عليه السلام، وكان هو واقفاً أمامهم، متوكّئاً على عصاه، فأماتَه اللهُ وهو على هذه الحالة، ولم يشعر الجنُّ بموتِه، وأرسلَ اللهُ دابةَ الأرض ـ الأَرَضَة ـ فأَكَلَتْ عصاهُ ونخرَتْها، فكَسَرَت العصا، وسقطتْ جثّةُ سليمانَ عليه السلام على الأرض، وفوجئ الجنُّ بموتِه، الذي مضى عليه ساعات! وبذلك علموا أنهم لا يَعلمون الغيب. وأشارَ إلى هذا قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

وبوفاةِ سليمانَ عليه السلام انتهى العصرُ الذهبيُّ للدولةِ الإسلاميةِ التي أَقامَها على الأرضِ المقدّسة، وانتهت الدولةُ المؤمنةُ لبني إسرائيل، ووقعَ التنازعُ والاختلافُ بين خلفائِه من بعدِه، وانقسمَت الدولةُ اليهويةُ إلى دولتيْن: واحدةٍ في الشمال، وأُخرى في الجنوب، ثمَّ دُمِّرَت الدولتان بعد ذلك، وكتبَ اللهُ على اليهودِ الشّتاتَ في الأرض، وغضبَ عليهم ولعنَهم، بسببِ كفرِهم وبغيِهم.

* * *

٢٠ ـ سيناء

سيناءُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف للعَلَميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُ العلماء إلى أنّها كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (سين). والسينُ الشيءُ الحسن، على رأيِ هؤلاء.

و(سيناء) عند هؤلاء ممنوعةٌ من الصرفِ للعلَميةِ والتأنيث، لأنَّها كلمةٌ عربية، وليس للعلميةِ والعُجمة.

ولكنَّ الراجحَ أنّها كلمةٌ أَعجمية، وأنَّ مَنْعَها من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، ولا نبحثُ لها عن معنى في العربية.

وقد وردتْ كلمةُ (سَيْناء) مرةً واحدةً في القرآن. قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

والمرادُ بالشجرةِ في الآيةِ شجرةُ الزيتون، وذكرتْ أنَّ شجرةَ الزيتونِ تخرجُ من طورِ سَيْناء، وأنّها يخرجُ منها الزيتُ المبارك، يَصلُحُ وَقوداً للسراج، ودُهناً للشعر، وصِبْغاً للآكلين، يَصبغُ أحدهم لقمتَه ويغمسُها فيه عندما يريد الأكل.

وفي كلمةِ (سيناء) قراءتان عشريتان:

الأُولى: قراءةُ نافع، وابن كثير، وأَبي عمرو، وأَبي جعفر: «سِيناءَ» بكسر السين.

الثانية: قراءةُ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابنِ عامر، ويعقوب، وخلف: «سَيْناءَ» بفتحِ السينِ وسكونِ الياء.

وهما لغتانِ في هذه الكلمة، ووافقَتْ كلُّ قراءةٍ لغةً منهما.

ووردَتْ في القرآنِ كلمةٌ أُخرى بمعنى (سيناء) وهي (سينين). قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

والدليلُ على أنَّ (سيناء) و(سينين) بمعنى واحد إضافتُهما إلى (طور) حيث قال: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾، وقال: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

وذَكَرَ السمينُ الحلبيُّ في تفسيرِه (الدر المصون) الاختلافَ في (سيناء) بين العربيةِ والأعجمية:

قال: «على القراءةِ بكسر السين (سِيْناء) الهمزةُ فيها ليستْ للتأنيث، إذْ ليسَ في كلامِ العربِ كلمةٌ على وَزْنِ (فِعْلاء) وهمزتُها للتأنيث، فهمزتُها للإلحاق.

وقال بعضُهم: الصحيحُ أَنَّ (سَيْناء) اسمٌ أَعجمي، نطقَتْ به العرب، فاختلفَتْ فيه لغاتُها، فقالوا: (سَيْناء) بفتحِ السين، كحَمْراء وصَفْراء. وقالوا: (سِيْناء) بكسرِ السين، كعِلْياء، وحِرباء. وقالوا: «سِينين»، كزِحْليل.

وقد وهمَ بعضُهم فجعلَ (سَيْناء) مشتقةً من (السَّنا)، وهو الضوءُ، ولا يصحُّ هذا القول»[1].

والراجحُ أنَّ (سَيْناء) كلمةٌ أعجمية، وأنَّ (سينين) كلمةٌ أعجميةٌ أيضاً.

و(سَيْناء) في الآية: ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ مضافٌ إليه، مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرةِ، لأنَّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة. و(سينين) في: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ مضافٌ إليه أيضاً، مجرورٌ بالفتحة، لمنْعِه من الصرفِ للسببيْن نفسيْهما.

قالَ ابنُ عاشور عن (طورِ سيناءَ): «طورُ سيناءَ: جبلٌ في صحراءِ سيناء، الواقعةِ بين عَقَبَةِ أَيْلَةِ وبين مصر، وهي من بلادِ فلسطين في القديم، وفيه ناجى موسى عليه السلام ربَّه.

وغلبَ عليه اسمُ الطور، و: طورِ سيناء، و: طورِ سينين.

ومعنى الطور: الجبل. وسَيْناء: قيلَ: اسمُ شجرٍ يَكثُرُ هناك. وقيلَ: اسمُ حجارة. وقيل: اسمٌ لذلك المكان. وقيل: هو اسمٌ نبطي...»[2].

وقالَ ابنُ عاشور عن (طور سينين): «(طور سينين) هو الجبلُ المعروفُ

---

(١) الدر المصون: ٨/ ٣٢٦ ـ ٣٢٨ باختصار.
(٢) التحرير والتنوير: ١٨/ ٣٤ باختصار.

بطورِ سيناء، والطورُ هو الجبلُ بلغةِ النَّبَط، وهم الكنعانيون. وعُرِفَ هذا الجبلُ بطور سينين لوقوعِه في صحراءِ (سينين) وهي لغةٌ في (سين)، وهي صحراء بينَ مصرَ وفلسطين.

وجاءَ تعريبُ (سين) في اللغةِ العربيةِ على صفةٍ تُشبهُ صيغةَ جمعِ المذكَّرِ السالم، فقيل: (سِينين) مثلُ: صِفِّين ويَبْرين»[1].

والخلاصةُ: أنَّ (سيناء) و(سينين) كلمتانِ أُطلقتا على المكانِ نفسه، وهما أَعجميتان، ممنوعتانِ من الصرفِ، للعَلَميةِ والعُجمةِ، على الراجح.

و(سيناء): أُطلِقَتْ على المنطقةِ الواقعةِ بين فلسطين ومصر، وكانت سابقاً جزءاً من فلسطين، وهي الآنَ جزءٌ من مصر، ووردَ اسْمُها في (سَفْرِ الخروج) من العهد القديم (سين)، أو: بَرِّيَّةُ سين. و(سين) كلمةٌ أَعجميّةٌ أَساساً، أُطلِقَتْ على تلك المنطقة.

ولما استخدمَ العربُ كلمةَ (سين) الأَعجمية تصرّفوا فيها، فأضافوا لها الألفَ والهمزةَ المتطرّفة، وقالوا: (سيناء) ـ بكسْرِ السين وفتحِها ـ، وأضافوا لها الياءَ والنون فقالوا: (سينين). ونزلَ القرآنُ باللفظتيْن، فقالَ في سورةِ المؤمنون: ﴿طُورِ سَيْنَآءَ﴾، وقال في سورة التين: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾.

ولما خرجَ موسى عليه السلام ببني إسرائيلَ من مصر، أقاموا في (سَيْناء) فترةً من الزمن، وجَرَتْ لهم أحداثٌ كثيرةٌ فيها، أشارَ القرآنُ إلى بعضِها، مثل: تظليلِهم بالغَمام، وإكرامِهم بالمنِّ والسلوى، وإخراجِ اثنتيْ عشرةَ عينَ ماءٍ من الحجر. وناجى موسى عليه السلام ربَّه على طورِ سيناء، ورفعَ اللهُ الجبلَ نفسَه فوقَ بني إسرائيل لما تثاقلوا عن إعطاءِ العهد.

وبعدَ جُبْنِ بني إسرائيلَ عن دخولِ الأرضِ المقدَّسةِ مجاهدين، كتبَ اللهُ عليهم التِّيهَ في سَيْناء أربعينَ سنة، ثم أَخرجَهم منها موسى عليه السلام بعد ذلك في طريقِهم إلى الأرضِ المقدّسة!.

* * *

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٤٢١.

٢١ ـ طالوت

طالوتُ: اسمُ علمٍ أَعجميّ، ممنوعٌ من الصَّرفِ للعلَميّةِ والعُجْمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه عربيّ، مشتقٌّ من الطول، وأنَّه على وزنِ (فَعَلوت)، وأنَّ الواوَ والتاءَ فيه للمبالغة، مثل طاغوت، وأنّه لَقَبٌ لملكٍ من ملوكِ بني إسرائيل، لُقِّبَ به لطولِه، لأنَّه كانَ أطولَ إنسانٍ في زمانه.

قال الفيروزآبادي في (بصائره): «طالوتُ: اسمٌ أعجميٌّ لُقِّبَ به، وكان اسْمُه في الأَصلِ (سارَا) وقيل: (ساوَا)، فقيل: طالوت، لطولِ قامتِه.. ومعنى (طالوت) في اللغةِ العبرية: طَويل. وكان ملكَ بني إسرائيل وكان صَفيَّ (أشْمَويل) [هو صَمُوئيل المذكورُ في العهد القديم] وخصَّه اللهُ تعالى بزيادةِ بسطةٍ في العلمِ والجسم»[١].

وذكرَ السمينُ الحلبيُّ في الدرِّ المصونِ القولَيْن في طالوت، ورجَّحَ أنَّه أَعجميّ. قـال: «طالوت: فيه قولان:

أَظهرهما: أنّه اسمٌ أعجميّ، فلذلك لم ينصرفْ للعلتَيْن، أعني: العلميةَ والعجمةَ الشخصية.

والثاني: أنَّه مشـتقٌّ من الطولِ، ووزنُـه (فَعَلوت) كرَهَبوت ورَحَموت، وأَصْلُه (طَوَلوتُ)، فقُلبت الواوُ أَلِفاً، لتحركِها وانفتاحِ ما قبلَها!.

وكأنَّ الحاملَ لهذا القائلِ بهذا القول، ما رُوِيَ في القصةِ أنَّه كانَ أطولَ رجلٍ في زمانه، إلا أنَّ هذا القولَ مردود، بأنّه لو كان مشتقّاً من الطول لكان ينبغي أن يَنصرف، لأنّه ليس فيه إلاّ العَلَمية»[٢].

والراجحُ أنّـه اسمُ علمٍ أعجميّ، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجمة،

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٨٢.

(٢) الدر المصون: ٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٠.

وبما أنّه ليس عربياً مشتقاً فلا نبحثُ له عن معنى في اللغةِ العربية.

وقد ورد (طالوتُ) مرّتيْن في سورة البقرة، في قصةِ طالوتَ وداودَ وجالوتَ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. و(طالوتَ) مفعولٌ به لفعْلِ (بَعَثَ) منصوب، وعلامةُ نصبه الفتحة.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. و(طالوتُ) في الآيةِ فاعلٌ لفعلِ (فَصَل).

كانَ بنو إسرائيل قد دخلوا الأرضَ المقدّسةَ بقيادةِ خليفةِ موسى عليه السلام (يوشع)، واستقرَّتْ أوضاعُهم فيها فترةً قصيرةً من الزمن، كانوا فيها مطبّقين لشرعِ الله، مُطيعينَ لأنبيائِهم، ولكنَّهم بعدَ ذلك طَغَوْا وبغَوْا وتمرَّدوا وأذنبوا، فأذلَّهم الله، وسلَّط عليهم أعداءَهم، الذين كانوا في مناطق أُخرى من الأرضِ المقدّسة، ووقعتْ معاركُ بين الفريقيْن، انتهتْ بهزيمةِ بني إسرائيل وقهرِهم وإذلالِهم!.

وبعدَ ذلك أَرادوا أَنْ يُغَيِّروا ما هم فيه من ذلّةٍ وهزيمة، وكان عندهم نبيٌّ من أَنبيائِهم، فأَظهروا له رغبتَهم في الجهادِ في سبيل الله، وأَنَّ الذي ينقصُهم هو المَلِكُ الذي يقودُهم في المعارك، وطلبوا منه أَنْ يختارَ لهم مَلِكاً لهذه الغاية!.

فأَخبرَهم نبيُّهم أَنَّ اللهَ بعثَ لهم (طالوتَ) ملكاً، وكان طالوتُ من عامّةِ الشعب، وليسَ من بيتِ الملك، وعائلةِ الملوك! فاعترضوا عليه وقالوا له: أنّى يكونُ له المُلكُ علينا، ونحنُ أَحَقُّ بالملك منه، ولم يُؤْتَ سَعَةً من المال!!.

فذكرَ لهم أنَّ اللهَ هو الذي اختارَه لهم واصطفاهُ عليهم، وأنّه زادَهُ بسطةً في العلمِ والجسم، فهو أكثرُ منهم علماً، وأقوى منهم جسماً.

وقالَ لهم نبيُّهم: الدليلُ على أنَّ اللهَ رضيه لكم ملكاً، أنّه سيأْمُرُ الملائكةَ أَنْ تحملَ إليهم (التابوت) الذي أَخذَه أَعداؤُكم منكم! فلمّا أتتهم الملائكةُ بالتابوتِ وافَقوا على تملُّكِ طالوتَ عليهم مُكرَهين.

وأَخذَ طالوتُ جيشَه لمقاتلةِ أَعدائِه بقيادةِ جالوت، ومَرَّ في طريقه بنهر، فنهى جنودَه عن الشربِ منه حتى الارتواء، وأَذِنَ لكلِّ واحدٍ أَنْ يغترفَ منهُ غرفةً بيده، فخالفوا نَهْيَهُ وشربوا منه، إلاّ قليلاً منهم. . وذهبَ طالوتُ بالقلائلِ الملتزمين من الجيشِ لقتالِ جالوتَ وجنودِه، ولما رأى بنو إسرائيل جيشَ جالوت صاحوا قائلين: لا طاقةَ لنا اليومَ بجالوتَ وجنودِه، وجَبُنوا عن قتالِهم.

ولم يبقَ مع طالوتَ إلا ثلاثمئة وبضعةَ عشرَ رجلاً مجاهداً! فحارَبوا الكفارَ مستعينينَ بالله، وقالوا: ربَّنا أَفْرِغْ علينا صبراً وثبّت أَقدامَنا وانصرْنا على القومِ الكافرين.

وبرزَ من وسطِ جيشِ طالوتَ جنديٌّ شجاعٌ اسمُه (داود) وهجمَ على جالوتَ فقتلَه، وبقتْلِه انهزمَ الكفارُ بإذْنِ الله، ونصرَ اللهُ الفئةَ المؤمنةَ المجاهدةَ بقيادةِ طالوت، ومكَّنَ لبني إسرائيل في الأرض، إلى حين!.

وسكتَ القرآنُ عن ما جَرى لطالوتَ بعدَ ذلك، واكتفى بالإشارةِ إلى أنَّ اللهَ آتى داودَ عليه السلام الملكَ والحكمةَ، وعلَّمه مما يشاء.

وقد تكلمتْ أَسفارُ العهدِ القديمِ كثيراً عن طالوتَ، الذي أسمتْه (شاول)، وعن بدءِ أمره، واختيارِ النبيِّ (صَموئيل) له، وعن ما جرى بينه وبين صَموئيل، وتفاصيلِ الخروجِ لحربِ (جالوت) ـ الذي أسمتْه (جولْيات) ـ وعن بدءِ أَمْرِ داودَ، وتفاصيلِ اشتراكِه في المعركةِ الفاصلة، وفصَّلَتْ كثيراً في كيفيّةِ قتلِهِ لجالوت، ثم تكلَّمتْ كثيراً عن الخلافِ الذي جرى بين طالوتَ وداود، وملاحقةِ طالوتَ لداودَ وحقْدِه عليه، وحرصِهِ على قتْلِه، وانتهى الصراعُ بينهما إلى مصرعِ طالوت وحكمِ داود.

وهذا كلامٌ لا يَعنينا، ولا نفسّرُ به آياتِ القرآن، ونتوقَّفُ في مبهماتِ القرآن عند ما وردَ في آياتِ القرآن، وما صحَّ من حديثِ رسول الله ﷺ. ولذلك نسكتُ على ما جرى لطالوتَ بعد انتصارِه على جيشِ جالوت. والله أعلم.

* * *

٢٢ ـ طوى

طُوَى : اسمُ علمٍ أَعجميّ، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعجمة، ولا تظهرُ عليه الضَّمَّةُ والفتحةُ لأَنَّه اسمٌ مقصور، مختومٌ بالألف المقصورة، ومعلومٌ أنّه يتعذّرُ ظهورُ الحركاتِ الثلاثِ عليه.

واختلفَ العلماءُ في (طُوَى) فذهبَ بعضُهم إلى أنَّهُ كلمةٌ عربيّةٌ مشتقّةٌ من (الطَّوْيِ) وهو اللَّفُّ والثَّنْيُ، وذهبَ آخرونَ إلى أنّه اسمٌ أعجميٌّ، وكونُه اسماً مقصوراً يتعذّرُ ظهورُ الحركاتِ عليه، ساعدَ في الاختلافِ فيه بين العربية والأعجمية.

ووردَ (طُوَى) مرّتيْن في القرآن:

الأُولى: في قصّةِ موسى عليه السلام في سورةِ طـه. قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طـه: ١٢].

الثانيةُ: في قصةِ موسى عليه السلام في سورةِ النازعات. قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥ ـ ١٦].

و(طوى) في السورتيْن مجرورة، لأنّها بدلٌ من (الوادي) قبلَها: ﴿بالوادي المقدس طوى﴾ وعلامةُ جرّه الفتحةُ المقدّرةُ على الألفِ المقصورة، منعَ من ظهورِها التعذّر.

وكونُه بدلاً من (الوادي المقدّس) يدلُّ على أنه اسمٌ له. كأنّه قال: إنّك بطُوى، الوادي المقدّس.

وفي (طوى) قراءتان عشريّتان:

الأُولى: قراءةُ نافع وابنِ كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب: (طُوىٰ) بالألفِ المقصورةِ من دون تنوين.

الثانية: قراءةُ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف: (طُوًى) بالتنوينِ على الألفِ المقصورة.

وتوجيـهُ القراءةِ بالتنوين (طوىً) أنّه اسمٌ للوادي المقدّس، وهو مذكَّر، أُطلقَ اسماً على المذكّر (الوادي المقدّس).

وتوجيهُ القراءةِ بعدمِ التنوين (طُوى) أنّه يحتملُ أوجهاً ثلاثةً:

الأوّل: أنّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلمية والعَدْل، لأنَّ (طُوَى) معدولٌ عن (طاوٍ)، مثلُ (عُمَر) معدولٌ عن (عامر)، فمُنعَ من الصرفِ للعلميةِ والعدل.

الثاني: أنه ممنوعٌ من الصرفِ للعلمية والتأنيث. و(طوى) اسمُ علمٍ مؤنّث، لأنه أُطلقَ على البقعةِ المباركة، المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، فلأنَّ البقعةَ المباركةَ مؤنَّثةٌ جاءَ اسمُها (طوىٰ) مؤنَّثاً، ومُنعَ من الصرفِ للعلميةِ والتأنيث.

الثالث: أنّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلمية والعُجمة[1].

والراجحُ هو الوجهُ الثالث، فكلمةُ (طوىٰ) ممنوعةٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، لأنَّ (طوىٰ) اسمٌ للوادي المقدّس.

حتى على القراءةِ بصرفِ الكلمةِ (طُوىً) بالتنوين، يبقى اسمُ علمٍ أعجمي، أُطلقَ اسماً على الوادي المقدّس.

والـوادي المقدّس (طُوىٰ) واقعٌ بجانبِ الطورِ الأيْمن في سيناء. قـال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ [طـه: ٨٠].

وهو الجانبُ الغربيُّ من جبلِ الطور. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤].

والبقعةُ كلُّها مباركة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠].

فجبلُ الطور ووادي طوى الواقعُ بجانبِه واقعانِ في (سيناء).

لقد أقامَ موسى عليه السلامُ في مدينَ عشرَ سنوات، ثم عادَ بأهلِه إلى

---

(١) انظر: الدر المصون، للحلبي: ٨/ ١٧.

مصر، وسارَ في سيناء، وفي ليلةٍ باردةٍ صحراويةٍ مظلمةٍ، ضَلَّ موسى الطريقَ إلى مصر، ودخلَ بأهله وادي طوى المقدّس الواقعَ بالجانبِ الغربيِّ الأيمنِ لجبلِ الطور، فرأى ناراً مشتعلةً في شجرة، في سفحِ الوادي، فطلبَ من أهلِهِ أَنْ يمكُثوا مكانَهم ليذهبَ إلى النار، فقدْ يجدُ عندَها شخصاً يسألُه عن الطريق، وقد يأْتيهم منها بشهابٍ قبس ليتدفّؤوا عليه.

ولما وقفَ بجانبِ الشجرةِ المشتعلةِ ناراً ناداهُ الله، وأخبرَه أنّه يقفُ في وادي (طوى) المقدّس، وعليه أن يخلعَ نعليْه، ويستمعَ للنداءِ ويَفْهَمَه.. ثم أخبرَه أنّه اختارَه واصطفاه، وأَمرَه بالذهابِ إلى فرعون.

ووادي (طوى) مقدَّس، لأنّه بجانبِ جبلِ الطورِ المقدَّس، وهما واقعانِ في الأرضِ المقدّسة (سيناء) التي هي جزءٌ من الأرضِ المقدّسةِ فلسطين.

وإذا كانت (سيناءُ) كلمةً أعجمية، كما سبقَ أَنْ بَيَّنّا، وإذا كان جبلُ (الطور) كلمةً أعجميةً، كما سيمرُّ معنا، فإنَّ كلمةَ (طُوى) التي سُمّيَ بها الوادي المقدّس كلمةٌ أَعجميّةٌ أيضاً.

* * *

٢٣ ـ عمران

عمرانُ: اسمُ علمٍ أعجميّ، ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (عمرانَ) عربيٌّ مشتقٌّ من (عَمْر)، والألفُ والنونُ فيه مزيدَتان، فهو ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ وزيادةِ الألف والنون.

وهذا القولُ مردود، لأنَّ (عمران) مذكورٌ في قصّةِ مريمَ رضي الله عنها، وهو والدُها، وهي ليستْ عربية، ووالدُها ليس عربياً!.

و(عمرانُ) مذكورٌ في القرآنِ ثلاث مرات:

الأُولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

الثانية: في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ [آل عمران: ٣٥].

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

واللافتُ للنظرِ أنَّ (عمرانَ) في المواضع الثلاثة لا يُرادُ لذاتِه، ولذلك أُضيفَ إليه في كلِّ مرّةٍ غيرُه. فالمرادُ في الآية الأُولى (آلُ عمران) وليس عمرانَ نفسَه، والمرادُ في الآية الثانية (امرأةُ عمران)، والمرادُ في الآيةِ الثالثةِ (مريمُ ابنةُ عمران).

و(عمران) في المواضعِ الثلاثةِ شخصٌ واحد، له آلٌ صالحون اصطفاهم الله، وله امرأةٌ مؤمنةٌ صالحة، وله ابنةٌ عذراء بتول عفيفةٌ صالحة.

و(عمرانَ) في المواضعِ الثلاثةِ مضافٌ إليه مجرورٌ بالفتحةِ بدلَ الكسرة، لأنّه ممنوع من الصرف للعلميةِ والعُجمة، لأنه اسمُ علمٍ أعجمي كما ذكرنا.

والمذكوران في مصادرنا الإسلامية عمرانان:

الأول: عمرانُ والدُ موسى عليه السلام، وهذا لم يُذكَر في القرآن، وإنّما ذُكر في حديثِ رسولِ الله ﷺ، فقد روى مسلم: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «مررتُ ليلةَ أُسريَ بي على موسى بنِ عمران عليه السلام»[1].

الثاني: عمرانُ والدُ مريمَ رضي الله عنها وعن أبيها.

وأخبرَ اللهُ أنّه اصطفى آلَ عمران على العالمين، كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيمَ قبلَهم، وآدمُ ونوحٌ نبيّان معروفان، عليهما الصلاة والسلام.

وآلُ إبراهيم هم الأنبياءُ من ذريّته، وهم قسمان: الأنبياءُ من الفرعِ الإسماعيلي، وهما إسماعيلُ وخاتمُ النبيّين محمدٌ ﷺ، والأنبياءُ من الفرعِ الإسرائيلي، وهم أنبياءُ بني إسرائيل، من يعقوبَ إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام.

و(آلُ عمرانَ) هم الأنبياء من آل عمران. ولفضْلِهم سُمّيت السورةُ الثالثةُ بهم (سورةُ آل عمران)، حيث لم تَرِدْ هذه الكلمةُ في غير هذه السورة.

منْ هم (آلُ عمران) المذكورونَ في السورة؟ هل هم آلُ عمران والد موسى عليه السلام، أم هم آلُ عمران والد مريمَ رضي الله عنها؟.

ذكرَ الزمخشريُّ القولين، فقال: «آلُ عمران: موسى وهارون ابنا عمران. وقيل: عيسى ومريمُ ابنةُ عمران.. وبينَ العمرانين أَلْفٌ وثمانمئة سنة».

ورجَّحَ الزمخشريُّ القولَ الثاني، فآلُ عمران هم ذريةُ عمرانَ والدُ مريم، بدليل أنَّ اللهَ قالَ بعد ذلك: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ...﴾.

والدليلُ عنده على أنّه عمرانُ والدُ مريم: أنَّ الآياتِ ذكرتْ كفالةَ زكريا لمريم، وهي ابنةُ عمران، وزكريا لم يكنْ في عهدِ موسى عليهما السلام، وإنما كفل مريمَ أُمَّ عيسى عليه السلام[2].

---

(١) رواه مسلم، برقم (١٦٥).

(٢) الكشاف: ١/ ٣٥٤_٣٥٥.

إذَنْ (آلُ عمرانَ) المذكورون في سورةِ آلِ عمرانَ هم:

١ ـ امرأةُ عمران المؤمنةُ الصالحة، التي قالَ اللهُ عنها: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥].

٢ ـ ابنةُ عمرانَ العفيفةُ البتولُ مريمُ رضي الله عنها، التي قالَ اللهُ عنها: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

٣ ـ ابنُ عمران: وهو شقيقٌ لمريمَ اسمُه هارونُ. وأشارَ له قومُ مريم عندما أتتهم تحملُ ابنها عيسى عليه السلام، وذكرَ ذلك قولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

٤ ـ أختُ مريم، وهي ابنةٌ أُخرى لعمران، تزوَّجَها النبيُّ زكريا عليه السلام، ولذلك كفلَ مريمَ الصغيرة، فعاشَتْ عند أُختِها الكبرى، وكأنّها عاشَتْ عند أُمها، والدليلُ على أنَّ زوجَ زكريا أُختٌ لمريم، أنَّ ابنيْهما يحيى وعيسى عليهما السلام أولاد الخالة، كما ذكرَ رسولُ الله ﷺ.

٥ ـ حفيدُ عمرانَ من ابنتِه الكبرى، وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام.

٦ ـ حفيدُ عمرانَ من ابنتِه الصغرى مريم، وهو عيسى عليه السلام.

ومن المعلومِ أَنَّ حفيدَيْه يحيى وعيسى لم يتزوَّجا، وليس لهما ذريّة.

هذا هو (عمران) الاسمُ الأعجميُّ المذكورُ في القرآن، وهؤلاء هم (آلُ عمران).

* * *

٢٤ ـ عيسى عليه السلام

عيسى: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، ولأنّه اسمٌ مقصورٌ بالألفِ، لا تظهرُ عليه الضمةُ والفتحة، فتقَدَّران على ألِفهِ المقصورةِ تقديراً.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (عيسى) كلمةٌ عربية، مشتقّةٌ من (عَيْس).

وذَكَرَ القولَيْنِ فيه الفيروزآبادي في (بصائره)، فقال: «عيسى: اسمٌ أعجميٌّ غيرُ منصرف، للعلميةِ والعُجمة، وقيل: اشتقاقُه من (العَيْس) وهو البَياض، والأَعْيَسُ: الجملُ الأَبيضُ، وجمعُه (عِيسٌ).

قيل له: عيسى؛ لبياضِ لونه، وقيلَ: من (العَوْس) وهو السياسة، وأَصْلُه (عِوْسا) قُلبت الواوُ ياءً لكسرةِ ما قبلِها، وسُمّي (عيسى) لأنّه ساسَ نفسَه بالطاعة، وساسَ قلبَه بالمحبة، وساسَ أُمتَه بالدعوةِ إلى الله»[1].

والقولُ بأنّه مشتقٌّ من (العَيْس) أو (العَوْس) مردود، لأنّه أعجميٌّ وليس عربيّاً، وبُعِثَ رسولاً إلى بني إسرائيل، ولا نرى صلةً بين اسمِ (عيسى) الأعجميِّ، وبينَ مادةِ (عَيْس) العربية، التي لها عدةُ اشتقاقاتٍ وتصريفات.

وقد ذُكِرَ (عيسى) عليه السلام خمساً وعشرين مرّةً في القرآن: ثلاثَ مراتٍ في سورةِ البقرة، وخمسَ مرات في سورة آل عمران، وثلاثَ مرات في سورةِ النساء، وستَّ مراتٍ في سورةِ المائدة، ومرّتَيْن في سورةِ الصف، ومرةً واحدةً في كلٍّ من: سورةِ الأنعام، ومريم، والأحزاب، والشورى، والزخرف، والحديد.

واللافتُ للنظرِ أنَّ ذكْرَ عيسى عليه السلام في السورِ المدنيّةِ أكثرُ منه في السورِ المكيّة، فقد ذُكِرَ أربعَ مراتٍ فقط في أربعِ سورٍ مكيّة، هي سور: الأنعام،

---

(١) بصائر التمييز: ٦/ ١١١.

ومريم، والشورى، والزخرف، بينما ذُكر إحدى وعشرين مرةً في سبعِ سورٍ مدنيـة، هي سـور: البقرة، وآل عمران، والنسـاء، والمائدة، والأحزاب، والحديد، والصف.

ويُذكَرُ أحياناً بصفةِ (المسيح)، حيثُ وردَتْ هذه الصفةُ إِحدى عشرةَ مرةً في القرآن، كلُّها في سورٍ مدنية، هي سور: آل عمران، والنساء، والمائدة، والتوبة.

وجُمِعَ بين (المسيح) و(عيسى) في بعضِ الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقد نشأتْ مريمُ رضي الله عنها نشأةً إيمانيةً في كفالةِ زكريا، وكانت تخلو إلى نفسِها وتعتزلُ قومَها، مقبلةً على عبادةِ الله وذِكْرِه ومناجاتِه، وتأنسُ بذلك، ويطمئنُّ قلبُها.

ولما أرادَ اللهُ أنْ يحققَ إرادتَه في خلقِ إنسانٍ من أُمٍّ بدون أَب، اختارَ مريم لذلك بحكمتـه، وأرسـلَ لَها جبريل عليه السلام، وهي في خلوتِها بعيدةً عن قومِها، متحوِّلاً إلى صورةِ بشر، وبشَّرَها أنّه رسولٌ من اللهِ إليها ليهبَ لها غلاماً زكيّاً، ولما استغربَتْ من هذه البشارة، إذ كيْفَ ستحملُ وتلدُ وهي عذراءُ عفيفة؟ أجابَها بأنَّ هذه هي إرادةُ الله، ونفخَ فيها من روحِ الله.

وحملتْ بعيسى عليه السلام بأَمْرِ الله، وتمَّ تخليقُه ونُمُوُّهُ في رحمِها في سـاعات، وأجاءَها المخاضُ إلى جذعِ النخلة، وأجرى اللهُ لها آياتٍ بيّنـات، وأنطقَ اللهُ ابنَها عيسى بعد ولادتِه مباشرةً، فأرشدَها إلى طريقةِ التصرُّفِ المناسبة عند مواجهتها لقومِها، ولما وصلَتْ إليهم وأشارَتْ إليه، تكلَّم بكلامٍ واضح، وعَرَّفَ على نفسِه ومستقبلِه، وسطَ دهشةِ القوم.

وبعثَ اللهُ عيسى ابنَ مريم عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، وهو آخرُ أَنبيائهم، وأنزلَ اللهُ عليه (الإنجيل)، وبلَّغَ بني إسرائيل دعوته، وأراهم الآياتِ الدالّةِ على نبوَّته، والتي أجراها اللهُ على يديه، مثلُ: إحياءِ الموتى، وإبراءِ الأَكْمَه والأَبرصَ، وإيجادِ الطيرِ الحيِّ من الطينِ الجامد، كلُّ ذلك بإذنِ اللهِ ومشيئته.

ولكنَّ بني إسرائيل كَذَّبوه وكَفروا به، وأَنكروا نبوَّتَه، واتّهموهُ بالباطل،

ولم يَستجبْ له إلاّ عددٌ قليلٌ منهم، هم (الحواريون) الذين نصروه وأسلموا ودخلوا في دينه، وأثنى اللهُ عليهم في القرآن، وذكَرَ المائدةَ التي أنزلَها عليهم وأكرمَهم بها، بعدما دعا عيسى ربَّه وسألَه إنزالَها.

وصَعَّدَ اليهودُ عداوتَهم لعيسى عليه السلام، ووشُوا به إلى الرومانِ الذين كانوا يحكمونَ الأرضَ المقدّسةَ في عصرِه، واتفقُوا معهم على قتْلِه وصلبِه، ولما جاءَ الجنودُ الرومانُ واليهودُ لإلقاءِ القبضِ عليه وقتْلِهِ، ألقى اللهُ عليه النُّعاسَ ورفعَهُ من بين حوارييه إلى السماء، وألقى شبهَه على أحَدِ حوارييه، فصارَ كأنَّه عيسى، وأخَذَه الرومانُ واليهود، وصَلَبوه وقتلوه، على أنّه عيسى ابنُ مريم، ولكنّه شُبِّهَ لهم كما أخبرَ اللهُ في القرآن، فقتلوا عيسى الشَّبَهَ المتحوِّل، ولم يقتلوا عيسى النبيَّ عليه الصلاة والسلام، لأنَّ اللهَ حماهُ ورفعَه إلى السماء.

وانتشرت النصرانيةُ في العالمِ بعدَ رفعِ عيسى عليه السلام إلى السماء، وأُعجبَ الناسُ في مختلفِ البلدانِ بمواقفِ أتباعِه، من الحواريين وغيرِهم، فدخلوا في دينِ عيسى عليه السلام، وهذا على غيرِ طبيعةِ الديانةِ النصرانية، لأنّها في الأصلِ ديانةٌ إسرائيليةٌ خاصة، وليستْ عالميةً عامة، وكلُّ رسولٍ كان يُبعثُ إلى قومِه خاصة، إلاّ محمداً ﷺ، الذي بُعِثَ إلى الناسِ كافة!.

وصارت النصرانية ديانةً رسميةً حكومية، عندما اعتنقها الإمبراطورُ الرومانيُّ قسطنطين، وبذلك تنصَّرت الشعوبُ الخاضعةُ للسيادةِ الرومانية.

واختلفتْ فرقُ النصارى وطوائفُهم في النظرِ إلى عيسى عليه السلام، لِما رافقَ حياتَه من معجزاتٍ وخوارق، وعملَ اليهودُ على تحريفِ النصرانية، عندما أَوعزوا إلى بولس وغيرِه باعتناقِ النصرانية، لتخريبها من الداخل.. فقالتْ بعضُ فرقِ النصارى بأنَّ عيسى عليه السلام هو عبدُ الله ورسولُه، وهؤلاء هم الذين كانوا على حقّ. وقالت بعضُ فرقهم: عيسى إلـه، وقال غيرُهم: عيسى ابنُ الله، وقال غيرُهم بالتثليثِ والآلهةِ الثلاثة، وقال غيرُهم باتحادِ اللاهوت بالناسوت..

وكذَّبَ القرآنُ كلَّ النصارى الذين بالَغوا في النظرِ إلى عيسى عليه السلام، ولم يؤمنوا أنّه مجرَّدُ عبدٍ لله، ورسول كريم أرسلَه إلى بني إسرائيل. كَذَّبَ القرآنُ الذين قالوا بأنّه إلـه، أو أنّه ابنٌ لله، أو بالآلهةِ الثلاثةِ، أو غيرِ ذلك.

وأخبرَنا اللهُ في القرآن، وفيما أوحى به إلى رسولِنا محمد ﷺ، أنّه سَيُنَزِّلُ عيسى عليه السلام في آخرِ الزمان، وهذا معناهُ أنَّ عيسى عليه السلام حيٌّ الآنَ في السماءِ بروحِه وجسمِه، حياةً خاصَّةً بأمرِ الله، وعندما ينزلُ سيكونُ ملتزماً برسالةِ الإسلام، وسيحاربُ الكفارَ جميعاً، ومنهم النصارى الذين ألَّهوه، وسيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، وسَيَقتلُ الدجّال، ويعيشُ مع المسلمين فترةً من الزمان، ثم يموتُ موتاً طبيعياً، فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه.

* * *

٢٥ ـ فرعون

فرعونُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة.

واختلفَ فيه العلماءُ واللغويون، فقال بعضُهم: هو أَعجمي، وقال آخرون: هو عربيّ مشتقّ من (الفَرْع).

وقد ذكرَ السمينُ الحلبيُّ في الدُّرِّ المصونِ خلاصةَ الخلافِ فيه، فقال: «فرعون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] خفضٌ بالإضافة، ولكنّه لا ينصرف، للعُجمة والتعريف.

واختُلف فيه: هل هو علمُ شخصٍ، أو علمُ جنس؟ فإنّه يُقال لكلِّ مَنْ ملكَ القِبْطَ ومصر: فرعون. مثلُ كسرى لكلِّ مَنْ ملكَ الفرس، وقيصرَ لكلِّ مَنْ ملكَ الروم، والنجاشيّ لكلِّ مَنْ ملك الحبشة، وبطليموس لكلِّ مَنْ ملك اليونان.

قال الزمخشري: وفرعونُ علمٌ لمنْ مَلَكَ العمالقة في مصر، كقيصر للروم، ولعتوِّ الفراعنةِ اشتقّوا منه: تَفَرْعَنَ فُلان، إذا عتا وتجبَّر.

وقالَ المسعودي: لا يُعْرَفُ لفرعونَ تفسيرٌ بالعربية. وظاهرُ كلامِ الجوهريِّ أنّه مشتقٌّ من معنى العُتُوّ. . .»[١].

وقالَ ابنُ منظور في لسانِ العرب: «الفرعَنَةُ: الكِبْرُ والتَّجَبُّر. . وفرعونُ الذي ذكرَه اللهُ في كتابِه من هذا، وإنّما تُرِكَ صرْفُه في قولِ بعضِهم لأنّه لا سَمِيَّ له، مثلُ إبليس، فيمن أَخذه من أَبلس.

قالَ ابنُ سيدة: وعندي أنَّ فرعونَ هذا العلمَ أَعجمي، ولذلك لم يُصْرَف[٢].

إذن: ذهبَ بعضُ اللغويينِ إلى أنَّ فرعونَ مشتقٌّ من (الفرع)، وهو الذي

---

(١) الدر المصون: ١/ ٣٤٣ـ ٣٤٤.

(٢) لسان العرب: ١٣/ ٣٢٣.

يذهبُ إلى أعلى، ومنه فرعُ الشجرةِ وغصْنُها، وسُمّي فرعونُ بذلك، لأنّه تكبَّرَ وتجبَّرَ وتمرَّدَ واستعلى. والواوُ والنونُ فيه للمبالغة.

ولكنَّ هذا الكلامَ مردود، لأنَّ الكلمةَ أعجمية وليستْ عربية، وهذا هو الراجح.

و(فرعونُ) ليسَ عَلَمَ شخص، لأنَّه لا يوجَدُ شخصٌ يُسمّى به، وإنّما هو عَلَمُ جنس، لأنَّه لَقَبٌ يُطلقُ على كُلِّ مَنْ ملكَ مصر، في الفترةِ التي كان فيها بنو إسرائيل في مصر، مهما كان اسمُ ذلك الملك.

وقد يُشتقُّ من (فرعون) فعْلٌ، ويوصَفُ به مَنْ تشبَّهَ بفرعونَ في تجبُّرِه وعُتوِّه.

قال الراغبُ في مفرداته: «فرعون: اسمٌ أَعجمي، وقد اعْتُبِرَ عَرامَتُه، فقيل: تَفَرْعَنَ فُلان، إذا تعاطى فعلَ فرعون. كما يُقال: أبلسَ وتبلّس، ومنه قيل للطغاة: الفراعنة والأبالسة»[1].

وبعدما تكلَّم واضعو (المعجم الوسيط) على مادةِ (فَرَعَ) التي بمعنى طالَ وعَلا، اشتقّوا من الفرعنةِ فِعْلاً رباعياً هو (فَرْعَنَ)، ثم ذكروا بعضَ اشتقاقاته فقالوا: «فَرْعَنَ: تجبَّرَ وتكَبَّر. و: تفرعنَ النبات: طالَ وقويَ واشتدّ. و: تفرعنَ فلان: تجبَّرَ وطغى، وتخلَّقَ بأخلاقِ الفراعنة.

و: فرعونُ: لقبُ مَلِك مصرَ في التاريخ القديم. وأصله بالمصرية (بَرْعو) بغيرِ نون. ومعناه: البيتُ العظيم»[2].

وإذا اعتمدْنا كلامَ واضعي المعجمِ الوسيط ـ وهم لغويّون مصريّون مطَّلعون ـ تكون كلمةُ (فرعون) تعريبٌ للكلمةِ المصرية (بَرْعو)، أُضيفت لها النون، لأنَّ العربَ يتصرَّفون في الكلماتِ الأعجميةِ التي يُعرّبونها.

ويكونُ معنى (فرعون) في اللغةِ القبطيةِ القديمة: البيتَ العظيم.

---

(١) المفردات، ص٦٣٢.

(٢) المعجم الوسيط، ص٦٨٤.

والخلاصةُ: أنَّ كلمةَ (فرعـون) علمُ جنسٍ يُطلقُ على مَنْ مَلَكَ مصرَ في القديم، وأنّه كلمةٌ أَعجمية، وأنّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة. واللهُ أعلم.

وقد وردَتْ كلمةُ (فرعون) أربعاً وسبعين مرة في القرآن: في سورة البقرة مرّتيْن، وفي سورةِ آلِ عمران مرة، وفي سورةِ الأعراف تسعَ مرّات، وفي سورة الأنفال ثلاثَ مرات، وفي سورة يونس ستَّ مرّات، وفي سورة هودٍ ثلاثَ مرات، وفي سورة إبراهيم مرة، وفي سورة الإسراءِ مرتيْن، وفي سورة طـٰه خمسَ مرات، وفي سورة المؤمنون مرة، وفي سورةِ الشعراءِ ستَّ مرات، وفي سورة النمل مرّةً واحدة، وفي سورةِ القصص ثماني مرات، وفي سورة العنكبوت مرة، وفي سورة صٓ مرة، وفي سورةِ غافر تسعَ مرات، وفي سورة الزخرف مرتين، وفي سورةِ الدخان مرتيْن، وفي سورة التحريم مرتيْن، وفي سورةِ المزمل مرتيْن، ومرة واحدة في سور: قٓ، والذاريات، والقمر، والحاقة، والنازعات، والبروج، والفجر.

ومجموعُ السورِ التي ذُكِرَ فرعونُ فيها سبعٌ وعشرون سورة، ما بين مكية ومدنية.

وذِكْرُ فرعونَ في القرآنِ مقرونٌ بتعذيب بني إسرائيل في مصر، وبقصةِ موسى عليه السلام.

وقد استقرَّ بنو إسرائيلَ في مصر، لما كانَ يوسفُ عليه السلام (عزيزَ) مصر وحاكمَها الفعلي، وبعدَ وفاةِ يوسفَ عليه السلام بفترةٍ اضطَهَدَ المصريّون بني إسرائيل، وكان ملكُهم يلقَّبُ بلقبِ (فرعون)، وكانوا يسومونَهم سوءَ العذاب، يُذَبِّحون أبناءَهم ويستحيون نساءهم، بهدفِ إذلالِهم واستعبادِهم.

ووُلد موسى عليه السلام في هذا الجو، ومكرَ اللهُ بفرعون، وجعلَه يربّي موسى عليه السلام في قصره، مع أنه كان يريدُ قتْلَه، ولما شبَّ موسى في قصرِ فرعون قَتَلَ أَحَدَ الأقباط، وفرَّ إلى مدْين، ولما عادَ إلى مصر، كلّمه اللهُ عندَ جبلِ الطور، وجعلَه نبياً رسولاً، وأمره أَنْ يذهبَ إلى فرعون، وآتاه الآياتِ البيّنات، وجعلَ معه أخاه هارونَ عليه السلام نبياً ووزيراً.

وقابلَ موسى عليه السلام فرعون، ودعاهُ إلى الله، وطلبَ منه أَنْ يرفعَ العذابَ عن بني إسرائيل، وأَنْ يسمحَ لهم بالخروج معه من مصر، وأراهُ الآياتِ الدالّةِ على أنَّ اللهَ أرسلَه، ولكنَّ فرعون كذَّبه وكفَرَ به، وجمع له السحرةَ من مختلفِ مدائنِ مصرَ ليهزموه، ووقعَ التحدّي بين موسى عليه السلام وبين السَّحَرة، ولما أَلقَوا حبالَهم وعصيَّهم ألقى موسى عليه السلام عصاه، فلقفَتْ ما يأفكون، وآمنَ السحرةُ بموسى عليه السلام، وهدّدهم فرعونُ بالبطشِ والتعذيب.

واستمرَّ فرعونُ في طغيانِه وجبروتِه، وادّعى الربوبية، وقالَ لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، كما ادّعى الألوهية، وقال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وافتخرَ على قومِه بقوله: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، ودَعاهم إلى الالتزام برأيه، وقال لهم: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: ٢٩].

ولما أصرَّ فرعونُ على كفرِه وطغيانِه، واستمرَّ في تعذيبِ المؤمنين من بني إسرائيل، أَمَرَ اللهُ موسى عليه السلام أَنْ يخرجَ ببني إسرائيل من مصر ليلاً، ففعلَ، وتوجَّهوا نحو المشرق. ولحقَ فرعونُ وجنودُه بهم، ولما تراءى جمعُ المؤمنين وجمعُ الكافرين خافَ بنو إسرائيل، وقالوا لموسى: إنّا لمُدْرَكون.

وأَمرَ اللهُ موسى عليه السلام أَنْ يضربَ البحرَ بعصاه، وفتحَ اللهُ لهم طريقاً في البحر يبساً، ودخلَه بنو إسرائيل، وخرجوا سالمين بفضْلِ اللهِ إلى الضفةِ الشرقيةِ للبحر، ورأى فرعونُ الطريقَ اليبسَ وسطَ البحر، فأَمَرَ جنودَه أَنْ يدخلوه، ليلْحَقوا ببني إسرائيل، ودخلوا جميعاً فيه، عند ذلك أطبقَ اللهُ عليهم البحر، فغرقَ جنودُه جميعاً.

ولما رأى فرعونُ نفسَه غريقاً تحت الماء، مجرَّداً من القوةِ والسلطان، عاجزاً ضعيفاً، يصارعُ الموت، أعلنَ إيمانَه قائلاً: آمنت أنه لا إلـه إلا الذي آمنَتْ به بنو إسرائيل، وأنا من المسلمين.

فسخرَ المَلَكُ الذي أرسلَه اللهُ ليهلكَه من إيمانِه المتأخِّر، وقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩١ـ٩٢].

وهكذا كانتْ نهايةُ فرعونَ المتجبِّرِ الطاغية، غريقاً تحتَ الماء، وجعلَ اللهُ موتَه آيةً وعبرةً، لمن خلْفَه من الناسِ حتى قيامِ الساعة، ودرساً للمسؤولين، كي لا يَطْغوا ويُفسدوا ويَتَجبّروا، ولكنَّ أكثرَ الناسِ غافلون عن آياتِ الله.

إنَّ فرعونَ نموذجٌ لكلِّ حاكمٍ متجبّر، لا يخضعُ لله، ويتكبَّرُ على قومه ويفسدُهم، ويستبدُّ ويَظلم، ويُضِلُّ قومَه باستعبادِهم وإذلالِهم، وسوقِهم إلى الانحرافِ والفساد، ثم الهلاك والدمار، وفي الآخرة قيادتهم إلى النار، كما قالَ اللهُ عن فرعونَ وأمثالِه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٨ ـ ٩٩].

* * *

٢٦ ـ قارون

قارونُ: اسمُ علمٍ أجنبي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلَميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه عربيٌّ مشتقٌّ من القَرْن. قال الفيروزآبادي: «قارون: اسمٌ عبريٌّ غيرُ منصرف.. وقيل: مشتقٌّ من (قَرْن)، على وزن (فاعول) للمبالغة، سُمّيَ به لأنّه قُرِنَ بالمُلْك، ثم قُرِنَ بالهُلك»[1].

والقولُ باشتقاقِه مردود، لأنّ قصةَ قارونَ مرتبطةٌ بقصةِ موسى عليه السلام وفرعون وبني إسرائيل، وهي قصةٌ لغيرِ العربِ، وأسماءُ رجالِها المذكورةُ في القرآن أسماءٌ لغيرِ العرب.

وأيّدَ محمد الطاهر ابن عاشور أَعجميّةَ اسْمِ قارونَ، لكنَّه حاولَ أَنْ يوفِّقَ بين اسمِه المذكورِ في التاريخ الإسرائيلي واسمِه المذكور في القرآن.

قال: «قارونُ: اسمٌ مُعَرَّبٌ، أصله في العبريةِ (قُورَح) بضمِّ القافِ مشبعةً وفتحِ الراء.. ووقعَ في تعريبِه تغييرُ بعضِ حروفِه للتخفيف، وأُجريَ وزنُه على متعارَفِ الأوزانِ العربية، مثل: طالوت وجالوت. فليستْ حروفُه حروفَ اشتقاقٍ من مادةِ (قَرَن)»[2].

ولا يعنينا معرفةُ اسمِه الأصلي، إنما يعنينا الوقوفُ عندَ اسمِه الذي ذكره القرآن، وترجيحُ أنَّ (قارون) اسمٌ أعجميٌّ ممنوعٌ من الصرف.

ووردَ (قارونُ) أربعَ مرات في القرآن: مرتان في سورةِ القصص، عند الحديثِ عن خلاصة قصته.

وقُرِنَ اسمُه في سورةِ العنكبوت مع فرعون وهامان، قال تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٧٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٧٥.

وذَكرتْ سورةُ غافر أنَّ اللهَ أرسلَ موسى عليه السلام رسولاً إلى الطغاةِ الثلاثة فرعونَ وهامانَ وقارون، فكذَّبوه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣ـ٢٤].

وقَرْنُ الطغاةِ الثلاثة في الذكْرِ يدلُّ على أنهم كانوا يشاركون معاً في حكمِ مصر، فرعونُ ملكُ مصر، وهامانُ وقارونُ مساعدان له.

وعَرضتْ سورةُ القصصِ مجملَ قصةِ قارون في ثماني آيات [الآيات: ٧٦ـ٨٣].

أخبرَ القرآنُ أنَّ قارونَ كان من قومِ موسى عليه السلام، فبغى عليهم، وهذا نصٌّ على أنّه كان إسرائيلياً، ولكنّه خرجَ على قومِه بني إسرائيل، وبغى عليهم، وكفرَ بموسى عليه السلام، وانضمَّ إلى فرعون، وساعدَه في كفرِه وحكمِه للبلاد.

ولا تعنينا معرفةُ نَسَبِه الإسرائيلي، ولا قرابته لموسى، ولا الصلةِ النَّسَبيةِ التي تربطُه بموسى عليه السلام، لأنَّ القرآنَ سكتَ عن ذلك.

وابتلى اللهُ قارونَ بكثرةِ الأموال والكنوز، فكانَ أَغنى الناس، وأشارَ إلى كثرةِ كنوزِه قولُه تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦].

مفاتحُ كنوزِ قارون تنوءُ بالعصبة أُولي القوة. أي: يَعجزُ مجموعةُ الرجالِ الأقوياءِ عن حملِ مفاتحِ كنوزِه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المرادَ بالمفاتحِ هنا المفاتيحُ التي تُفتحُ بها خزائنُ الأموال، وأنها كانت تُحملُ على الدوابِّ لعجزِ الرجالِ عن حملِها، فإذا كانتْ هذه هي المفاتيح، فما بالكَ بالخزائنِ التي فيها الكنوز؟!.

والراجحُ أنَّ المرادَ بالمفاتحِ هو الخزائنُ نفسُها، فقارونُ وضعَ كنوزَه وأَموالَه في خزائنَ كبيرة ثقيلة، يَعجزُ الرجالُ الأقوياءُ عن حملها.

ووظَّفَ قارونُ كنوزَه في حربِ الحقِّ ونصرةِ الباطل، حيثُ انضمَّ بها إلى فرعونَ ونصرَه بها، وبغى على قومِه الإسرائيليّين المؤمنين.

ونصحه العالمون من بني إسرائيل، وقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦ـ٧٧].

وأعمى المالُ قارونَ عن رؤيةِ الحق، فرفضَ النصيحة، ولم يَعترِفْ بأنَّ هذا المالَ فضلٌ من اللهِ عليه، بل جحدَه وسجَّلَه لنفسه، واعتبرَهُ ثمرةَ جهدِه وعلمِه وتخطيطِه وتجارتِه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وفَتَنَ قارونُ ضعافَ الإيمان من قومِه الإسرائيليين، وخرجَ عليهم في زينته، التي لا يعلمُ تفاصيلَها إلاّ الله، فلما رأوه تمنَّوا أَنْ يكونوا مثلَه، وقالوا بحسـرةٍ وأسـى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

ولكنَّ العالِمينَ من الإسرائيليّين، لم يُفْتَنوا بقارونَ وكنوزِه وزينتِه، وبقوا ثابتين على الحق، وردّوا على المفتونين بزينةِ قارونَ قائلين: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وأوقعَ اللهُ بقارونَ بأْسَه وعذابَه، وهو في أوجِ قوّته، وقمةِ فتنتِه، وكاملِ زينتِـه، فـأمَـرَ الأرضَ أَنْ تنشـقَّ وتبتلعَـه، وتبتلـعَ دارَه وزينتَـه وكنـوزَه، ورأى المفتونون به بالأمس والذين تمنّوا أَنْ يكونوا مثلَه قارونَ وكنوزَه تُخسفُ به الأرض ويغيبُ داخلَها، فحمدوا اللهَ لأنّهم لم يكونوا أغنياءَ مثْلَه، ولو كانوا مثله لهلكوا معه، وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

ولم يُفَصِّل القرآنُ مقدارَ كنوزِ قارون، ولا كيفيةَ جمعِـه لها، ولم يذكُرْ تفاصيلَ زينتِه التي خرجَ بها على قومِه، وكيفيةَ ذلك الخروج، ولم يُبيِّنْ كيفَ خسفَ اللهُ به وبكنوزه، ولا زَمان ومكانَ وكيفيةَ ذلك، ولا أسبابَه وبواعثَه.. علماً أنَّ الإسرائيلياتِ فصَّلَتْ كثيراً في هذه المسائلِ والمباحث، وأَوردَتْ رواياتٍ وأخباراً وأساطيرَ كثيرة، أُعجبَ بها بعضُ السابقين من المسلمين، وأوردوها في كتبهم، ونحنُ نسكتُ عن ما سكتَ عنه القرآن، ولا نخوضُ في تبيين مبهماتِ القرآن.

المهمُّ هو الاعتبارُ من الخاتمةِ السوداءِ لقارون، حيث لم تنفعْهُ أموالُه وكنوزُه، ولا لجوءُه إلى فرعون ونصرُه له، والتخلّي عن المؤمنين والانحيازِ للكافرين، كلٌّ هؤلاء لم يدفعوا عن قارونَ عذابَ الله، كما قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨١].

ويبدو أنَّ الخسفَ بقارونَ وكنوزِه كان في مصر، وقبلَ أَنْ يَخرجَ موسى عليه السلام مع بني إسرائيل منها، لأنّه لم يخرجْ معه إلاّ المؤمنون من بني إسرائيل، وقارون لم يكنْ مؤمناً، ولهذا لم يخرجْ مع موسى عليه السلام، وهذا معناهُ أنَّ اللهَ خسفَ به وأهلكَه، على مرأى من الإسرائيليين والمصريّين، في عاصمةِ مصر ومقرِّ فرعونَ وهامانَ وقارون!!.

* * *

٢٧ ـ لقمان

لُقمانُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه عربيٌّ مشتقٌّ من (اللَّقْم)، وهو الأكلُ والْتِقامُ الطعام.

ومَالَ الراغبُ الأصفهاني إلى أنّه عربيٌّ مشتق، فقال في (المفردات): «لُقمانُ: اسمُ الحكيمِ المعروف. واشتقاقُه يَجوزُ أَنْ يكونَ من (لقمتُ الطعام، أَلْقُمُه، وتَلَقَّمْتُه. ورجلٌ تِلْقام: كثير اللُّقَم)»(١).

ورجَّح السمينُ الحلبي أنه أعجمي. فقال: «لقمانُ: قيلَ: أعجمي. وهو الظاهر، فمنْعُه للتعريفِ والعُجمةِ الشخصية. وقيلَ: هو عربيٌّ مشتقٌّ من (اللَّقْم)، وهو حينئذٍ مرتجل، لأنه لم يُسْبَق له وضعٌ في النكرات. ومنْعُه حينئذٍ للتعريفِ وزيادةِ الألف والنون»(٢).

ونقل الفيروزآبادي الاتفاقَ على أَعجميتِه، رغمَ ميلِ الراغبِ ومَنْ معه إلى اشتقاقِه. فقال في بصائرِه: «اتَّفقوا على أنّه اسمٌ أعجميٌّ ممنوعٌ من الصرف. قيلَ: هو عبراني، وقيل: هو سرياني»(٣).

والراجحُ أنَّ (لقمانَ) أَعجمي، وأنَّ منْعَه من الصرفِ للعلميةِ والعُجْمة.

ووردَ (لقمانُ) مرتيْن في القرآن، في السورةِ التي تحملُ اسْمَه.

ذَكرت السورةُ أنَّ اللهَ آتى لُقمانَ الحكمة، القائمةَ على الإيمانِ باللهِ وشكرِه، وأخبرَتْ عن المواعظِ والتوجيهاتِ التي قدَّمَها لقمانُ لابنِه وهو يعظُه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

---

(١) المفردات، ص٧٤٤ ـ ٧٤٥.

(٢) الدر المصون: ٩/ ٦٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٩٠.

أنعمَ اللهُ على لقمانَ بأعظمِ نعمةٍ بعدَ نعمةِ الوجودِ ونعمةِ الإيمان، هي نعمةُ الحكمة، والحكمةُ هي حُسنُ الفهمِ والعلمِ والتصرّفِ والسلوك والأناةِ والحلم، ورأسُ الحكمةِ شكرُ اللهِ على ما أنعمَ به من نِعَم.

واختلفَ الباحثون في لقمان، هل كان نبيّاً أو مجرّدَ إنسانٍ حكيم، فذهبَ بعضُهم إلى القولِ بنبوَّتِه، ولكنّنا لا نجدُ على ذلك دليلاً صريحاً من آياتِ القرآن، ولا حديثاً صحيحاً صريحاً لرسول الله ﷺ، ولا بُدَّ من الدليلِ الصحيحِ الصريحِ للقولِ بنبوّةِ أَحَد.

ولا نستطيعُ الجَزمَ بعدمِ نبوَّتِه أيضاً، لأننا لا نملكُ الدليلَ عليه، والأَوْلى والأفضلُ والأَسلَمُ أنْ نتوقَّفَ في ذلك، ونعترِفَ بقصورِنا عن إثباتِ نبوّتِه أو نفيِها، ونقول: اللهُ أعلمُ هل كان نبيّاً أم لا.

ولم يتحدَّث القرآنُ عن حياةِ لقمان، فلم يذكرْ نَسَبَه ولا قومَه، ولا المكانَ الذي عاش فيه، ولا الزمانَ الذي أدركَه، ولا الناسَ الذين كان معهم، ولا تفاصيلَ حياتِه، ولا كيفَ صارَ حكيماً. وقد تكلَّمَ الإخباريُّون في ذلك، وأوردوا أخباراً وروايات عديدة عنه، لكنَّها لم تُنْقَلْ بأسانيدَ صحيحةٍ إلى رسول الله ﷺ، ولذلك لا نقولُ بها، ونُبقي هذه المبهماتِ على إبهامِها!.

وكما أكثرَ الإخباريُّون الكلامَ على حياةِ لقمان، كذلك أَكثروا الكلامِ على (الحِكَمِ) والأمثالِ التي نُسِبَتْ إلى لقمان، والدالّةِ على حكمتِه، والتي قاربَتْ سبعينَ قولاً وحِكمة!.

وقد تكونُ بعضُ الحِكَمِ والأقوالِ المنسوبَةِ له صحيحةً صائبةً من حيث المعنى، لكنَّ إثباتَ أنَّ لقمانَ الحكيمَ قالَها يحتاجُ إلى نصٍّ صحيحٍ صريح، كأنْ يكونَ حديثاً صحيحاً مرفوعاً للرسول ﷺ، وهذا غيرُ موجود.

ولذلك نتوقّفُ في نسبةِ الحِكَمِ المذكورةِ في الكتبِ إلى لقمان، لعدمِ وجودِ دليلٍ معتمدٍ في ذلك، وهذا لا يمنعُ من روايةِ هذه الحِكَم والقولِ بها والتزامِها، على أنّها أقوالٌ حكيمة، من دون تحديدِ قائليها.

فقد ذكرَ محمدُ الطاهر ابن عاشور ثمانياً وعشرين حكمةً منسوبةً إلى

لقمان، أخذَها من تفسيرِ الآلوسي، وأضافَ لها حِكَماً أُخرى من مصادرَ أُخرى[1].

ومن الممكنِ أَنْ نذكُرَ بعضَها، غيرَ منسوبة إلى لقمان، كأَنْ نقول: من الأقوالِ الحكيمة: لا تأكُلْ شِبَعاً على شِبَع! ومن الأقوالِ الحكيمة: لِتكُنْ كلمتُكَ طيبةً، ووجْهُكَ بسْطاً، تكنْ أحبَّ إلى الناسِ ممّنْ يُعطيهم العطاء... وهكذا.

وأخبرَنا اللهُ في القرآنِ أنَّ لقمانَ الحكيمَ نصحَ ابنَه ووعَظَه، وقدَّمَ له مجموعةً من النصائحِ والمواعظِ والتوجيهات، وذلك في سبعِ آياتٍ من سورةِ لقمان [١٣ـ١٩].

نهى لقمانُ ابنَه عن الشركِ بالله، لأنَّ الشركَ ظلمٌ عظيم، ووجَّهه إلى البرِّ بوالديه، ودَعاه إلى تذكُّر حمْلِ أُمِّه به وإرضاعِها له، وأَخبرَه بأنَّ برَّ الوالدين واجب، وأنَّه لا يعصيهما إلا إذا أَمَراه بمعصية، ومعَ ذلك يجبُ مصاحبتُهما في الدنيا بالمعروف والبر.

وذكَّرَه بشمولِ علمِ اللهِ لكلِّ شيء، لأنَّه لطيفٌ خبير، وبكلِّ شيءٍ عليم، ودَعاهُ إلى إقامةِ الصلاة، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، والصبرِ على ما أصابَه من ذلك، ونهاهُ عن التكبُّرِ على الناسِ، والاختيالِ عليهم، وطلبَ منه أنْ يقتصدَ في مشيِهِ، ويَغُضَّ من صوتِه، لأنَّ أنكرَ الأصواتِ صوتُ الحمير.

وبدلَ ذكْرِ أخبارٍ لم تصحّ عن لقمان، وأقوالٍ لم تثبت عنه، علينا أنْ نقفَ أمامَ وصاياهُ إلى ابنِه، التي ذكرها القرآن، متدبّرين مستفيدين!.

* * *

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/ ١٦٩ـ١٧٣.

٢٨ ـ مأجوج

(مَأْجُوجُ) مقترنٌ مع (يَأْجوجَ) في القرآن، متأخرٌ عنه. وقد ذُكِرَا معاً مرّتيْن في القرآن:

المرةُ الأُولى: في قصةِ ذي القرنين من سورة الكهف، فلما بَلَغَ بين السدَّيْن في رحلتِه الثالثة وجدَ من دونِهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، فاشتكوا إليه من هجماتِ يأجوجَ ومأجوج. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

المرةُ الثانية: في الحديثِ عن أَشراطِ الساعة في سورةِ الأَنبياء. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧].

وسننظرُ في الاسميْن هنا، وعندما نمرُّ على (يَأْجوجَ) في حرفِ الياء، سنحيلُ على ما سنقوله عنه هنا إنْ شاءَ الله.

اختلفَ العلماءُ في (يأجوج ومأجوج)، فمنهم مَنْ ذهب إلى أَنّهما اسمان أعجميان، ممنوعانِ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، وذهبَ آخرون إلى أنّهما اسمان عربيّان مشتقّان من (الأَجِّ) و(المَجِّ).

وقبلَ الكلامِ عن عربيّتِهما أَو أَعجميتِهما نذكُرُ القراءَتيْن فيهما:

الأُولى: قراءة عاصم الكوفي: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ﴾ بتحقيقِ الهمزةِ فيهما.

الثانية: قراءةُ التسعة الباقين ـ نافعٍ وابنِ كثير وابنِ عامر وأبي عمرو وحمزةَ والكسائيِّ وأبي جعفر ويعقوب وخلفٍ: ﴿إن ياجوج وماجوج﴾ بدونِ همزةٍ فيهما.

أما عن اشتقاقِهما، فقد قالَ ابنُ منظورٍ في لسانِ العرب: «يأْجوجُ

ومأْجوجُ، قبيلَتان من خلْقِ الله، جاءت القراءةُ فيهما بهمزٍ وغيرِ همز. .

وهما اسمانِ أَعجميان. . واشتقاقُ مثلِهما من كلامِ العرب يخرجُ من: أجَّتِ النار، ومن الماءِ الأُجاج، وهو الماءُ المالحُ الشديدُ الملوحة، الذي يَحْرِقُ من ملوحته. ويكونُ التقديرُ في (يَأْجوج) يَفْعول، وفي (مَأْجوج) مفعول.

ويجوزُ أَنْ يكونَ (يَأْجوج ومَأْجوج) على وزْنِ (فاعول).

هذا لو كان الاسمان عربيان لكان هذا اشتقاقهما. . فأمَّا الأعجميّةُ فلا تُشْتَقُّ من العربية. . .»[1].

ونُضيفُ إلى كلامِ ابنِ منظور كلامَ السمين الحلبي في تفسيره. قال: «اخْتُلِفَ في يَـأْجوج ومأجوج: فقيل: هما أَعجميان لا اشتقاقَ لهما، ومُنِعا من الصرفِ للعلَميـة والعُجمة. ويُحتمَلُ أَنْ تكـون الهمزةُ أَصْلاً، والألـفُ بدلٌ عنها، أو بالعكس، لأنَّ العربَ تتلاعبُ بالأسماءِ الأعجمية.

وقيل: بل هما عربيّان. واختَلفوا في اشتقاقِهما. فقيل: اشتقاقُهما من أَجيجِ النـار، وهو التهابُها وشدةُ توقُّدِها. وقيل: اشتقاقُهما من الأَجَّة، وهـو الاختلاط، أو شدةُ الحر. وقيل: اشتقاقُهما من الأجّ، وهو سرعةُ العَدْوِ. وقيل: اشتقاقُهما من الأُجاج، وهو الماءُ الملْحُ الزُّعاف.

ووزْنُهما: يَفْعول ومَفْعول.

ويُحتمَلُ أَنْ يكـون (مَأْجوج) من: ماجَ يَموج. أي: اضطرب، ومنـه الموج. فوزْنُه مَفْعول. والأصل: موجوج»[2].

وكان للمفسِّر محمد الطاهر ابن عاشور رأيٌ فريدٌ فيهما، قال: «اختَلَفَ المفسّرون في أنَّه اسمٌ عربيّ أو مُعَرّب. وغالبُ ظَنّي أنّه اسمٌ وضعَهُ القرآن، حاكى به معنـاهُ في لغةِ تلك الأُمة، المناسبَ لحالِ مجتمعِهم، فاشتَقَّ لهما من مـادة (الأَجّ) وهو الخلط، إذ قد علمْتَ أنَّ تلك الأُمّةَ كانتْ أَخلاطاً من أصناف»[3].

---

(١) لسان العرب: ٢/ ٢٠٧.
(٢) الدر المصون: ٧/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦.
(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ٣٤.

إذن: على القولِ باشتقاقِ يَأْجوج ومَأْجوج، يكونُ (يَأْجوج) مشتقاً من (الأَجّ)، وهو شدّةُ توقُّدِ النار وحَرِّها، أو من الاختلاط، أو من سرعةِ العَدْوِ والسير، ويكونُ (مَأْجوج) مشتقّاً من المَجِّ، وهو المَوْجُ والاضطراب.

لكنَّ الراجحَ أنّهما اسمان أَعجميان، لأنّهما أُطلقا على أُمّتَيْن عظيمتيْن زمنَ ذي القرنين، وهما من غيرِ العرب.

وقَرْنُ القرآنِ بينهما في السورتين ـ الكهفِ والأنبياء ـ يدلُّ على أنهما أُمّتان متلازمتان، تعيشان معاً منذُ ذي القرنين وحتى قربِ قيامِ الساعة.

وقد اختلفَ العلماءُ في تحديدِ مكانِ وجنسِ يَأْجوج ومَأْجوج، لأنَّ القرآن ذكرَ حالَتَيْن لهما: حالةَ زمن ذي القرنيْن عندما بنى السّدَّ أمامَهما، والحالةَ التي يَخرجان عليها قُبيلَ الساعة.

كانَ ذو القرنين رجلاً صالحاً مجاهِداً، ووصلَ في جهادِه مغربَ الشمس، ثم بلغَ مشرقَ الشمس، ثم قامَ بسيرٍ جهاديٍّ ثالثٍ نحو الشمال، فبلغَ بين السّدَّيْن، فوجدَ عندهما قوماً لا يكادون يَفقهون قولاً، في المنطقة الواقعةِ بينَه وبين السدين. فاشتكوا إليه من هَجَمات يَأْجوج ومَأْجوج المفسدين في الأرض، الذين كانوا يُقيمون خلفَ السّدّيْن، فيَجتازون السّدّين، ويُغيرون عليهم، وعَرضوا عليه أنْ يُعطوه المالَ ليبني سدّاً، ويَسُدَّ به الممرَّ بين السّدَّين! فترفَّعَ عن المال، وبَنى لهم سَدّاً منيعاً، أَغلقَ به الممرَّ بين السدّين، وبذلك أوقفَ هجماتِ يَأْجوج ومَأْجوج.

وللعلماءِ كلامٌ حولَ مكانِ السّدّ، وهل ما زال موجوداً، أَمْ نُقِض ودُمِّر؟ وهذا الكلامُ مبنيٌّ على الاختلافِ في يَأْجوج ومَأْجوج!

والراجحُ عندنا أنَّ المرادَ بيأْجوج ومأْجوج الشعوبُ والأُممُ في شرقِ آسية، في الصينِ وما حولَها، وأنّهم خرجوا قبلَ ذي القرنين في موجاتٍ عديدةٍ، اجْتاحوا بها غربَ آسية وشرقَ أوروبة، وخرجوا بعدَ ذي القرنين. ومن خروجِهم الكبيرِ المدمِّر اجتياحُهم بلادَ المسلمين في القرنِ السابع، وتدميرُهم البلدانَ الإسلاميةَ الشرقية، ودخولُهم بغدادَ عاصمةَ الخلافةِ الإسلامية، إلى أَنْ أوقفَ المسلمون زحفَهم وهَزَموهم في معركةِ عين جالوت.

فما فعلَه جنكيزخان وهولاكو ومَنْ معهما من المغول، خروجٌ كبيرٌ من خروجِ يَأْجوج ومَأْجوج، وهذا معناه أنَّ السّدَّ الذي بناهُ ذو القرنين قد دُمِّرَ قبل دخولِ المغول بغدادَ عام ٦٥٦هـ، والراجحُ أنَّ هذا السدَّ بُنيَ في منطقةِ القفقاس، الواقعةِ بين بحرِ قزوين والبحر الأسود.

ومما يرجحُ هذا الفهمَ أنَّ (الصينَ) الآن دولةٌ واحدة، وفيها أكثرُ من ربعِ سكان العالم، ونسبةُ تكاثرِ الصّينيّين عاليةٌ جداً، فإذا كانوا بهذه الكثرة الآنَ، فكيف سيكونُ حالُهم بعدَ عدّة قرون؟!.

والقولُ بأنَّ يَأْجوجَ ومأْجوجَ في منطقةِ الصين ومنغوليا، وأنّهم خرجوا عدةَ مراتٍ من قبلُ، لا ينفي أنّهم سيخرجون الخروجَ الكبير قُبيلَ قيامِ الساعة، وهو الذي صَرَّحَتْ به آياتُ سورةِ الأنبياء، إضافةً إلى أحاديث صحيحةٍ لرسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ـ٩٧].

أخبرَ اللهُ في هاتيْن الآيتيْن أنّه سيفتحُ الباب أمامَ يأْجوج ومأجوج، قبيلَ قيامِ الساعة، بدليلِ قوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾، والمرادُ بالوعدِ الحقِّ قيامُ الساعة، فسيكونُ خروجُهم عند اقترابِ الوعدِ الحق، أي: سيكونُ قبيلَ يومِ القيامة.

ويُخبرُ اللهُ في الآيتيْن أنَّ يأجوجَ ومأْجوجَ كثيرٌ عددُهم، فهم من كلِّ حدبٍ يَنْسِلون. أي: يسيرون مسرِعين، ويَجتازون كلَّ حَدَبٍ مرتفع، وكلَّ وادٍ منخفض، وكلَّ سهلٍ منبسط.

وأخبرَنا رسولُ الله ﷺ في عدةِ أحاديثَ صحيحةٍ أنَّ يَأْجوجَ ومَأْجوج سيخرجون من جهةِ المشرق، بعد أَنْ يَنزلَ عيسى عليه السلام من السماء، ويَقتلَ الدجّال ويُبيدُ المسلمونَ جيشَه الكافرين، فيخبرُ اللهُ عيسى عليه السلام أنّه خرجَ يأجوجُ ومأجوجُ، وتوجَّهوا إليه، وأنّه لا قدرةَ له على قتالِهم، وعليه أَنْ يأويَ بالمؤمنين إلى جبلِ الطور.

ويأْتي يأجوجُ ومأجوجُ إلى الشام، وهم لا يُحصَونَ عدداً، بحيثُ يمرُّ أولُ جيشِهم على بحيرةِ طبرية، فيشربونَ ماءَها، وإذا مرَّ آخرُهم عليها لا يجدون فيها

قطرةَ ماء، فيقولون: قد كان في هذه مرةً ماء!! ويحاصِرونَ عيسى عليه السلام والمؤمنين على جبلِ الطور، حيثُ يُحيطون به من جميعِ الجوانب، ويَمُرُّ المؤمنون بحالةٍ من الضيق والشدّة، ويُرسلُ اللهُ على يأجوجَ ومأجوج الدودَ ـ النَّغَفَ ـ في رقابهم، فيموتون جميعاً في لحظةٍ واحدة، ويُرسلُ اللهُ عليهم السماء، فتمطرُ مطراً غزيراً، وتَجرفُ السيولُ جثثَهم وتُلقيها في البحر!.

ويأجوجُ ومأجوجُ كفار، وبما أنَّهم من أكثرِ الأُمم عدداً فسيكونون من أكثرِ أهلِ النارِ عدداً، كما أخبرَ رسولُ الله ﷺ.

* * *

٢٩ ـ ماروت

قَرَنَ القرآنُ بين الاسميْن (هاروتَ وماروتَ)، عند حديثِه عن قصةِ الملَكين ببابل هاروتَ وماروتَ، وذُكِرا مرةً واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والشاهدُ في الآية قولُه: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾. وسنتحدَّثُ عن (هاروتَ وماروتَ) هنا، لأنَّه لا يمكنُ الفصلُ بينهما، وعندما نأتي إلى «هاروت» في حرفِ الهاء، سنحيلُ على ما سنقولُه هنا بإذنِ الله.

وللعلماءِ كلامٌ كثيرٌ وخِلافٌ كبير، في الحديث عن «المَلَكيْن ببابل هاروت وماروت» وارتباطِهما بالسحر، لا مجالَ لاستعراضِه هنا، فنُحيلُ عليه في تفسير المفسّرين لهذه الآية.

هل «هاروت وماروت» مَلَكان من الملائكة، أو مَلِكان من ملوك الأرض؟ ذهب بعضُهم إلى الثاني، وقالوا: كانا مِلِكيْن اثنيْن ـ بكسر اللام ـ مقيمان في بابلَ، ويُعلِّمان الناسَ السحر.

وهذا كلامٌ باطل، لأنّه لو صحَّ لكانت اللامُ في (المِلِكين) مكسورة، على أنّها مُثنّى كلمة (مَلِك)، والقراءةُ بكسْرِ اللام شاذّة. وقد أجمعَ القرّاءُ العشرةُ على القراءةِ بفتحِ اللام: ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ أي: هما اثنان من الملائكة، مقيمان ببابل، اسمُ الأول هاروت، واسمُ الثاني ماروت.

واختلفَ العلماءُ في (هـاروت وماروت) هل هما اسـمان أَعجميان، أم اسمان عربيّان؟:

فقالَ بعضُهم: هما اسمان عربيّان: (هاروتُ) مشتَقٌّ من (هَرْت)،

والهَرْتُ: سَعَةُ الشِّدْق، و(ماروتُ) مشتقٌّ من (مَرْت)، والمرتُ: الكسر[1]، مثلُ: طاغوت المشتقُّ من الطغيان.

ورجَّحَ جمهورُ العلماءِ أنّهما اسمان أعجميان، ممنوعان من الصرف للعلمية والعُجمة. ولو كانا عربيَّيْن مشتقَّيْن لما مُنعا من الصرف!.

والراجحُ أنّهما اسمانِ أعجَميّان، ممنوعانِ من الصرفِ للعلميةِ والعُجْمة، فلا نبحثُ لهما عن معنى أو اشتقاقٍ في اللغةِ العربية.

قالَ السمينُ الحلبيّ: «وليسَ مَنْ زعَمَ اشتقاقَهما من الهَرْتِ والمَرْتِ بمصيب، لعدمِ انصرافِهما، ولو كانا مشتقَّيْن كما ذُكر لانْصَرَفا»[2].

ولذلك ذكرَهما الجواليقي في كتابِه (المُعرَّب) ضمن الأسماءِ الأعجمية المعرَّبة[3].

وأَبْعَدَ محمد الطاهر ابن عاشور، عندما ذهبَ إلى أنّهما تعريبٌ لاسمَيْن كلدانيَّيْن صنمَيْن عبدَهما أهلُ بابل، وذلك في قوله: «هاروتُ وماروتُ اسمان كلْدانيان، دخلَهما تغييرُ التعريف، لإجرائِهما على خفةِ الأوزانِ العربية.. والظاهرُ أنَّ هاروتَ مُعَرَّبُ (هاروكا)، وهو اسمُ القمرِ عند الكلْدانيين، وأنَّ ماروتَ مُعَرَّبُ (مارودداخ)، وهو اسمُ المشتري عندهم، وكانوا يَعُدُّون الكواكبَ السيارةَ من المعبوداتِ المقدَّسة...»[4].

وكلامُ ابنِ عاشور غيرُ مسلَّمٍ لأنَّ الآيةَ أخبرَتْ أنّهما اثنانِ من الملائكة، نَزَلا إلى الأرض لمهمةٍ خاصة، ثم صَعَدا إلى السماء، ولا يصلُحُ أنْ يكونَ الاسمان (هاروت وماروت) رمزَيْن لكوكَبَيْن أو صنمَيْن معبودَيْن!!.

و(هاروتَ وماروتَ) في الآيةِ مجروران، على أنّهما بدلٌ من (الملكَيْن) ﴿عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ وعلامةُ جَرِّهما الفتحةُ بدل الكسرة، لأنّهما ممنوعانِ من الصرفِ، للعلميّة والعُجْمة.

---

(١) المفردات، ص٨٤٠؛ وعمدة الحفاظ: ٤/ ٩١.

(٢) الدر المصون: ٢/ ٣٣.

(٣) المعرب، ص٣٦٥ و٣٩٤.

(٤) التحرير والتنوير: ١/ ٦٤٢.

وخلاصةُ قصة الملَكَيْن ببابلَ هاروتَ وماروت، المفهومة من الآية، أنَّه لما دَمَّرَ بختنصرُ بيتَ المقدس، وقضى على الدولةِ اليهوديةِ فيها، أَخَذَ اليهودَ أسرى إلى بابل، فأقاموا فيها فترةً من الزمان. ومن المعلومِ أنَّ اليهودَ قومٌ مشهورونَ بالسحر، فكانوا يُمارسونه في بابل، ويستخدمونه في تخويفِ الناس.

وأرادَ اللهُ أنْ يكشفَ للناس في بابل وغيرِها حقيقةَ السحر، ليَعرفوهُ ولا يخافوا منه، واختارَ ملَكَيْن من ملائكته، هما هاروتُ وماروتُ، وأنزلَهما من السماءِ إلى بابل، ومهمتُهما هناك أَنْ يُعلِّما الناسَ السحر، ليَعرفوه ويكشفوا حقيقتَه، وأثناءَ تعليمِهم السحر كانا يُحذِّرانهم من ممارسته، وينهيانِهم عن العملِ به، ويقولان لهم: إنّما نحنُ فتنة، فلا تكفروا. أي: بعثَنا اللهُ إليكم فتنةً وامتحاناً واختباراً، فإن التزمتم بتوجيهاتِنا نجحتُم في الاختبار، وإنْ خالفتُموها خسرتُم.

وانتهتْ مهمةُ الملَكين هاروتَ وماروتَ ببابل، وصَعَدا إلى السماءِ، ملكيْن كريميْن، كما نزلا منها ملكيْن كريميْن.

ولكنَّ أهلَ بابل لم يلتزموا بتحذيرِ المَلَكيْن هاروت وماروت، وصاروا يمارسون ويُطبِّقون السحرَ الذي تَعلَّموه منهما، وصاروا يفرِّقون به بينَ المرءِ وزوجِه، وبذلك كفروا، علماً أنَّهم لا يضرُّون أحداً بالسحرِ إلا بإذنِ الله.

على هذا الفهمِ الراجحِ الصحيح ـ إنْ شاءَ الله ـ لقصةِ الملَكَيْن ببابلَ هاروتَ وماروت، يكونُ تحليلُ جملَة: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ هكذا:

الواوُ في «وما أنزل» حرفُ عطف، وجملةُ «ما أُنزل» معطوفةٌ على جملة «ما تتلو الشياطين».

و«ما» اسمُ موصولٍ بمعنى (الذي) في محل نصب، لأنَّها معطوفةٌ على (ما) السابقة في «واتبعوا ما تتلو الشياطين»، التي في محلِّ نصبِ مفعولٍ به.

وجملةُ «أنزل على الملكين» صلةُ الموصول. والتقديرُ: اتَّبعَ اليهودُ المكذوبَ الذي تَلَتْه الشياطينُ على ملكِ سليمان، واتّبعوا المنزَّل على المَلَكَيْن ببابل!.

و«بابل» مجرورةٌ بالباء، وعلامةُ جرّها الفتحة، لأنّها ممنوعةٌ من الصرف، للعلمية والعُجمة، كما ذكَرْنا سابقاً في حرف الباء.

و«هاروتَ» بدلٌ من «الملَكين» مجرورة، وعلامةُ جرِّها الفتحة، لأنها ممنوعةٌ من الصرف، للعلَميـة والعُجمة. و«ماروتَ» معطوفةٌ على «هاروت» مجرورةٌ بالفتحة وممنوعةٌ من الصرف مثلُها!.

هذا هو الراجحُ الصحيحُ من تحليلِ الجملة التي وردَ فيها «هاروت وماروت» وإعرابها وبيانِ معناها، إنْ شاءَ الله.

ونُحذِّرُ من الإسرائيليّاتِ الكاذبةِ الباطلة التي أُطلقَتْ حولَ الملَكين ببابل هاروت وماروت، والتي استهوَتْ معظمَ المفسِّرين، فأوردوها في تفاسيرهم، وفسَّروا بها كلامَ الله، والتي تتَّهم الملَكيْن بارتكابِ جريمةِ القتل، ومعصيةِ شربِ الخمر، وفاحشـةِ الزنى! مع أنَّ الملائكـةَ معصومون عن الذنوبِ والمعاصي والأخطاء.

* * *

٣٠ ـ مريم

مَرْيَمُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ (مَرْيَمَ) كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (الرّيم) وهو التباعد.

قالَ الزمخشريُّ في اشتقاقِ (مريم): «مريمُ بمعنى الخادِمُ. وقيل: المريمُ بالعربيةِ من النساء، كالزّيرِ من الرجال. وبه فُسِّرَ قولُ رُؤْبَة:

قُلْتُ لِزيرٍ لَمْ تَصِلْهُ مَرْيَمُهْ ضِلِّيلِ أَهْواءِ الصِّبَا تَنَدُّمُهْ

ووزْنُ (مريمَ) عند النحويين (مَفْعَل)، لأنَّ (فعيلاً) بفتْحِ الفاءِ لم يثبتْ في الأبنية»[(١)].

وأضافَ السمينُ الحلبيُّ إلى الزمخشريِّ قولَه: «و(مريم) في لسانِ العرب: المرأةُ التي تُكثرُ مخالطةَ الرجال، كالزّيرِ من الرجال، وهو الذي يُكثرُ مخالطةَ النساء»[(٢)].

ورفضَ ابنُ عاشور القولَ باشتقاقِ (مريم)، والحقُّ معه في هذا الرفض. قال: «مريم: أُمُّ عيسى عليه السلام، وهذا اسْمُها بالعبرانية، نُقِلَ للعربيةِ على حالِه لخفَّتِه، ولا معنى لمريمَ في العربيةِ غيرُ العلمية.

إلاَّ أنَّ العربَ المتنصّرةَ عامَلوه معاملةَ الصفة، في معنى المرأةِ المتباعدةِ عن مشاهدةِ النساء، لأنَّ هذه الصفةَ اشتهرتْ بها مريم، إذْ هي أولُ امرأةٍ عبرانيةٍ خدمَتْ بيتَ المقدس، فلذلك يقولون: امرأةٌ مَرْيَمُ. أي: امرأةٌ معرضَةٌ عن صفاتِ النساء. وليس (مَرْيَم) مشتقاً من: رامَ يَريم، كما قد يُتَوَهَّمُ...»[(٣)].

---

(١) الكشاف: ١/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) الدر المصون: ١/ ٤٩٤.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٩٥٤.

وذهبَ الفيروزآبـادي إلى أنَّ (مريم) اسمٌ أَعجمي، ولكنَّه قَدَّمَ لـه معنى جديداً في العربية، قال: «مريم: اسمٌ عربيٌّ غيرُ منصرِف، للعُجمةِ والعلميـةِ والتأنيثِ. وقيلَ: معناهُ بالعبراني: خادمةُ الله. وقيل: معناه أَمَةُ الله. وقيل: معناهُ المحرَّرَة.

وشـذَّ بعضُهم فقال: (مريم): عربيّ معناه: مَرَتْ ورامَتْ أي: حَلَبَتْ وطَلَبَتْ. أي: استخرجَتْ طاعةَ الله، وطلبَتْ مرضاتِه. وقيلَ: إشارةٌ إلى أنَّها مرَّتْ على يَمِّ الطاعةِ مرورَ السفينةِ باليم»(١).

ولَسْنا مع الفيروزآبادي في تفسيرِه لمعنى اسمِ مَرْيَم بالعربية، ولا مع الذين ذَهَبوا إلى أنَّهُ اسمٌ عربيٌّ مشتق، ولا نقولُ بهذه المعاني التي ذكَروها له.

والراجحُ عندنا أنَّ (مريمَ) اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة، ولا نبحثُ له عن معنى في العربية.

وقد وردَتْ (مريمُ) أربعاً وثلاثينَ مرةً في القرآن: مرتَيْن في سورةِ البقرة، وسبعَ مراتٍ في سورةِ آل عمران، وعشْرَ مراتٍ في سورةِ المائدة، وثلاثَ مراتٍ في سورة مريم، ومرتيْن في سورةِ الصف، ومرةً في سور: التوبة، والمؤمنون، والأحزاب، والزخرف، والحديد، والتحريم.

وليس المرادُ مريمُ نفسُها في كلِّ هذه المرات، فأحياناً كانتْ هي المقصودة، وذلك في إحدى عشرةَ مرةً منها، وغالباً كان المرادُ ابنها عيسى عليه السلام، حيث كان منسوباً إلى أُمّه (عيسى ابن مريم) وذلكَ في ثلاثٍ وعشرين مرةً منها.

و(مَرْيَمُ) هي الأُنثى الوحيدةُ المذكورةُ في القرآن، وباقي النساء لم يُذْكَرْنَ بأَسمائِهنّ الصريحة، إنما يوصَفْنَ بصفاتٍ دالّةٍ عليهن، مثل: زوجِ آدم، وامرأةِ نوح، وامرأةِ لوط، وامرأةِ فرعون، وأُمّ موسى، وأُخت موسى، وامرأةُ إبراهيم، وامرأةُ زكريا، وهكذا.

ونقلَ محققُ كتابِ (مفردات ألفاظ القرآن) الأُستاذُ صفوانُ داوودي، عن التلمساني حكمةَ التصريحِ باسمِ (مريم) في القرآن، فقال: «لم يَذكرِ اللهُ امرأةً في

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ١٠٩.

القرآنِ باسمِها إلا مريم . . والحكمةُ فيه أنَّ الملوكَ والأشرافَ لا يَذْكُرون حرائرَ زوجاتهم بأسمائهن، بل يكنّون عنهنَّ بالأهل والعيال ونحوه، فإذا ذكروا الإماء لم يُكنّوا، ولم يَحْتَشموا عن التصريح، فلذا صَرَّحَ باسمِها، إشارةً إلى أنّها أَمَةٌ من إماءِ الله، وابنَها عبدٌ من عبيدِ الله . . . »[1].

وهذا ردٌّ على اليهودِ الكافرين، الذين اتَّهموا مريم رضي الله عنها بالفاحشة، حيثُ سمَّاها اللهُ، ووصَفَها بالعفّة، وهو رَدٌّ على النصارى أيضاً، الذين قالوا بأُلوهية عيسى عليه السلام، فكذَّبَهم اللهُ بذلك، وذَكَرَ لهم اسمَ أُمِّه، ليذكِّرَهم بأنَّهُ ابنُ مريم، وليس ابناً لله.

ومن لطائفِ التعبيرِ القرآنيّ، أنَّ همزةَ (ابن) مذكورةٌ في كلِّ الآياتِ التي وردَ فيها (عيسى ابنُ مريم)، مع أنَّ القاعدة النحويةَ العربية أنّه إذا وقعَتْ كلمةُ (ابن) بين عَلَمَيْن، فإنَّ همزتَها تُحذَف، يُقالُ: عمرُ بنُ الخطاب، وعثمانُ بن عفان. فبقاءُ همزةِ (ابن) مع (عيسى ابن مريم) يؤكِّدُ ما قلناهُ، من الحرصِ على نسبةِ عيسى عليه السلام إلى أُمِّه مريم، تكذيباً للنصارى في زعمِ أُلوهيته.

و(مريم) امرأةٌ صالحة، وليسَتْ نبيّة، لأنَّ النبوَّة خاصةٌ بالرجال، ويُخطئ مَن يقول: مريمُ عليها السلام، لأنَّ الصلاةَ والسلامَ مصطلحان خاصّان بالأنبياء، ولا يجوزُ إطلاقُهما على غيرهم من الصحابةِ والأولياء، فلا يُقال: أبو بكر عليه السلام، ولا يقال: عليٌّ عليه السلام، ولا يُقال: مريمُ عليها السلام. وإنما يُقال: عليٌّ رضيَ اللهُ عنه، ومريمُ رضي اللهُ عنها.

وأُطلقَ اسمُ (مريم) على إِحدى سورِ القرآن، وهي سورةُ مريم المكية، التي أَنزلَها اللهُ على رسولِه ﷺ قبلَ هجرةِ الصحابةِ الأُولى إلى الحبشة، بدليلِ أنه لمّا دخلَ المهاجرون على النجاشي، قرأ عليه جعفرُ بنُ أبي طالب رضي الله عنه صدرَ سورةِ مريم، فتأثَّرَ النجاشيُّ ومَنْ حولَه مِن الحبشة.

وكانَ الكلامُ في سورةِ مريم عن مريم رضي الله عنها، عندما كَبرتْ وأَصبحتْ شابّة، واعتزلَتْ قومَها، وذهبتْ إلى مكانٍ شرقيٍّ ومكانٍ قصيّ، حيثُ أتاها

---

(١) المفردات، ص٧٦٦، حاشية.

جبريلُ ونفخَ فيها، ثم حملَتْ بعيسى عليه السلام ووضعَتْه، لكنَّ سورةَ آل عمران تحدَّثَتْ عن مريمَ منذُ أن كانتْ في بطنِ أُمِّها إلى أَنْ أَنجبَتْ عيسى عليه السلام.

ذكرتْ سورةُ آلِ عمرانَ أنَّها مريمُ ابنة عمران ـ الذي تحدَّثْنا عنه في صفحاتٍ سابقة ـ وأخبرتْ أنَّ أُمَّها نَذَرَتْ ما في بطنِها، وهو جنين، وهي تطمعُ أَنْ يكونَ ذكراً صالحاً، لخدمةِ بيوتِ الله.

ولما وضعَتْ ما في بطنِها فوجئَتْ بها أُنثى، ولكنَّها وفَتْ بنذْرِها، وجعلتْها خالصةً محررَةً لله، وألهمَها اللهُ أَنْ تسميها (مريم)، ولا نعرفُ معنى هذا الاسمِ في اللغة العربية، لأنه اسمٌ أَعجمي كما سبق أَنْ قدَّرْنا، وأعاذَتْها أُمُّها هي وذرِّيَّتَها من الشيطان، ولذلكَ حماها اللهُ من الشيطان، وبما أَنَّ اللهَ قَدَّرَ أَنْ تلدَ عيسى عليه السلام من دون أب، ليكونَ هو وأُمُّه آية، فإنَّه حماه هو أيضاً من الشيطان، منذ ولادتِه، وبذلك تحقَّقَ قولُ أُمِّها: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ولمَّا وفَتْ أُمُّها بنذرِها، وجعلَتْها خالصةً لله، اختلفَ العابدون في كفالتِها، كلُّهم يُريدُ أَنْ يكْفلَها، فقدَّرَ اللهُ أنْ يكفلَها زكريا النبي عليه السلام، وهو زوجُ أُختِها، فعاشَتْ في بيتِهِ عند أُختِها!.

ونشأَتْ مريمُ رضي الله عنها نشأةً إيمانيةً صالحة، تحتَ رعايةِ زكريا عليه السلام، وأجرى اللهُ لها كرامةً ربانية، فكلّما كان زكريا عليه السلام يدخلُ عليها المحراب، كان يَجدُ عندَها رزقَها، فيسألُها: يا مريمُ أَنّى لكِ هذا، فتجيبُه قائلة: هو من عندِ الله، إنَّ اللهَ يرزقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حساب. عند ذلك عرفَ زكريا منزلَتَها عند الله، وما خصَّها به من الكرامة.

وبَعَثَ اللهُ لها جبريلَ عليه السلام، وأتاها وهي في خلوةٍ ومناجاةٍ لله، بعيدةً عن قومِها، فرأَتْه أَمامَها بَشَراً سوياً، وفاجأَها بأنّه سيهبُ لها غلاماً زكيّاً، ولما استغربَتْ وفوجئَتْ بالبشارةِ، أَخبرَها أنَّ هذا من أمرِ الله، واللهُ فَعَّالٌ لما يُريد، ونفخَ فيها نفخةً بأَمرِ الله، ودخلَتْها روحٌ من الله، وخلقَ اللهُ في رحمِها عيسى عليه السلام، وتتابعَتْ أَحداثُ حملِها وولادتِها في ساعاتٍ متعاقبةٍ سريعة، وأَلجأَها

المخاضُ إلى جذعِ نخلة، فوضعَتْ عيسى، في منطقةِ (بيت لحم) القريبةِ من القدس، وأَنطقَ اللهُ ابنَها الذي لم تمضِ لحظاتٌ على ولادتِه، وطمأنَها وأرشدَها إلى كيفيةِ التصرف، بأَنْ تهزَّ إليها جذعَ النخلة، لتُساقِطَ عليها رُطَباً جنياً، وأَنْ تشربَ الماءَ من السَّرِيّ - الجدول - الذي أَنبعَه اللهُ لها قبلَ لحظات، ولم يكن موجوداً من قبل! وطلبَ منها أَنْ لا تتكلَّمَ عندما يستغربُ قومُها منها، وأَنْ تَكِلَ الكلامَ إليه.

وحملتْ مريمُ رضي اللهُ عنها وليدَها، وأَتتْ به قومَها، وكلُّها يقينٌ وثقةٌ بالله، ولما فوجئوا بما يرون، وطَلبوا منها تفسير ما فعلَتْ، لم تتكلَّم، وأَشارَتْ إلى وليدِها، فأَنطقه الله، وأَخبرهم أَنَّه عبدُ الله ورسوله، وسيكونُ نبياً.

وبقيتْ مريمُ رضي الله عنها مع ابنِها عيسى عليه السلام، حتى كَبُرَ وصارَ نبيّاً، ولم يذكر القرآنُ لنا شيئاً عن مريمَ بعد مجيئِها إلى قومِها وهي تحملُ ابنَها، فلا نعرفُ ماذا جرى لها بعدَ ذلك، ولا نخوضُ فيه لأَنَّه من مُبهماتِ القرآن!.

* * *

٣١ ـ مصر

مِصْرُ: وردَتْ في القرآنِ أَربعَ مرات. مرةً مصروفة، وثلاثَ مراتٍ ممنوعةً من الصرف.

وردَتْ مصروفةً بإجماع القرّاءِ العشرةِ، في قولِه تعالى: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة: ٦١].

ولْننظرْ في الآيةِ التي صُرِفَتْ فيها. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ٦١].

تتحدَّثُ الآيةُ عن بعضِ ما جرى لبني إسرائيل وهم في صحراءِ سيناء، فقد خرجَ بهم موسى عليه السلام من مصر، وسيناءُ صحراء، ليس فيها حياةُ الرفاهيةِ الموجودةِ في مصْرَ، وأَكرمَهم اللهُ فيها بأَنْ ظَلَّلَ عليهم الغمام، وأَنزلَ عليهم المنَّ من الحلوى، والسلوى من الطير.

ولكنَّهم كرهوا الاستمرارَ في أَكْلِ المنِّ والسَّلوى، وتاقَتْ نفوسُهم إلى التنوّع في الطعام، فقالوا لموسى عليه السلام: لن نصبرَ على صنفٍ واحدٍ من الطعام، وإنَّ اللهَ يعطينا آياتٍ ومعجزات، فادعُ لنا ربَّكَ أَنْ يُخرجَ لنا مما تُنبتُ الأرضُ من بعضِ المزروعات، كالبقل والقثّاء والفوم والعدس والبصل.

واستاءَ موسى عليه السلام من طلبهم، فهم في هذه الصحراء، يَعيشونَ حياةَ التقشّفِ تمهيداً لدخولِهم الأرضَ المقدّسة، وحياةُ التقشّف والإعدادِ لا تتفقُ مع الترفِ والرفاهيةِ والتوسُّع في الطعام، وأنكرَ عليهم قائلاً: أَتستبدلون الذي هو أدنى من البقلِ والقثّاءِ والفومِ والعدسِ والبصلِ بالذي هو خير من السلوى المشوية والمنّ الحلو؟.

ثم أَخبرَهم أنَّ هذه الخضارَ التي يُريدونَها لا توجَدُ في الصحراء، وتوجَدُ

في الأراضي الزراعيةِ حيث المدنُ والبيوتُ والمزارعون، وقال لهم: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾.

أي: ادخلـوا أيَّ بلدٍ زراعيٍّ فسـوفَ تَجدونَ فيه تلكَ الخضروات التي تسألونَها.

وليس المرادُ بكلمةِ (مصراً) المصروفة القطرُ المصريّ المعروف، الذي خرجوا منه، فإنّهم لم يَعودوا إلى مصرَ بعدَ أَنْ خَرَجوا منها، إنّما المرادُ أَيُّ قطرٍ من الأقطار.

و(المِصْرُ) كلمةٌ عربيةٌ أَصلية، وليست أعجمية، ولها تصريفاتٌ عربية.

قال الراغب في المفردات: «المِصْرُ: اسمٌ لكلّ بلدٍ مَمْصور. أي: مَحْدود. يقال: مَصَرْتُ مَصْراً: أي: بنيْتُه. والمِصْرُ: الحَدُّ»[1].

وأوردَ صاحبُ لسانِ العربِ كلامَ الجوهري عن مصر، قال: «المِصْرُ: واحِـدُ الأمصار.. ومَصَّروا الموضعَ: جَعلوه مِصْراً، وتمصَّرَ المكان: صارَ مصراً.. والمِصْرُ: الحَدُّ والحاجزُ بين الشيئَيْن»[2].

والتنوينُ في (مصراً) يُسمّى تنوينَ التنكير، لأنّه داخلٌ على النكرة، التي يَصحُّ أَنْ تنطبقَ على أيِّ مِصْرٍ من الأَمْصار، وقطْرٍ من الأقطار.. وتنوينُ التنكيرِ يُفرقُ بين المعرفةِ والنكرة، ولذلك لم يدخلْ على (مِصْرَ) الإقليمِ المعروف.

ومثالُ تنوينِ التنكير قولك: مررتُ بسيبويهِ، وسيبويهٍ آخر. إنَّ (سيبويهِ) الأوّل ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، والمرادُ به الإمامُ النحويُّ المعروف. و(سيبويهٍ) الثاني دخلهُ تنوينُ التنكير، لأنّه لا يرادُ به شخصٌ معيَّن، وإنما المرادُ به رجلٌ عالمٌ بالنحو، شَبَّهَهُ بـ(سيبويهِ) النحويِّ المعروف.

والمراتُ الثلاثُ التي وردَتْ فيها (مِصْرُ) ممنوعةً من الصرف هي:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف: ٢١].

---

(١) المفردات، ص٧٦٩.

(٢) لسان العرب: ٥/ ١٧٦.

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ السيارةَ التجاريةَ التي أَخذَتْ يوسفَ الفتى من أرضِ البدو، باعَتْه في (مِصْرَ)، والذي اشتراهُ هو (العزيز) الرجلُ الثاني في النظامِ المصري في ذلك الزمان، وقد أوصى امرأتَه بيوسف الغلام.

و(مِصْرَ) في الآيةِ اسمٌ مجرورٌ، وعلامةُ جرّه الفتحةُ بدلَ الكسرة، لأنّه ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

تخبرُ الآيةُ عن دخولِ أَبَوَيْ يوسفَ عليه السلام وأَخويْه عليه في (مِصْرَ)، قادِمين من أرضِ البدوِ، وذلك بعدَ أَنْ صارَ يوسفُ (عزيزاً) وحاكماً لمصرَ، حيث قال لهم: ادخلوا مصْرَ إنْ شاءَ اللهُ آمنين.

و(مِصْرَ) في الآيةِ مفعولٌ به منصوب، وعلامةُ نصبِه الفتحة، لأنَّه ممنوعٌ من الصرف.

٣ ـ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

تخبرُ الآيةُ عن قولِ فرعونَ وهو يواجهُ موسى عليه السلام، حيثُ خاطبَ قومَه مفتخراً متباهياً مستكبراً، قائلاً: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾. لقد ادَّعى فرعونُ مُلْكَ مصرَ بطولِها وعرضِها وشمالِها وجنوبِها، وهذا من تكبُّرِه وانتفاشِه.

و(مِصْرَ) في الآية مضافٌ إليه (ملكُ مِصْرَ) مجرور، وعلامةُ جَرِّه الفتحةُ بدلَ الكسرةِ لأنَّه ممنوعٌ من الصرف.

وما أَجملَ ما علَّقَ به الزمخشريُّ على انتفاشِ فرعونَ لملكِه مصرَ، قال: «وليتَ شعري كيف ارتقَتْ إلى دعوةِ الربوبية همةُ مَنْ تَعَظَّمَ بملكِ مصرَ! وعجبَ الناسُ من مدى عظمتِه، وأَمَرَ فنوديَ بها في أسواقِ مصرَ وأزقّتِها، لئلا تخفى تلك الأُبَّهَةُ والجلالةُ على صغيرٍ ولا كبير، وحتى يتربَّعَ في صدورِ الدَّهماءِ مقدارُ عزّته وملكوتِه!.

وعن الرشيدِ أنه لما قرأَها قال: لأُوَلِّيَنَّها أَخَسَّ عبيدي، فولأَّها (الخَصيب) وكانَ على وضوئه.

وعن عبدِ الله بن طاهر أنّه وليَها، فخرجَ إليها، فلما شارفَها ووقعَ عليها بصرُه قال: أهي القريةُ التي افتخرَ بها فرعون، حتى قال: أليس لي ملكُ مصر! واللهِ لهي أَقَلُّ عندي مِنْ أَنْ أَدخُلَها! فلوى عَنانَه ولم يَدْخُلْها!»[1].

و(مَصْرُ) ممنوعةٌ من الصرف، مع أنّها اسمٌ أعجميٌّ ثلاثيٌّ ساكنُ الوسط، مع أنَّ العلمَ الأعجميَّ الثلاثيَّ ساكنَ الوسطِ يكونُ مصروفاً، مثل: نوحٍ ولوطٍ.

ويجبُ أَنْ نفرقَ بين نوعَيْن من الأسماءِ الأعجمية:

الأول: إذا كان الاسمُ الأعجميُّ الثلاثيُّ ساكنُ الوسَطِ علماً لمذكَّر صُرِف، مثل: نوحٍ ولوط.

الثاني: إذا كان هذا الاسمُ علماً لمؤنّثٍ مُنِعَ من الصرف، مثل: هنْد ودَعْد.

فسببُ منعِ (مِصْرَ) من الصرفِ هو أنّها علمٌ مؤنّث!.

* * *

---

(١) الكشاف: ٤/ ٢٥٨.

٣٢ ـ موسى عليه السلام

مُوسى: اسمُ علمٍ أعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه مركَّبٌ من جزأَيْن: (مو) و(سا).

قالَ الفيروزآبادي: «موسى: اسمٌ مُعَرَّب. أصلُه (موشا). و(مو) بالعبرية: الماء. و(شا): الشجر. وسُمّيَ موسى لأنّه وُجِدَ في الماءِ والشجر، الذي كانَ حولَ قصرِ فِرعون»[١].

وقالَ السمينُ الحلبيُّ: «موسى: اسمٌ أعجميٌّ غيرُ منصرف. وهو في الأصلِ مركَّبٌ: لأنَّ (ماءَ) بلغتِهم يقال له: (مُو)، والشجرُ يُقالُ له: (شا). فعرَّبَتْه العربُ فقالوا: (موسى)، وقد لقيهُ آلُ فرعون عندَ ماءٍ وشجر.

واختلافُهم في (موسى)؛ هل هو على وزنِ (مُفْعَل)، مشتقٌّ من: أَوْسَيْتُ رأْسَه، إذا حلقْتُه، فهو موسى، أي محلوق.. أو هو على وَزْنِ (فُعْلى)، مشتقٌّ من ماسَ يَميسُ. أيْ: يتبخْتَرُ في مشيتِه ويتحرَّك، فقُلِبَت الياءُ واواً لانضمامِ ما قبلَها..

وهذا إنما هو في (موسى) الحديد، التي هي آلةُ الحلق، لأنّها تتحرَّكُ وتضطربُ عند الحلقِ بها. وليسَ لموسى اسْمِ النبيِّ عليه السلام اشتقاقٌ، لأنّه أعجمي...»[٢].

والراجحُ أنَّ (موسى) اسمُ علمٍ أَعجمي، ويجبُ أَنْ نفرّقَ بينَه وبين الكلمةِ العربيةِ (ماس) واشتقاقاتِها. وبما أنّه أعجمي، فالأَصْلُ أَنْ لا نبحثَ له عن معنى في اللغة العربية، ونتوقَّفُ في ما قالوه من أنّه مركَّبٌ من جزأَيْن، وأنّ معناه: ماء وشجر.

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٦١.
(٢) الدر المصون: ١/ ٣٥٤.

وهو ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، لكن بما أنَّه اسمٌ مقصورٌ بالألف المقصورة، تقدَّرُ عليه الحركاتُ الثلاث: الضمةُ والفتحةُ والكسرة.

وموسى عليه السلام من أَكثرِ الأنبياءِ ذِكراً في القرآن، حيثُ ذُكِرَ مئةً وستاً وثلاثين مرة: في سورةِ البقرة ثلاثَ عشرةَ مرة، وفي سورةِ آل عمران مرة واحدة، وفي سورةِ النساءِ ثلاث مرات، وفي سورةِ المائدة ثلاث مرات، وفي سورةِ الأنعام ثلاث مرات، وفي سورةِ الأعرافِ إحدى وعشرين مرة، وفي سورةِ يونس ثماني مرات، وفي سورةِ هود ثلاث مرات، وفي سورةِ إبراهيم ثلاث مرات، وفي سورةِ الإسراء ثلاث مرات، وفي سورةِ الكهف مرتين، وفي سورةِ مريم مرة واحدة، وفي سورةِ طـٰه سبعَ عشرةَ مرة، ومرةً في سورةِ الأنبياءِ وسورةِ الحج، ومرتيْن في سورةِ المؤمنون، ومرةً في سورةِ الفرقان، وفي سورةِ الشعراء ثماني مرات، وفي سورةِ النمل ثلاث مرات، وفي سورةِ القصص ثماني عشرة مرة، ومرةً في سورةِ العنكبوت، وسورةِ السجدة، ومرتيْن في سورةِ الأحزاب، وسورةِ الصافات، وخمسَ مراتٍ في سورةِ غافر، ومرةً في سور: فصلت والشورى والزخرف والذاريات والنجم والصف والنازعات والأعلى، ومرتيْن في سورة الأحقاف.

وأكثرُ السورِ حديثاً عنه سور: طـٰه والقصص والأعراف والشعراء ويونس والبقرة.

وهو (موسى بنُ عمران) كما أَخبرَنا رسولُ اللهِ ﷺ، وأَشارَتْ آياتُ سورةِ القصص وسورةِ طـٰه إلى أُمِّه وأُختِه، ولم نَعرِفْ اسمَيْهما، وأَخوه هارونُ جعلهُ اللهُ نبياً ووزيراً معه، عليهما السلام.

وقد كان بنو إسرائيل قبلَ ولادتِه مضطهدين من قِبَلِ فرعون، حيث كانَ يأمرُ بقتْلِ أبنائِهم واستحياءِ نسائِهم، لإذلالِهم واستعبادِهم.

ووُلِدَ موسى في هذا الجوِّ الخطير، وكان عُرضةً لأَنْ يأخذَهُ رجالُ فرعونَ ويقتلوه، ولذلك أَلهمَ اللهُ أُمَّهُ فعْلَ ما فيه المحافظةُ عليه وتحقيقُ الأمنِ له، وذلك بأَنْ تُرضعَه، ثم تُلقيه في التابوت، ثم تلقي التابوتَ في اليمّ، وأَنْ لا تخافَ ولا تحزنَ عليه، فإنَّ اللهَ سيعيدُه إليها.

وقدَّرَ اللهُ الحكيمُ أَنْ يلتقطَه آلُ فرعون، وأَنْ يتبنّاهُ فرعونُ وامرأتُه، وأَنْ يكونا حريصيْن على حياتِه، وأعادَه اللهُ إلى أُمّه، ونشأَ في قصرِ فرعون نشأةً مستقيمةً بحفظِ اللهِ ورعايته.

ولما صارَ شاباً أنجدَ أَحدَ الإسرائيليين، وقَتَلَ القبطيَّ المعتديَ عليه دون قصد، وهربَ من مصرَ إلى مدين، وأقامَ فيها عشرَ سنوات، وتزوَّجَ ابنةَ الرجلِ الصالح الذي عملَ عندَه راعياً للغنم، ولما عادَ إلى مصر، كلَّمَه اللهُ في الوادي المقدَّس طوى، وجعلَه نبياً رسولاً، وأَمرَهُ أَنْ يذهبَ إلى فرعون، وآتاهُ العصا واليدَ آية، وأيَّدَهُ بأخيه هارون نبياً.

وبَلَّغَ موسى عليه السلام فرعونَ الدعوة، وأراهُ آيتي العصا واليد، فاعتبرَه ساحراً عليماً، وجَمَعَ السحرةَ لتحدِّيه، واجتمعَ الناسُ لمشاهدةِ التحدّي، ونَصَرَ اللهُ موسى عليه السلام على السحرة، فأُلقي السحرةُ ساجدين، وآمنوا بالله، وهزمَ اللهُ فرعون.

وزادَ فرعونُ في تكبُّرِه وكفرِه، وادَّعى الأُلوهيةَ والربوبية، واضطهدَ الإسرائيليّين المؤمنين بموسى عليه السلام، ووافقَه آلُه وجنودُه على ذلك، ولم يؤمنوا بموسى عليه السلام، رغمَ ما رأَوا من الآياتِ والابتلاءات، كالجرادِ والطوفانِ والقُمَّلِ والضفادعِ والدمِ والرجز...

وفي خاتمةِ المواجهةِ بين موسى عليه السلام وبين فرعون، أَمره اللهُ أَنْ يسريَ ببني إسرائيلَ ليلاً، متوجِّهاً بهم نحو الأرضِ المقدَّسة، ولحقَهم فرعونُ وجنودُه بغياً وعدواً. ولما وقفَ الإسرائيليّون على شاطئ البحر وجنودُ فرعونَ خلْفَهم، أَمَرَ اللهُ موسى عليه السلام أَنْ يضربَ بعصاهُ البحر، وشقَّ اللهُ لهم فيه طريقاً يبساً آمناً، وعَبَرَ كلُّ الإسرائيليّين البحرَ آمنين إلى الضفةِ الأُخرى، ولما لحقَهم فرعونُ وجنودُه وصاروا وسْطَ الماء، أطبقَ اللهُ عليهم البحرَ فهلكوا جميعاً.

وأقامَ موسى عليه السلام مع بني إسرائيل في سيناء، وهي صحراءُ قاحلةٌ حارقة، وظَلَّلَ اللهُ عليهم فيها الغَمام، وأكرمَهم بالمنِّ والسلوى، وفَجَّرَ لهم من الحجرِ اثنتي عشرةَ عيناً، وكَلَّمَ اللهُ موسى على جبلِ الطور، وأنزلَ عليه ألواحاً من السماء، كُتبتْ عليها التوراة، وكان هارونُ مساعداً لموسى عليهما السلام في

إدارةِ أُمورِ بني إسرائيل.

ووقع بنو إسرائيلَ في مخالفاتٍ عديدة، مع أنَّهم يتمتّعون بآياتِ اللهِ ونِعَمِه عليهم، وآذَوْا موسى عليه السلام مراتٍ عديدة، حتى وبَّخَهم بقوله: ﴿ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥].

وَعَبدوا العجلَ الذي صنعَهُ لهم السامريُّ أثناءَ ذهابِ موسى عليه السلام إلى الطورِ لمناجاةِ الله، ولما تلكَّؤوا في التوبةِ وإعطاءِ العهدِ رفعَ اللهُ فوقَهم جبلَ الطور، وطلب منهم موسى عليه السلام دخول الأرضِ المقدّسةِ فاتحين، ولكنَّهم جبنوا عن الجهاد، ولمَّا أَلَحَّ عليهم بذلك رَفضوا وقالوا: اذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. عند ذلك تبرَّأ موسى عليه السلام منهم، وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.. فَحَرَمَ اللهُ ذلك الجيلَ الجبانَ من شرفِ دخولِ الأرضِ المقدّسة، وكَتَبَ عليهم التيهَ في صحراءِ سيناء أربعين سنة.

ولما نشأَ جيلٌ جديدٌ مجاهدٌ من بني إسرائيل، قادهم موسى عليه السلام لدخولِ الأرضِ المقدّسة، لكن جاءَهُ الموتُ قبلَ دخولِهم، ودُفِنَ عليه السلام عند الكثيبِ الأحمر، عندَ أقربِ نقطةٍ من الأرضِ المقدّسة، وقادَهم بعد ذلك فتاهُ (يوشع) ودخَلَ بهم الأرضَ المقدّسة.

* * *

٣٣ ـ ميكال

مِيكالُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وقد وردَ (ميكال) مرةً واحدةً في القرآن، مقروناً بجبريل، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(ميكال) في الآيةِ معطوفٌ على جبريل، وهو مجرورٌ مثلَه، لأنَّ (جبريل) معطوفٌ على المجرورِ قبله: ﴿عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وعلامةُ جَرِّ (جبريلَ وميكالَ) الفتحةُ بدلَ الكسرة، لأنّهما ممنوعانِ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة.

وفي (ميكال) ثلاثُ قراءاتٍ عشرية:

الأُولى: قراءةُ ابنِ كثير وحمزة والكسائي وابن عامر وأبي بكر عن عاصم: (مِيكائيل). على أنَّ الاسمَ مكوَّنٌ من جزأَيْن (ميكا) و(ئيل).

الثانية: قراءةُ نافع وأبي جعفر (مِيكائِل) بحذفِ الياءِ الثانية. وهي لغةٌ أُخرى في (ميكائيل).

الثالثةُ: قراءةُ أبي عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم: (مِيكالَ). بحذفِ الهمزةِ والياء، وهي لغةٌ ثالثةٌ في (ميكائيل)، وهي لغةُ أهل الحجاز.

وشاهدُ القراءةِ الثالثةِ قولُ حسانَ بنِ ثابت رضي الله عنه مفتخراً بيوم بدر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ ... فِيْهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكالٌ وجِبْرِيْلُ

فذكرَ حسانُ رضي الله عنه المَلَكَيْن اللّذَيْن قادا مددَ الملائكة يوم بدر، وهما: ميكالُ وجبريلُ. ولا شكَّ أنَّ الرسولَ ﷺ سمعَ كلامَه، وأقرَّه عليه[1].

---

(١) انظر القراءات في ميكال وتوجيهها في حجة القراءات، لابن زنجلة، ص١٠٨؛ والدر=

وذكرَ الجواليقي في المعرَّب ميكائيل ضمنَ الأسماءِ الأعجمية، قال: «ميكائيل: قال ابنُ عباس: جِبرائيل ومِيكائيل: جِبْر: عَبْد. كقولك: عبدُ الله وعبدُ الرحمن. فقد ذهبَ إلى أنَّ (ئيل) اسمٌ لله تعالى، واسم الملك (جبر) و(ميكا) فنسبا إلى الله، فقيل: جِبرائيل ومِيكائيل.. ولم يختلف المفسّرون في هذا.

قال الكسائي: جِبْريل ومِيكال: أسماءٌ لم تكنِ العربُ تعرفُها، فلما جاءَتْ عَرَّبَتْها...»[1].

إنَّ بعضَهم يَذهبُ إلى أنَّ (ميكائيل) مكوَّنٌ من جزأَيْن: (مِيكا) ومعناها: عَبْد، و(ئيل) ومعناها: الله. فمعنى (ميكائيل) عبدُ الله.

ولسْنا مع هؤلاء، والراجحُ أنَّ (ميكال) ـ أو ميكائيل ـ كلمةٌ أعجمية، ولا نبحثُ لها عن معنى في اللغةِ العربية، وأنّها ممنوعةٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

وقرنت الآيةُ بين المَلَكَيْن الكريميْن جبريل وميكال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، وذكَرت المَلَكَيْن بعد ذِكْرِ الملائكة، وعطفتْهما على (الملائكة)، من باب عطفِ الخاصِّ على العام. وقدَّمَتْ جبريلَ على ميكالَ لأنَّه أفضلُ منه، فجبريلُ إمامُ الملائكةِ وأفضلُهم، عليه السلام.

وذِكْرُ المَلَكيْن جبريلَ وميكالَ في الآيةِ للرَّدِّ على اليهودِ الكاذبين الكافرين، الذين زَعموا أنّهم يُحبُّون ميكائيلَ لأنَّه ينزلُ بالغيثِ والخصب، ويَكرهونَ جبريلَ لأنه يَنزلُ بالعنفِ والعذاب، فاعتبَرَتْ أنَّ عَدُو جبريلَ هو عدُوٌّ ميكال، وهو عدوٌّ لله.

وللآيتين (٩٧ ـ ٩٨) من سورة البقرة سببٌ للنزول؛ وهو تكذيبُ اليهودِ في زعمِهم عداوةَ جبريلَ وموالاةَ ميكائيل، عندما ناظَرَهم رسولُ الله ﷺ، فبعدما

= المصون، للسمين الحلبي: ٢/ ٢٣ ـ ٢٤.

(١) المعرب، ص٣٧٥.

سألوه أسئلةً وأجابَهم عليها، وأيقنوا أنّه رسولُ الله، أرادوا أَنْ يتهرَّبوا من الإسلام، فقالوا له: مَنْ وليُّك من الملائكة الذي ينزلُ عليك بالوحي؟.

قالَ لهم: وَلِيّي جبريل، ولم يَبعث اللهُ نبياً قطّ إلاّ هو وليُّه!.

قالوا: لو كانَ سواهُ وليَّك لاتّبعْناك وصدَّقْناك، لأنَّهُ عدوٌّ لنا، وهو إنما ينزلُ بالشدةِ والعذابِ وسفكِ الدماء!.

فأنزلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨][1].

وفي روايةٍ أُخرى في سببِ نزولِ الآيتين، أنَّهما نزلتا بعد مناظرةٍ جَرَتْ بين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه وبين اليهود.

قالَ لهم عمر: أُنشدُكم باللهِ الذي لا إلـه إلا هو، وما استَرْعاكم من حقِّه، واستودَعَكم من كتابه، أتعلمونَ أنَّ محمداً ﷺ رسولُ الله؟.

قالوا: أمّا إذا أَنْشَدْتَنا فإنَّا نعلمُ أنّه رسولُ الله.

قالَ لهم: كيفَ تعلمونَ أنّه رسولُ الله ثم لا تَتَّبِعونه؟ لقد هلكْتُم!.

قالوا له: إنَّ لنا عدوّاً من الملائكة، ولَنا سِلْماً من الملائكة، وإنّه قُرِنَ به عدوُّنا من الملائكة!.

قال عمر: مَنْ عَدُوُّكم ومَنْ سِلْمُكم من الملائكة؟.

قالوا: عدوُّنا جبريل، وسِلْمُنا ميكائيل!.

قال: وفيمَ عاديتُم جبريلَ وسالمتُم ميكائيل؟.

قالوا: إنَّ جبريلَ مَلَكُ الفَظاظةِ والغِلظةِ والإعسارِ والتشديدِ والعذاب، وإنَّ ميكائيلَ مَلَكُ الرأفةِ والرحمةِ والتخفيف!.

---

(١) انظر تفسير الطبري: ١/٤٩٦ ـ ٤٩٧.

قال عمر: واللهِ الذي لا إلـه إلا هو إنّهما لعدوٌّ لمنْ عاداهما، وسِلْمٌ لمن سالَمَهما، وما ينبغي لجبريلَ أَنْ يسالِمَ عدوَّ ميكائيل، ولا لميكائيلَ أَنْ يُسالمَ عَدُوَّ جبريل!!.

ولما قامَ عمرُ رضي اللهُ عنه من عندهم وقابلَ رسولَ الله ﷺ، تـلا عليـه الرسولُ الآيتيْن السابقتين. وهذا من موافقاتِ عمرَ رضي الله عنه للوحي[1].

تدلُّ الآيتان وسَبَبا نزولِهما على كَذِبِ اليهودِ في زعمِهم موالاةَ ميكائيل وعداوةَ جبريل، وتَصفُهم الآيتان بالكفر، بسببِ هذا الزعم.

ويؤخَذُ من الآيتيْن عدمُ التفريقِ بين الملائكة، ومنزلةِ المَلَكيْن الكبيريْن جبريلَ وميكالَ عليهما السلام.

* * *

(١) تفسير الطبري: ١/ ٤٩٨.

٣٤ ـ هاروت

هاروتُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلمية والعُجمة.

وهو اسْمُ مَلَكٍ من الملائكة، ذُكِرَ في القرآنِ مرةً واحدة، مقروناً مع المَلَك الآخر (ماروت)، وذلك في سياقِ الحديثِ عن سحرِ اليهودِ ببابل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد تكلَّمْنا عن الراجحِ في قصةِ (هاروت ماروت) وتوجيهِ إنزالِ السحر عليهما ببابل، والراجحُ في معنى الآية التي تحدَّثَتْ عنهما، وذلك عند حديثنا عن (ماروت) في حرفِ الميم، وعلى القارئ الكريمِ أنْ يَرجعَ إلى كلامِنا هناك!.

وقد اختلفَ العلماءُ في (هاروت)، هل هو اسمٌ أعجمي، أو اسمٌ عربيٌّ مشتقّ.

ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (هـاروتَ) كلمةٌ عربيـةٌ مشتقةٌ من (الهَرْتِ) والواوُ والتاءُ فيها للمبالغة، مثلُ (طاغوت). وأنها على وزْنِ (فَعَلوت).

قالَ ابنُ منظور في لسان العرب: «الهَرْتُ: سَعَةُ الشَّدْق، والهَريتُ: الواسعُ الشَّدْقين.. وهَرَتَ عرضَه: طعنَ فيه. وهَرَتَ ثوبَه: مَزَّقَه. ورجلٌ هَريت: لا يكتمُ سراً، وامرأةٌ هَريت: التي يُفضي إليها الرجلُ ويجامعُها»[1].

والـراجحُ أنَّ (هاروتَ) اسـمُ علمٍ أعجمي، فلا نبحثُ لـه عن معنى في العربية، ولا صلةَ بين الاسمِ الأعجمي (هاروت) والمادةِ العربية (الهَرْت)، لا في الاشتقاقِ ولا في المعنى.

و(هاروت) في الآية: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ بدلٌ مجرورٌ من (المَلَكيْن) المجرورة قبلَها، وعلامةُ جَرِّه الفتحةُ بدلَ الكسرة، لأنَّه ممنوعٌ من الصرف، للعلمية والعُجمة!.

---

(١) انظر لسان العرب: ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

ورفَضَ السمينُ الحلبيُّ القولَ باشتقاقِ هاروت، لأنّه علمٌ أعجمي. قال: «وعندي أنَّ ادّعاءَ الاشتقاقِ في هاروت من ذلك لا يصحّ، لِمَا قَدَّمْتُه غيرَ مرةٍ من أنَّ الاشتقاقَ لا مدخلَ له في الأعجميات. وهذا نظيرُ ما فعلوه في إبليسَ وآدمَ ويعقوبَ ونحوها...»[1].

* * *

---

(١) عمدة الحفاظ: ٤/ ٢٨٨.

٣٥ ـ هارون عليه السلام

هارونُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة.

ونقلَ الفيروزآبادي أنّه مشتقٌّ من (الأَرْن) وهو النَّشاط. قال في البصائر: «هـارون: اسـمٌ أعجمي غيرُ منصرف.. وقيـل: هو مُعَرَّبُ (أَرُون). والأَرْنُ النشاط، سُمِّيَ به لنشاطِه بالطاعة، ثم قيل: هارون»[1].

صحيحٌ أنَّ (الأَرْنَ في اللغةِ هو النشاط)[2]، لكنَّ الصحيحَ أنَّه لا صلةَ بينَ الأَرْنِ الذي هو النشاط وبينَ اسمِ هارون.

إنَّ الراجحَ أنَّ (هارونَ) اسمُ علمٍ أَعجمي. قالَ الأزهري: «اسمُ هارونَ مُعَرَّب، لا اشتقاقَ له في العربية»[3].

وقالَ السمينُ الحلبيُّ: «هارونُ: هو اسمُ النبيِّ العَلَمُ المشهورُ أخو موسى عليهما الصلاة والسلام. قال الراغب: هو اسمٌ أعجمي، ولم يَرِدْ في شيءٍ من كلامِ العرب. يعني لم تَرِدْ هذه المادةُ في لغتهم...»[4].

وردَ (هارونُ) عشرينَ مرةً في القرآن: مرةً في سورةِ البقرة، ومرةً في سورةِ النساء، ومرةً في سورةِ الأنعام، ومرتيْن في سورةِ الأعراف، ومرةً في سورةِ يونس، ومرتيْن في سورةِ مريم، وأربعَ مراتٍ في سورةِ طـه، ومرةً في سور: الأنبياء، والمؤمنون، والفرقان، والقصص، ومرتين: في سورةِ الشعراء، وفي سورة الصافات.

وهارونُ نبيٌّ كريمٌ، أخٌ لموسى النبيِّ الرسولِ عليهما الصلاة والسلام،

---

(١) بصائر التمييز: ٦/ ٦٧.
(٢) لسان العرب: ١٣/ ١٤ ـ ١٥.
(٣) المرجع السابق: ١٣/ ٤٣٦.
(٤) عمدة الحفاظ: ٤/ ٢٨٩.

باعترافِ موسى نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ [القصص: ٣٤].

وبدايةُ هارونَ مبهمةٌ في القرآن، فلا نعرفُ هل هو أكبرُ من موسى أو أصغرُ منه، ولا نعرفُ لماذا نجا من ذبح فرعون، الذي كان يذبحُ أبناءَ بني إسرائيل، فموسى نجا بتقدير الله، الذي قَدَّرَ بحكمتِه أَنْ يتبنَّاهُ فرعون ويربّيه، أما كيفَ نجا هارونُ فإنَّنا لا نعلم ذلك.

ولما كلَّمَ اللهُ موسى عليه السلام على جبلِ الطور، وكلَّفه بالذهابِ إلى فرعون، طلبَ منه أَنْ يُرسلَ معه أخاهُ هارون، ليكون وزيراً ومساعداً وردْءاً له. قال تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طـه: ٢٩ ـ ٣٥].

وشهدَ موسى عليه السلام لأخيه هارونَ بأنَّه أفصحُ منه لساناً، وهذه فضيلةٌ تُسجَّلُ لهارون بشهادةِ أخيه له، عليهما السلام.

وكان هارونُ مع موسى عليهما السلام، في مواجهةِ فرعونَ ودعوتِه، حيثُ قالَ اللهُ لهما: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طـه: ٤٢ ـ ٤٦].

وأشرفَ هارونُ مع موسى عليهما السلام على تربيةِ وتوجيهِ المؤمنين من بني إسرائيل، قبلَ خروجهم من مصر، وأخبرنا الله عن ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [يونس: ٨٧].

ولما أرادَ موسى عليه السلام الذهابَ إلى جبلِ الطورِ لمناجاةِ الله، استخلفَ عليهم أخاهُ هارون، وأوصاهُ أَنْ يكونَ حريصاً عليهم، مُصلِحاً لهم. قال تعالى: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وأثناءَ غيابِ موسى عليه السلام على جبلِ الطور، وقعَتْ فتنةُ عبادةِ العجلِ

في بني إسرائيل، حيثُ أتاهم السامريّ، وطلبَ منهم أَنْ يتخلَّصوا من ما معَهم من الحليّ والزينةِ التي أَخَذوها من المصريين، فسلَّموها له، وصنعَ منها عجلاً جسداً ذهبياً له خُوار. . وقالَ لهم السامريّ: هذا إلـٰهُكم، وإلـٰهُ رسولِكم موسى، وموسى نسيَ أنّ هذا هو إلـٰهه، فذهبَ يبحثُ عنه عندَ جبلِ الطور، ودَعاهم إلى عبادةِ ذلك العجل.

وفوجئ هارونُ عليه السلام بهذا الكفرِ الذي يمارسُه قومُه، وهو النبيُّ الكريمُ الذي استخلفَهُ أخوهُ عليهم، ونَهاهم وزجرَهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طـٰه: ٩٠ ـ ٩١].

وأخبرَ اللهُ موسى وهو على جبلِ الطورِ أنَّ السامريَّ قد أَضَلَّ قومَه، ودعاهم إلى عبادةِ العجل، وجاءَ موسى إلى قومه غضبانَ أَسِفا، وبدأَ بمحاسبةِ أخيه هارون، وصارَ يأخذُ بلحيته ورأسِه، وهارون يستعطفُه. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طـٰه: ٩٢ ـ ٩٤].

وبعدَ أن استعصى بنو إسرائيلَ على موسى عليه السلام، ولم يتجاوبوا معه، نَفَضَ يديه منهم، وأخبرَ أنه لا يملكُ إلاّ نفسَه وأخاه. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

وكما كانتْ بدايةُ هارونَ عليه السلام مُبهمة، كذلك كانتْ نهايتُه مبهمة، فلا نعرفُ متى ماتَ وكيفَ، ولا نَعرِفُ أينَ دُفِن، وإنْ كانَ ظاهرُ قصةِ موسى عليه السلام يوحي أنَّ هارونَ ماتَ قبلَه. واللهُ أعلم.

* * *

٣٦ ـ هامان

هامانُ: اسمُ علمٍ أعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ، للعلميةِ والعُجمة.

واتَّفقوا على أَعجميّته، ولم يَقُل أحدٌ بأنّه عربيٌّ مُشتقّ.

قالَ الجواليقي في المُعَرَّب: «هامانُ: اسمٌ أعجمي، وليس على وزْن (فَعْلان) من (هَوَّمْتُ). وليسَ مشتقّاً من (هام، يهيم). ألا ترى أنَّكَ لو جعلْتَ الألف زائدةً والنونَ أصلاً في (هامان) مثلُ (ساباط) لم ينصرفْ أيضاً»[١].

وذُكِرَ (هامان) ستَّ مراتٍ في القرآن، كلُّها في قصّةِ موسى عليه السلام مع فرعون: ثلاثَ مراتٍ في سورةِ القصص، ومرتيْن في سورةِ غافر، ومرةً في سورةِ العنكبوت.

ويُؤْخَذُ من الآياتِ التي ذُكِرَ فيها (هامان) أنّه كان الوزيرَ الأولَ عند فرعون، ومساعدَه في حكمِ مصر.

قال محمد الطاهر ابن عاشور: «قال المفسّرون: هامان وزيرُ فرعون. وظاهرُ آياتِ هذه السورة يقتضي أنّه وزيرُ فرعون.. وأحسبُ أنّ هامانَ ليس باسمِ علم، ولكنّه لقبُ خطَّة، مثلُ فرعون وكسرى وقيصر ونجاشي. فالظاهرُ أنَّ هامانَ لقبُ وزيرِ الملك في مصر في ذلك العصر.

وجاءَ في كتاب (أَسْتير) من كتبِ اليهودِ الملحقةِ بالتوراةِ تسميةُ وزيرِ (أَحشويروش) ملك الفرس (هامان) فظنّوه عَلَماً، وزعموا أنّه لم يكن لفرعونَ وزيرٌ اسمه هامان، واتّخذوا هذا الظّنَّ مطعناً في هذه الآية.

وهذا اشتباهٌ منهم، فإنَّ الأعلامَ لا تنحصر، وكذلك ألقابُ الولايات قد تشتركُ بين أُمم، وخاصةً الأُمم المتجاورة.. فيجوزُ أنْ يكونَ (هامانُ) لقبَ خُطَّةٍ في مصر، فنَقَلَ اليهودُ هذا اللقبَ إلى بلادِ الفرسِ في مدةِ أسرِهم»[٢].

---

(١) المعرب، ص٣٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/ ٧٢.

يرى ابنُ عاشور أنَّ (هامان) ليسَ اسمَ شخص، وإنما هو لقبٌ لكلِّ مَنْ كان وزيراً في مصر في عهدِ الفراعنة. مثل (فرعون) الذي هو لقبٌ لكلِّ مَنْ حَكَمَ مصر، ويوفِّقُ بينَ كونِ (هامان) وزيراً عند فرعون، و(هامان) الوزير عند ملك الفرس، بعد سبيِ اليهودِ إلى بابل، ويرى أنَّهما (هامانان) اثنان، وليس (هامان) واحداً، لأنَّ الأسماءَ قد تتكرَّرُ بين الأُممِ المتجاورة. ولا يَعنينا هنا (هامانُ) الفارسي، إنما يعنينا (هامانُ) الفرعونيُّ المصريُّ، لأنَّه هو المذكورُ في القرآن.

تكلَّمَتْ سورةُ القصصِ عن هامان، عند حديثها عن تعذيبِ فرعونَ لبني إسرائيل، بهدفِ استعبادِهم وإذلالِهم، وإرادة اللهِ التمكينَ لهم ونصْرَهم، وإفشالَ خططِ فرعونَ ضدّهم.

قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦].

لقد قرنت الآيةُ بينَ فرعونَ وهامان، فاللهُ يريدُ أَنْ يريَهما، ويُريَ جنودَهما معهما، أنَّ ما كانوا يحذرونَه من بني إسرائيل من الخطرِ سيقعُ بهم.

لقد كانَ فرعونُ وهامانُ وجنودُهما يتوقَّعونَ الهلاكَ على أيدي بني إسرائيل، ولذلك حرصوا على استعبادِهم وتعذيبهم، بقتْلِ أبنائهم واستحياءِ نسائِهم، لئلا يكونوا خَطَراً عليهم، واللهُ يريدُ إنقاذَ المؤمنين المعذَّبين المستضعفين، والتمكينَ لهم في الأرض، وإهلاكَ فرعونَ وهامانَ وجنودِهما.

وكانتْ بدايةُ إنقاذِ بني إسرائيل والتمكينِ لهم عند ولادةِ موسى عليه السلام، فكان لا بدَّ أَنْ يُقتلَ موسى ساعةَ ولادتِه، وفقَ الخطةِ الفرعونية، ولكنَّ اللهَ أوحى إلى أمّـه أَنْ تتصرفَ التصرفَ المناسبَ لحفظِه وحمايتِه، وساقَه اللهُ إلى قصرِ فرعون، والتقطَهُ آلُ فرعون، وتبنّاه فرعون، وهذه بدايةُ النهايةِ لفرعونَ وهامان وجنودهما. قال تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨].

لقد التقطَ آلُ فرعونَ هذا الوليدَ وهم لا يعلمونَ أنّه إسرائيليٌّ من أعدائهم، وتبنَّاهُ فرعونُ وهو يرجو أَنْ يكونَ قرةَ عينٍ له، وهو لا يعلمُ أنّه سيكونُ عدواً

وحَزَناً له، وسيكونُ هلاكُه على يديْه في النهاية.

ولو كانَ فرعونُ وهامانُ وجنودُهما يعرفونَ حقيقةَ هويةِ موسى لما تبنَّوه، ولو كانوا يَعرفونَ ما سيفعلُه بهم لقتلوه، ولكنّهم جاهلونَ لا يعلمون الغيب، وكانوا بفعلِهم خاطئين، يَحفرون قبورَهم بأَيديهم كما يُقال!.

وكان (هامانُ) وزيرَ فرعون عندَ ولادةِ موسى عليه السلام، وبقيَ في هذا المركز حتى عادَ موسى عليه السلام من مدينَ نبياً، حيثُ أَرسلَهُ اللهُ إلى فرعونَ ومَنْ حولَه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٢٤].

الآيةُ صريحةٌ في أنَّ اللهَ أرسلَ موسى عليه السلام إلى الطغاةِ الثلاثة: فرعون وهامان وقارون، ولكنّهم رفضوا دعوتَه وكَذَّبوه قائلين: هو ساحر كذاب.

وهؤلاء الطغاةُ الثلاثةُ هم أقطابُ الحكمِ في مصر، فرعونُ هو الملك، وهامانُ وزيرُه الأول، يمثلُ الجهازَ الإداريَّ للدولة، وقارونُ صاحبُ الكنوز، يمثلُ الجانبَ الاقتصاديَّ للدولة.

ولما أقامَ موسى عليه السلام الحجةَ على فرعون، وأراه الآياتِ الدالةَ على صدقِه: كالعصا واليد، طلبَ فرعونُ من وزيرِه هامان بناءَ الصرح، ليصعدَ به إلى السماء، للبحثِ عن إلـٰه موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

وطلبَ فرعونُ من هامانَ بناءَ الصرحِ، بحجةِ البحثِ عن إلـٰهِ موسى عليه السلام، لأنَّ الرجلَ المؤمنَ نجحَ في تقديمِ دعوتِه، والدفاعِ عن موسى عليه السلام، وخشيَ فرعونُ أَنْ يكسبَ الرجلُ المؤمنُ الجماهيرَ بحسنِ منطقِه، فأرادَ أنْ يظهرَ بمظهرِ الباحثِ عن الحقّ! قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

ولما أَصَرَّ الطغاةُ الثلاثةُ قارونُ وفرعونُ وهامانُ على كفرِهم، حقَّتْ بهم سنّةُ الله، ووقعَ بهم عذابُه. قال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٣٩ ـ ٤٠].

أخبرَنا اللهُ أنَّه خسفَ بقارونَ الأرض، وأخبرَنا أنّه أغرقَ فرعونَ وجنودَه، لكنّه لم يخبرْنا عن كيفيةِ إهلاكِ هامان، فلا ندري أغَرِقَ مع فرعون، أم قضى اللهُ عليه في مقرِّه، المهمُّ أنّه أُهْلِكَ جزاءَ كُفْرِه وطغيانِه، وهذه هي نهايةُ كلِّ طاغية!.

* * *

٣٧ ـ يأجوج

يأْجوج: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف.

وقد وردَ مرتيْن في القرآن، مقروناً باسم (مأجوج).

الأولى: قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

الثانية: قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧].

وقد تحدَّثْنا عن (يأْجوج ومأْجوج) وأَعجميتِهما وقصتِهما، عند حديثِنا عن (مأْجوج) في حرفِ الميم، فلْيراجعْ هناك[١].

وذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ (يَأْجوجَ) على وزن (يَفْعول)، وأنَّه مشتقٌّ من (الأجِّ) وهو سرعةُ العَدْوِ. وقيل من (الأَجَّةِ) وهو الاختلاط. وقيل من (الأَجيج) وهو الاختلاطُ وشدّةُ الحر. لكنْ هذا كلامٌ مرجوح. والراجحُ أنَّ (يأجوجَ) اسمُ علمٍ أَعجمي، أُطلقَ على تلكَ الأُمةِ العظيمة، كثيرةِ العدد، التي تسكنُ شرقَ وأَواسطَ آسية، والتي خرجَتْ عدةَ مراتٍ في الماضي، وستخرجُ الخروجَ الكبيرَ الفظيعَ قُبيلَ قيامِ الساعة. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: ٢٨ ـ مأجوج، ص١٢٧، في هذا الكتاب.

٣٨ ـ يعقوب عليه السلام

يعقوبُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلَمية والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أَنّه عربيٌّ مشتقٌّ من (العَقِب) على وزْن (يَفْعول). ومع أنَّ مادةَ (عَقِبَ) عربيةٌ أَصيلةٌ إلاّ أنه لا صلةَ بين يعقوبَ العلمِ الأَعجمي وهذه المادة.

وبما أنَّه علمٌ أَعجمي فلا نبحثُ له عن معنى في العربية، وقد فسَّرَ بعضُهم يعقوبَ بالعَقِب، لأَنَّه لما نزلَ من بطنِ أُمِّهِ كان ممسكاً بعَقِبِ أخيه (عيصو)، الذي وُلِدَ قبلَه، فنزلا متتابِعَيْن متعاقبَيْن على هذه الصورةِ المضحكةِ: عيصو نزلَ أولاً، ونزلَ يعقوبُ عَقِبَه ممسكاً بعَقِبِ رجلِه، فسُمّيَ الأول (عيصو) لأنّه عصا بنزولِه قبلَ أخيه، وسُمي الثاني (يعقوب) لأنّه نزل ممسكاً بعقبِ رجْلِ أَخيه، وكأنّ مَنْ زعمَ هذا الزعم، وفسّر هذا التفسيرَ المضحكَ كان موجوداً لحظةَ ولادتِهما، وشاهَدَهما نازلَيْن على هذه الصورة!.

وذكَرَ هذا أحبارُ اليهودِ في أَسفارِ العهدِ القديم، وتلقَّفَه منهم بعضُ الإخباريّين المسلمين، وسجَّلوه في كتبهم.

قال الفيروزآبادي في (البصائر): «وأمَّا يعقوب فقيل: سُمِّيَ به لأنَّه خرجَ من بطْنِ أُمِّه متعلِّقاً بعَقِبِ أَخيه (عيصو). وسُمّيَ أخوه (عيصو) لأنّه عصىٰ بالتقدُّمِ عليه»[١].

وقالَ ابنُ منظور في (لسانِ العرب): «يعقوبُ اسمُ إسرائيل أَبي يوسف، عليهما السلام، لا ينصرفُ في المعرفة، للعُجمة والتعريف.. وسُمي يعقوبُ بهذا الاسم لأنّه وُلد مع عيصو في بطْنٍ واحد، وُلِدَ عيصو قبلَه، ويَعقوبُ متعلِّقٌ بعَقِبِه، خَرَجا معاً، وعيصو أبو الروم»[٢].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٤٣.

(٢) لسان العرب: ١/ ٦٢٣.

ورفضَ السمينُ الحلبيُّ هذا التفسير، قال: «يعقوب: اسمُ علمٍ أَعجمي، ولذلك لا يَنصرف.. ومَنْ زعمَ أنّه سُمّيَ يعقوبُ لأنّه وُلِدَ عَقِبَ أخيه، وكانا توءَمين، أو لأنَّه كَثُرَ عَقِبُه ونَسْلُه فقد وَهِم، لأنَّه كانَ ينبغي أَنْ يَنصرفَ لأنَّه عربيٌّ مشتق»[1].

الراجحُ أنَّ (يعقوب) اسمُ علمٍ أعجمي، فلا معنى له في اللغة العربية.

وهو حفيدُ إبراهيم، وابنُ إسحاق، ووالدُ يوسف، وعمُّه إسماعيل، وكلُّهم أنبياءُ كرام، عليهم الصلاة والسلام.

وله في القرآن اسمان: إسرائيل، ويعقوب.

وقد تكلَّمْنا عن اسمه الأوّل (إسرائيل) عند حديثِنا عن هذا الاسمِ في حرفِ الهمزة، فلْيراجَع هناك[2]، ونتكلَّمُ الآنَ عن اسمِه الثاني (يعقوب).

وردَ (يعقوبُ) ستَّ عشرةَ مرةً في القرآن: أربعَ مرات في سورةِ البقرة، وثلاثَ مراتٍ في سورة يوسف، ومرتيْن في سورةِ مريم، ومرةً واحدةً في كلٍّ من آل عمران، والنساء، والأنعام، وهود، والأنبياء، والعنكبوت، وصَ.

وبَشَّرتْ به الملائكةُ جَدَّه إبراهيم، عندما بشَّرَتْه بابنِه إسحاق، حيثُ أَخبرتْهُ أن اللهَ سيهبُ له إسحاقَ على كِبَر، وسيبقى حياً حتى يرى حفيدَه يعقوب شاباً كبيراً، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

ولم يتحدَّث القرآنُ عن ولادةِ يعقوبَ عليه السلام وحياتِه، فلا نعرفُ كم أَمضى من عمرِه في حياةِ جدِّه إبراهيم عليه السلام، ولا نعرفُ تفاصيلَ حياته مع أبيه إسحاقَ عليه السلام، ولا حياتَه بعد وفاةِ جَدِّهِ وأبيه، ولا تفاصيلَ مكانِ إقامتِه وأسرتِه.

أَخبرَ القرآنُ عن قصةِ يعقوبَ المثيرةِ مع أَولادِه الاثْني عشر، التي بدأَتْ برؤيا رآها ابنُه الصغيرُ يوسف، وهو سجودُ أَحَدَ عشرَ كوكباً والشمسِ والقمرِ له، فطلبَ منه أَنْ لا يقصَّها على إخوتِه لئلا يكيدوا له، ومع ذلك كادوا له كيداً،

---

(١) الدر المصون: ٢/ ١٢٦.

(٢) انظر: ٨ ـ إسرائيل عليه السلام، ص٦٣، من هذا الكتاب.

وتآمروا عليه، وأَلقَوْه في غيابةِ الجُبّ، وكَذَبوا على أبيهم، وحَزِنَ يعقوبُ على فقْدِ ابْنِه يوسف، وعلى فقْدِ ابنَيْه بعدَ ذلك، وتألَّمَ كثيراً من أبنائه الذين كانوا ينتقدونه في كلامِه ومواقفِه، وابيضَّتْ عيناهُ من الحزنِ فهو كظيم، وكان يتولّى عنهم، ويقول: إنما أشكو بثّي وحُزْني إلى الله! ولم يفقد قناعتَه بأنَّ ابنَه يوسفَ موجودٌ في مكانٍ ما، لكنّه لا يَعرفُ أين هو.

وانتهت الأحداثُ المثيرةُ بإلقاءِ قميصِ يوسفَ عليه، فارتدَّ بصيراً. وارتحلَ يعقوبُ عليه السلام بأهله جميعاً من منطقة (البَدْو) إلى ابنِه يوسفَ عليه السلام، الذي كانَ في منصبِ العزيز ـ الوزير الأول ـ في مصر. ولما دخلَ على ابنِه خَرَّ هو وأَولادُه ليوسُفَ سُجَّداً، وبذلك تحقَّقَت رؤيا يوسُفَ في سجودِ أَحَدَ عشرَ كوكباً والشمسِ والقمرِ له.

وتُوفيَ يعقوبُ عليه السلام في مصر، وحياتُه في مصرَ مبهمةٌ، لم يتحدَّث القرآنُ عنها.

وصرَّحَ القرآنُ بأنَّ دينَ يعقوبَ عليه السلام هو الإسلام بمعناهُ العام، الذي جاءَ به كلُّ نبيٍّ ورسول. فلمَّا حضرَه الموتُ جمعَ أبناءَه وأَوصاهم بالوفاةِ على الإسلام. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وهذا تكذيبٌ لليهودِ الذين يزعمونَ أنهم على دينِ إسرائيل ـ يعقوب ـ ومع ذلك يكفرون بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام!.

ويعقوبُ عليه السلام بريءٌ من هؤلاء الكافرين، مَثَلُه في ذلك مَثَلُ أَبويْه إبراهيمَ وإسحاق، عليهما السلام، وكلُّ هؤلاء الأنبياءِ يَلعنون اليهودَ الكافرين، ويتبرَّؤون منهم!!.

* * *

٣٩ - يعوق

يَعوقُ: اسمٌ وَرَدَ ضمنَ خمسةِ أَسماءٍ غريبةٍ في سورةِ نوح، تواصى قومُ نوحٍ الكفارُ على عدمِ تركِها، ووجوبِ عبادتِهم لها. قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ۝٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٢ - ٢٣].

يُخبرُ اللهُ أنَّ قومَ نـوحٍ الكافرين تآمـروا عليه، ومَكروا مَكراً كبيراً ضدَّه، ورَفضوا دعوتَه، وتواصَوْا فيما بينَهم على الاستمرارِ في عبادةِ آلهتِهم الخمسة: وَدٌّ وَسَواعٌ ويَغوثُ ويَعوقُ ونَسْرٌ.

وذكرَ ابنُ عباسٍ أنَّ هذه الأَسماءَ الخمسةَ كانتْ أسماءً لأُناسٍ صالحين. روى البخاريُّ عنه قولَه: «صارت الأوثانُ التي كانتْ في قومِ نوحٍ في العَربِ بَعْد، أمَّا (وَدٌّ) فكانتْ لكَلْبٍ بدومَةِ الجَندل، وأما (سُواعٌ) فكانتْ لهُذَيْل، وأما (يَغُوثُ) فكانتْ لمراد، ثم لبَني غُطَيْف بالجوفِ عند سَبأ، وأما (يَعُوقُ) فكانتْ لهَمْدان، وأمَّا (نَسْرٌ) فكانتْ لحِمْيَر، لآلِ ذي الكلاع.. وهي أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوح، فلما هَلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومِهم أَن انْصِبوا إلى مجالسِهم التي كانوا يجلسونَ أنصاباً، وسمّوها بأَسمائِهم، ففعلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أُولئكَ وتَنَسَّخَ العلمُ عُبدت...»[1].

يرى ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ هذه الأسـماءَ الخمسـةَ أسماءٌ لرجالٍ مؤمنين صالحين، عاشوا وماتوا قبلَ أَنْ يوجَدَ نوح، لأنَّ القرونَ والأجيالَ بين آدم ونـوحٍ عليهما السـلام كانوا مؤمنين موحِّدين، وكان قومُ نوحٍ في بدايةِ أَمرِهم مؤمنين موحِّدين، وكانوا يحبّون هؤلاء الأشخاصَ الخمسةَ لإيمانهم، وتمكَّنَ الشيطانُ من خِداعِ قومِ نوح، حيثُ طلبَ منهم أَنْ يجعلوا للخمسةِ أنصاباً وتماثيل، ويَضعوها في المجالس، ليَبْقوا متذكِّرين لهم مقْتَدين بهم في العبادة والإيمان! ففعلوا.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم: (٤٩٢٠).

ولما ماتَ أولئكَ المؤمنون جاءَ جيلٌ بعدَهم، ووجدوا التماثيلَ الخمسةَ معلّقةً في المجالس، فأوحى لهم الشيطانُ أنّها آلهة، وزيّنَ لهم عبادتَها، وكانوا جاهلين، ولذلك استجابوا للشيطانِ وعَبَدوها، وهكذا دخلَ الشركُ عليهم.

ويرى ابنُ عباس رضي الله عنهما أيضاً أنّه هَلَكَ قومُ نوحٍ الكافرون بالطوفان، وتذكَّرت القبائلُ العربيةُ تلك التماثيلَ التي غرقَتْ بالطوفان، فاعتبروها آلهة، ونَصَبوا لها الأصنام، وكلُّ قبيلةٍ اختارَتْ صنماً يدلُّ على واحدٍ من الأسماءِ الخمسة، وعبدوهُ من دونِ الله. فهذه الأسماءُ الخمسةُ عَبَدَها قومُ نوحٍ الكافرون قبل الطوفان، وعبدَتْها أيضاً القبائلُ العربيةُ الكافرةُ بعدَ الطوفانِ بفترةٍ طويلة!.

وأَسماءُ الأصنامِ الخمسةِ المذكورةِ قسمان: ثلاثةٌ منها مصروفة، وهي: وَدٌّ، وسُواعٌ، ونَسْرٌ. واثنانِ ممنوعانِ من الصرف، وهما: يَغوثُ ويَعوقُ.

وسنتكلّمُ عن الثلاثةِ المصروفةِ في القسمِ الثاني بإذنِ الله.

الراجحُ أنَّ (يَغوثَ ويَعوقَ) ممنوعانِ من الصرفِ للعلَمية والعُجمة، وهما منصوبان، لأنَّهما معطوفانِ على ما قبلهما ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. (وَدّاً) مفعولٌ به لفعْلِ (تَذَرُنَّ)، و(سُواعاً) معطوفةٌ عليه منصوبة، وما بعدَها معطوفٌ عليها منصوب.

قالَ السمينُ الحلبي في (يَغوث ويَعوق): «قرأَهُما العامَّةُ بغيرِ تنوين. فإنْ كانا عربيّيْن، فالمنعُ من الصرْفِ للعلَميةِ ووزنِ الفعل، وإن كانا أعجميّيْن فالمنعُ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة...»[1].

قرأَ القرّاءُ العشرةُ (يَغوثَ ويَعوقَ) بالفتحةِ، على أنهما ممنوعانِ من الصرف. وقرأَ الأعمشُ (يَغوثاً ويَعوقاً) بالتنوين، على أنّهما اسمان مصْروفان، لأنَّ قبلَهما اسمان مصروفان (وَدّاً وسُواعاً)، وبعدَهما اسمٌ مصروف (نَسْراً)»[2].

ولا نُشغلُ أنفسَنا بتوجيهِ قراءةِ الأعمش، لأنّها قراءةٌ شاذّة، والقراءاتُ الشاذةُ ليستْ قرآناً، ولا تَجوزُ قراءةُ القرآنِ بها.

---

(١) الدر المصون: ١١/ ٤٧٤.

(٢) المرجع السابق: ١١/ ٤٧٥.

وذكرَ السمينُ وجهَيْن لمنعِهما من الصرف:

الأول: العلميةُ ووزنُ الفعل: لأنَّ (يغوثَ) على وزْنِ الفعلِ المضارع. تقول: غاثَ، يَغوث. من الغَوْث. و(يَعوق) من العوق، تقول: عاقَ، يَعوق. وإذا كانَ الاسمُ على وزْنِ الفعلِ يُمنعُ من الصرف، كأَنْ نُسميَ شخصاً (يَعيش).

الثاني: العلميةُ والعجمة: على أنهما اسمان أَعجميان.

والراجحُ هو التوجيهُ الثاني، فهما اسمانِ أعجميان، لأنّه سُمي بهما أَشخاصٌ صالحون قبل قوم نوح، أي أنّهما عاشا وماتا قبلَ أَنْ يوجَدَ أولُ عربيٍّ يتكلَّمُ اللغةَ العربية، فيستبعدُ أَنْ يكونا على وزْنِ الفعلِ المضارع.

وبما أنَّ (يعوق) اسمٌ أعجمي، فلا نعرفُ له معنى في العربية.

* * *

٤٠ ـ يغوث

يَغوثُ: اسمُ علمٍ أَعجمي ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة. ذُكِرَ مرةً واحدةً في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وهو اسمٌ أَعجميٌّ أُطلقَ على رجلٍ صالحٍ قبلَ قومِ نوح عليه السلام، ولما صَنَعَ قومُ نوحٍ تمثالاً له ـ مع الأسماءِ الأربعةِ الأُخرى: وَدّ وسواعٌ ويَعوقُ ونَسْرٌ ـ زَيَّنَ لهم الشيطانُ عبادتَها، فجعلوها آلهة. ولما هلكتْ تلك التماثيلُ بالطوفانُ أطلقَ العربُ الكافرون أسماءَها على أصنامٍ لهم، وعَبَدوها من دون الله.

وقد تكلَّمْنا عن هذه الأصنامِ الخمسةِ قبل قليل، أثناء كلامِنا عن (يَعوقَ)[1] فنكتفي بهذه الإشارةِ المجملة.

* * *

(١) انظر: ٣٩ ـ يعوق، ص١٦٦، من هذا الكتاب.

٤١ ـ يوسف عليه السلام

يُوسُفُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرف، للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه عربيٌّ مشتق. ذكر ذلك الفيروزآبادي، قال: «يوسُفُ: تُثلّثُ سينُه ـ أي تُقرأُ بالضَّمةِ والفتحةِ والكسرة ـ وهو اسمٌ أَعجميٌّ، غيرُ منصرفٍ للعلميةِ والعُجمة.

وقيل: هو مشتقٌّ من الأسف، فيوسِفُ ـ بكسر السين ـ على وزن (يُفْعِلُ) من آسَفَ، يُوسِفُ: إذا أَحْزَنَ وأَهَمَّ وأَغْضَبَ، لأنَّه آسَفَ أباه بفراقه.. ويوسَف ـ بفتح السين ـ لأنَّ إخوتَه حَزَّنوه بفراقِ أبيه.. وقيلَ أصله (يَأْسَفُ) ـ بفتح الياء والسين ـ على وزن (يَفْعَلُ)، من الأَسَف، لأنه أَسِفَ في الغربةِ والملك!»[1].

والقولُ باشتقاقِ (يوسُفَ) مردود، ولا داعي للاختلافِ في مادةِ اشتقاقِه، وحركاتِ حروفِها، بين الضمةِ والفتحةِ والكسرة، كما ذكر ذلك الفيروزآبادي.

و(يوسُفُ) كلمةٌ قرآنية، والنطقُ بها توقيفي، وليس صحيحاً أنَّ السينَ فيه يمكنُ أن تُقرأَ بالضمِّ أو الفتحِ أو الكسر، فقد أجمعَ القرّاءُ العشرةُ على قراءتِها بالضمِّ (يوسُف). ولا تجوزُ قراءتُها بالفتحِ أو الكسر، ولا إبدالِ الواو همزة (يُؤْسُف) كما زعمَ بعضُهم!.

ذُكِرَ (يوسفُ) سبعاً وعشرين مرةً في القرآن، خمسٌ وعشرونَ مرةً منها في السورةِ التي تحملُ اسْمَه (سورة يوسف).

وذُكِرَ في قولِه تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

تنصُّ الآيةُ على أنَّ (يوسُفَ) من ذريةِ (إبراهيم)، وتَذْكُرُهُ ضمنَ مجموعةٍ من الأنبياءِ الكرام، عليهم الصلاة والسلام.

وذُكِرَ في سورة غافر، في سياقِ تذكيرِ مؤمنِ آلِ فرعون، في معرضِ دفاعِه

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٤٦.

عن موسى عليه السلام، حيث أَشارَ لهم إلى نبوةِ يوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

وسورةُ يوسفَ انفردَتْ بعرضِ قصةِ يوسفَ عليه السلام، من بدايتها إلى نهايتها، مع تقديمٍ لها وتعقيبٍ عليها.

وعرفْنا من آياتِ سور يوسف أنَّ ليوسفَ عليه السلام إخوةً من أَبيه، وذَكرتْ آياتُها للأبِ يعقوبَ عليه السلام اثنيْ عشرَ ولداً ذكراً، وهم أُصولُ قبائلِ بني إسرائيل، الذينَ سُمُّوا (الأسباط)، فمِنْ هؤلاءِ الأُصولِ الاثني عشر نشأتْ أَسباطُ وقبائلُ وأفخاذُ بني إسرائيل.

رأى يوسفُ وهو صغيرٌ الشمسَ والقمرَ وأَحَدَ عشرَ كوكباً ساجدينَ له، وأخبرَ أباهُ يعقوبَ بهذه الرؤيا، فاستبشَرَ بها خيراً، وتوقَّعَ لابنِه مستقبلاً عظيماً، وخشيَ حَسَدَ إخوتِه له، فطلبَ منه أَنْ لا يَقُصَّ رؤياهُ على إِخوتِه، لئلاّ يكيدوا له كيداً، فلم يُخبرهم بها.

ومع ذلك لم يَسْلمْ من كيدِ إخوتِه، حيثُ اتّهموا أباهم النبيَّ بالانحيازِ إلى يوسفَ وأخيه، وإيثارِهما على باقي أبنائه، فتآمَروا عليه، وزيَّنَ لهم شيطانُهم التخلُّصَ منه! وطُرِحَتْ فكرةُ قتلِه، فاستفظعوها، واتَّفقوا على إلقائِه في (غَيابةِ الجُبِّ)، وطرْحِه في بئرٍ على طريقِ القوافل، وراودوا أَباهم، ونفَّذوا ما اتَّفقوا عليه، وأَلقوه في البئر، وكذبوا على أبيهم، واتَّهموا الذئبَ بأكله..

وأَخذَتْه قافلةٌ تجاريةٌ من البئر، وباعوه في مصرَ عبداً، وقَدَّرَ اللهُ أَنْ يكونَ الذي اشتراهُ (العزيز)، وهو الرجلُ الثاني في النظامِ المصريِّ بعد الملك، وطلبَ العزيزُ من امرأتِه أَنْ تُكرمَ مثواه، لأنَّه تَفَرَّسَ فيه الخير، ولكنَّ المرأةَ أحبّتْه وعشقَتْه، وراودتْه عن نفسه عدةَ مرات، ولكنَّه قابلَ ذلك بالعفّةِ واللجوءِ إلى اللهِ والاستعاذةِ به، وأمامَ إبائِه واستعصامِه، وسيطرةِ سعارِ الشهوةِ عليها، غلَّقتِ الأبوابَ ودعَتْه إلى الفاحشة، وهَمَّتْ به، ولكنّه استعصمَ باللهِ وهرب، ولما رأتْ زوجَها بالبابِ اتّهمتْه بمراودتِه لها، وشهدَ شاهدٌ من أهلها ببراءتِه وإدانتِها، واعترفَتْ أمامَ نسوةِ المدينةِ بعشقِها له، وهدَّدَتْه بالسجنِ إنْ لم يتجاوبْ معها، فآثرَ السجنَ على الفاحشةِ والرذيلة، حيثُ سُجِنَ مظلوماً بضعَ سنين!.

ورأى الملكُ رؤيا عجيبة، ولم يتمكَّن من تعبيرِها وتأْويلِها إلاّ السجينُ يوسف، ولما استدْعاهُ الملك، طلبَ إعادةَ محاكمتِه قبلَ خروجِه، فاعترفَتِ النسوةُ بمراودته، وشهدت امرأةُ العزيزِ بعفَّتِه، وخرجَ من السجنِ معزَّزاً مكرَّماً عفيفاً طاهراً. وطلبَ من الملكِ أَنْ يجعلَه على خزائنِ الأرض، ليتولَّى إدارةَ أُمورِ البلادِ في سنواتِ المجاعةِ القادمة، ورتَّبَ النفقاتِ والطعامَ بحكمةٍ بالغة.

وجاءَ إخوتُه العشرةُ من البدوِ في جنوبِ فلسطين، ليأْخذوا الطعامَ من مصر، ولما دخلـوا على يوسف (العزيز) عَرَفَهم، أمّا هم فلم يَعرفوه، ولما جهَّزَهم بجهازِهم، طلبَ منهم إحضارَ أخٍ لهم من أبيهم معهم، ولما عادوا إلى أبيهم ما زالوا به حتى وافق على ذلك، بشرطِ أَنْ يُعطوه العهد على إحضارِه معهم، إلاّ أَنْ يَعجزوا عن ذلك.

ولما دخلوا على يوسف خلا بأخيه الصغيرِ فعرَّفَه على نفسِه، ثم رتَّبَ يوسفُ الأُمورَ التي أدَّتْ إلى الاحتفاظِ بأخيه بتهمةِ السرقة، وعادَ الإخوةُ إلى أبيهم يعقوب، وأخبرُوه بمفاجآت الأحداث، وطلبَ منهم العودة، ولما التقوا بيوسـفَ اللقاءَ الأخيـر، عَرَّفَهم على نفسِه، وطلبَ منهم العودةَ إلى (البدو) والإتيانِ بأهلِهم أجمعين.

وقَدِمَ الأَهْلُ جميعاً بقيادةِ النبيِّ (يعقوب) ـ إسرائيل ـ عليه السـلام من فلسطين إلى مصر، والتقى النبيُّ الأَبُ بالنبيِّ الابن، بعدَ غيبةٍ وفراقٍ اسـتمرَّ عشراتِ السنين!.

ورفعَ يوسفُ العزيزُ عليه السلام أبويْه على العرش، وخَرَّ الأَبَوانِ والإخوةُ الأَحَدَ عشرَ ساجدين ليوسفَ عليه السلام، وكان سجودُهم تأْويلاً للرؤيا التي أراها اللهُ ليوسفَ وهو صغير.

واستقرَّت عائلةُ بني إسرائيل في مصر، آمنين مطمئنين، طيلةَ حُكمِ يوسف عليه السلام. وبعدَ ذلك تُوفيَ يعقوب، ثم تُوفي يوسفُ عليهما السلام، ودُفِنا في مصر.. وبعد ذلك اضطهد الفراعنةُ بني إسرائيل، إلى أَنْ أنقذَهم اللهُ على يدِ موسى عليه السلام.

* * *

٤٢ ـ يونس

يونُس: اسمُ علمٍ أَعجمي، ممنوعٌ من الصرفِ، للعلميةِ والعُجمة.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّـه عربيٌّ مشـتق. قال الفيروزآبادي: «وفيـه ثلاثُ لغات: ضمُّ نونِه وفتْحُه وكسْرُه، وهو اسمُ علمٍ أعجمي، ممتنعٌ من الصرف. وقيل: مشتقّ، وزنُه يُفْعِل. من: آنَس، يُؤْنِس، إيناساً، بمعنى أبصر.. وقيل: من الأُنْـسِ ضدّ الوحشـة، سُـميَ به لأُنْسِه بطاعةِ الله، أو لأنّه أبصرَ رشدَه في العبادة»[1].

ولسْنا مع القائلينَ بعربيّتِه واشتقاقِه من الأُنْس، وإنما هو اسمٌ أعجمي، وهو ممنوعٌ من الصرفِ في القرآن، ولو كان مشتقّاً من الأُنْسِ لَصُرِفَ!.

والزعمُ بأنّه يجوزُ ضمُّ نونِه وفتْحُها وكسْرُها غيرُ صحيح، لأنَّ قراءةَ كلماتِ القرآن والنطقَ بحروفِها توقيفيٌّ من الله سبحانه، وقد أجمعَ القرّاءُ العشرةُ على ضَمِّ نونِه (يونُس)، ولذلك لا يجوزُ فتْحُها أو كَسْرُها.

وبما أنّه اسمُ علمٍ أَعجمي فلا نبحثُ له عن معنى في العربية، ولا صلةَ بين اسمِ يونُسَ الأعجميِّ وبينَ مادة (الأُنْسِ) العربيةِ المتصرّفة.

و(يونُـس) نبيٌّ رسـولٌ عليه الصلاة والسـلام، من أنبيـاءِ بني إسـرائيل المتأخرين. وأُطلقَ اسْمُه على إحدى سورِ القرآن (سورة يونُس). ووردَ اسْمُه صريحاً أَربعَ مراتٍ في القرآن، ووردَ بلقبِ (صاحبِ الحوت)، ولقبِ (ذا النون) فيكونُ مجموعُ مراتِ ذِكْرِهِ ستَّ مرّات.

في سورةِ النساءِ ذُكِرَ ضمنَ مجموعةٍ من الأنبياءِ والرسل. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٥٣.

ونصّتْ سورةُ الأنعامِ على أنَّ يونُسَ من ذرّيةِ إبراهيمَ عليهما السلام، حيثُ ذكرَتْ مجموعةً من الأنبياءِ والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦].

واسـمُ أَبيه (مَتّى)، وهو اسـمٌ أعجميٌّ ممنـوعٌ من الصرفِ أيضاً. روى البخاريُّ ومسلم[١] عن عبدِ اللهِ بنِ عباس رضي الله عنهما، عن رسـول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لعبدٍ أَنْ يقول: أنا خيرٌ من يونُس بنِ متّى». ونَسَبَهُ إلى أَبيه.

وبَعَثَ اللهُ يونُسَ عليه السلام رسولاً إلى أهلِ (نينوى)، وهي مدينةٌ أثريةٌ قديمـة، تقعُ قريبـاً من الموصلِ شمالَ العراق. ويبدو أنَّ هذا كان بعدَ ما سبى الآشوريّون بَني إسرائيل من فلسطين إلى العراق.

وقد روى ابنُ إسحاقَ في السيرةِ قصةَ الرسولِ ﷺ مع الغلام النصرانيِّ (عَدّاس) بعدما عادَ من الطائف. فلما سأَلَ الرسولُ ﷺ عَدَّاسَ قائلاً: مِنْ أَهْلِ أيِّ البلادِ أنتَ يا عَدَّاس؟.

قال عَدّاس: أنا نصراني، وأنا رجلٌ من أهلِ نينوى.

فقال له الرسولُ ﷺ: من بلدِ الرجلِ الصالحِ يونُسَ بنِ مَتّى؟.

فقالَ له عَدَّاس: وما يُدريكَ ما يونُسُ بنُ مَتّى؟.

قال ﷺ: ذاكَ أخي، كان نبيّاً، وأنا نبيّ.

فأكبَّ عَدَّاس على رأسِ رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ رأْسَه ويَدَيْه ورجلَيْه![٢].

أَقامَ يونُسُ عليه السلام مع قومِه يَدْعوهم إلى اللهِ تعالى، لكنَّهم رفضوا دعوتَه، وأَمرَه اللهُ أَنْ يُنذرَهم وقوعَ العذابِ بهم، ولما أَنذرَهم غضبوا منه وغضبَ منهم. وظنّ أنَّ مهمَّته الدعويةَ عندهم قد انتهت، وأنَّ اللهَ لن يُضيقَ عليه بإبقائِه

(١) البخاري برقم: (٣٣٩٥)؛ ومسلم برقم: (٢٣٧٧).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٢/ ٦٢.

عندهم، وسيوجِّهُه إلى قومٍ آخرين، ولذلك غادَرَهم على أَنْ يوجِّهَهُ اللهُ إلى قومٍ آخرين في الطريق!.

وأرادَ اللهُ ابتلاءَه بسببِ ذلك، فلما ركبَ السفينةَ مَرَّتْ بالموجِ وسطَ البحر، وكان لا بدَّ أَنْ يُلقى أَحَدُ ركّابِها منها، لينجو الآخرون، فخرجَ اسمُ يونُسَ عليه السلام، وأُلقِيَ من السفينة، ولكنَّ اللهَ يَسَّرَ له حوتاً ليكون منقذاً له، فالتقمَه ليحميه من الأخطار الأُخرى، ولم يهْضِمْه لأنَّ اللهَ لم يجعله طعاماً له!!.

ولما وَجَدَ يونُسُ عليه السلام نفسَه في بَطْنِ الحوت، دعا اللهَ وتضرَّعَ إليه، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٧ـ٨٨].

وأنقذَهُ الله، وأَمَرَ الحوتَ أَنْ يطرحَه على شاطئ البحر، وكان يونسُ على الشاطئ سَقيماً، فهيَّأَ اللهُ له وسيلةً أُخرى لحفظِه، حيثُ أنبتَ عليه شجرةً من يقطين، ولما زالَ سقَمه، واستعادَ عافيتَه، أمرَه الله أن يعودَ إلى قومِه، وسيجدُهم مؤمنين!.

وعادَ يونسُ عليه السلام إلى أهل نينوى، وكانوا يزيدون على مئةِ ألف، وجدَهم مؤمنين بالله، سعداءَ بعودتِه! وسببُ رفْعِ العذابِ عنهم أنّه لما أنذرَهم يونسُ عذابَ الله، وغادرَهم، تدارسوا الأمر فيما بينهم، وعَرفوا أنّه لا يرفعُ العذابَ إلا الإيمان، فاتّفقوا على أَنْ يؤمنوا، وقَبِلَ اللهُ إيمانَهم، ورفعَ العذابَ عنهم. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

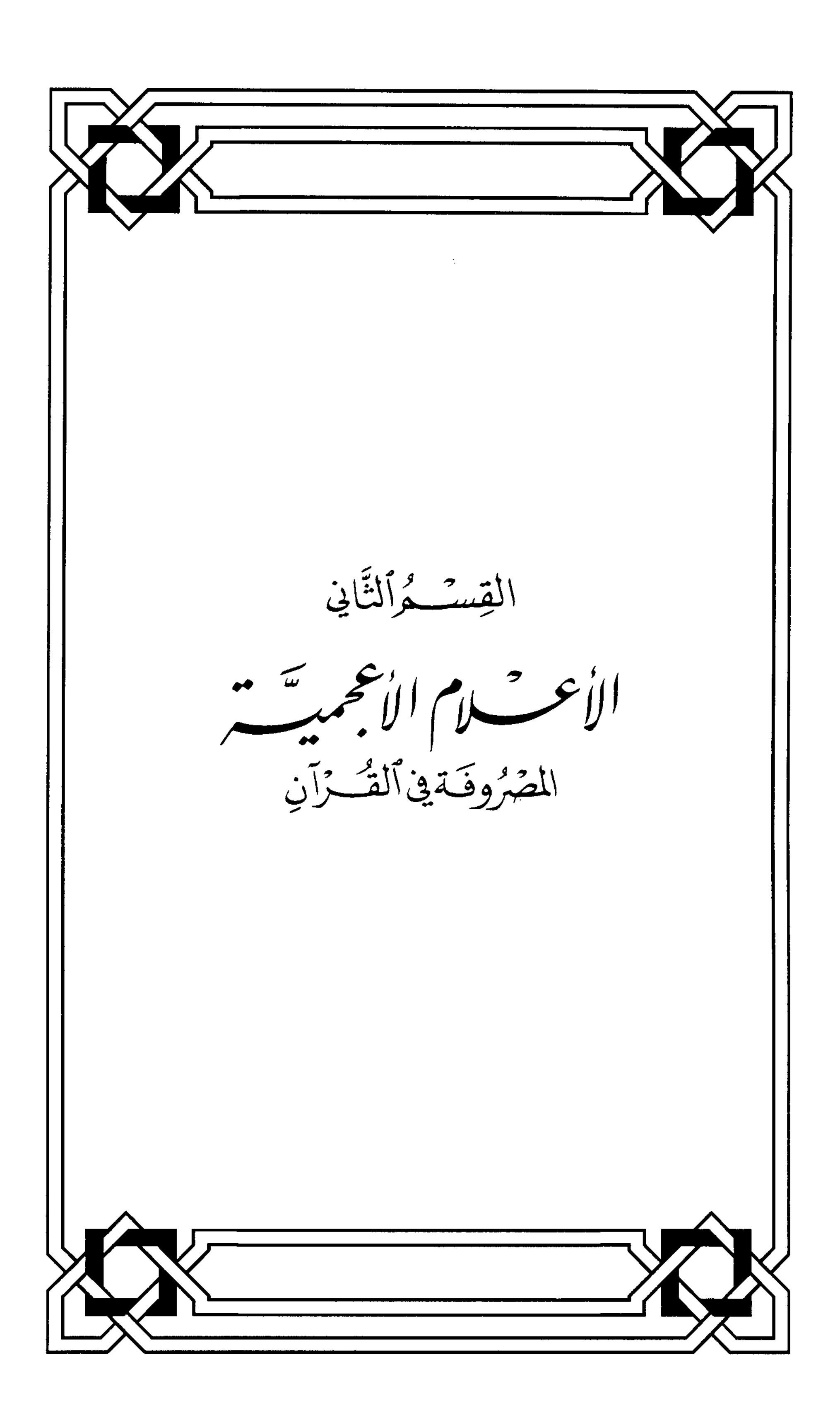
وأقامَ يونسُ عليه السلام بينهم يوجِّههم ويُربّيهم، إلى أنْ أتاهُ الموت. وكما كانتْ بدايةُ أَمْرِ يونسَ عليه السلام مبهمةً في القرآن، كذلك كانتْ تفاصيلُ نهايتِه مبهمةً في القرآن، فلا نخوضُ فيها.

ولُقِّبَ يونسُ عليه السلام بذي النّون، وجاءَ هذا في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والنُّونُ هو الحوت، و(ذو النون) هو صاحب الحوت.

وجاءَ هذا اللقبُ صريحاً في قولِه تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

ولُقِّبَ بهذا اللقبِ لأنّه عاشَ في بطنِ الحوتِ فترةً من الزمن، فكانَ صاحباً له.

* * *



القِسمُ الثَّاني

الأعلام الأعجميَّة

المصروفة في القرآنِ

٤٣ ـ الإنجيل

الإنجيلُ: اسمٌ لكتابِ اللهِ المنزَّلِ على عيسى عليه السلام.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه كلمةٌ عربيةٌ مشتقة. وقد نقلَ السمينُ الحلبي اختلافَهم في مادةِ اشتقاقه فقال: «الإنجيل: قيل: هو على وزْن (إفعيل)، مثل: إجفيل. وفي وزنه أقوال:

أَحدها: أنّه مشتقٌّ من (النَّجْل) وهو الماءُ الذي يَنُزُّ من الأرض ويخرجُ منها. والنَّجْلُ الوَلَد. وسُمي الإنجيل لأنّه مستخرَجٌ من اللوحِ المحفوظ.

وقيل: مشتقٌّ من (النَّجْل) وهو الأَصل، والنَّجْلُ الوالد. فهو من الأضدادِ يُطلقُ على الوالدِ وعلى الولد.

وقيل: مشتقٌّ من (النَّجَل) وهو التوسِعة، والعينُ النجلاءُ لسَعَتِها. وسُمي الإنجيلُ بذلك، لأنَّ فيه توسعةً لم تكن في التوراة، إذ حُلِّلَ فيهِ أَشياءُ كانت محرَّمة.

وقيل: مشتقٌّ من (التناجل) وهو التنازُع، يقال: تناجَلَ الناس، أَيْ: تنازَعوا. وسُميَ الإنجيلُ بذلك لاختلافِ الناسِ فيه»[1].

والراجحُ أنَّ الإنجيلَ اسمُ علمٍ أَعجمي، لا صلةَ بينه وبينَ المادةِ العربية: (النَّجْل) التي هي بمعنى الأَصل أو الواسع.

وهذا ما رجَّحَه الزمخشريُّ في التوارةِ والإنجيل، أَنّهما اسمان أعجميان. قال: «التوراةُ والإنجيل: اسمانِ أَعجميان. وتكلَّف مَنْ قالَ باشتقاقِهما من (الوري والنَّجْل)، ووزْنُهما بوزْن (تَفْعِلَة وأَفْعيل)، وهذا يصحُّ بعد كونِهما عربيَّيْن. وقرأَ الحسن (أَنجيل) بفتح الهمزة، وهذا دليلٌ على العُجمة، لأنَّ

(١) الدر المصون: ٣/ ٢٠.

(أَفعيل) ـ بفَتْح الهمزة ـ عديمٌ في أوزانِ العرب»[1].

ورفضَ محمد الطاهر ابن عاشور القولَ باشتقاقِ الإنجيل. قال: «هو اسمٌ معرَّبٌ. قيلَ: من الرومية، وأَصلُه (إِثَانْجَيْلِيُوم)، أي: الخبرُ الطيب. فمدلولُه مدلولُ اسمِ الجنس، ولذلك أَدخلوا عليه كلمةَ التعريفِ في اللغةِ الرومية، فلما عَرَّبَه العربُ أدخلوا عليه حرفَ التعريف. . . وهو في اليونانية: أووَانَيْلِيُون)، أي: اللفظُ الفصيح.

وقد حاوَلَ بعضُ أهلِ اللغةِ والتفسيرِ جعْلَه مشتقّاً من النَّجْل، وهو الماءُ الذي يَخرجُ من الأرض. وذلك تعسُّفٌ أَيضاً.

وهمزةُ (الإنجيل) مكسورةٌ في الأَشْهَر، ليَجريَ على وزْنِ الأَسماءِ العربية، لأَنَّ (إفعيلاً) موجودٌ بقلَّةٍ مثلُ (إِبْزيم)، وربّما نُطِقَ به بفتحِ الهمزة، وذلك لا نظيرَ له في العربية»[2].

إذن: (الإنجيل) كلمةٌ أَعجمية، فلا نبحثُ لها عن معنى في العربية، ولا عن مادةِ اشتقاقِه، وكلُّ ما قيلَ عن عربيتِه واشتقاقِه فهو مردود.

ولم يَرد (الإنجيل) في القرآنِ إلاّ مُعَرَّفاً بـ(أَل التعريف)، ولذلك جاءَ مصروفاً، لأَنَّ الممنوعَ من الصرفِ إذا عُرِّفَ بـ(أَل التعريفِ) صارَ مصروفاً، فدخلَه التنوين، وجُرَّ بالكسرة.

وردَ الإنجيلُ اثنتا عشرةَ مرةً في القرآن: ثلاثَ مراتٍ في سورة آل عمران، وخمسَ مراتٍ في سورة المائدة، ومرةً في كلٍّ من: الأَعراف والتوبة والفتح والحديد.

وأَنزلَ اللهُ الإنجيلَ على عيسى عليه السلام، وجاءَ مكَمِّلاً للتوراة، ومصدِّقاً لها، وأَحَلَّ اللهُ فيه على بني إسرائيل بعضَ ما حرَّمَه عليهم عقاباً لهم. وأخبرَنا اللهُ عن قولِ عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٣٥ـ٣٣٦.
(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٩.

والإنجيلُ مصدقٌ للتوراة، وموافقٌ لها في كثيرٍ من الأُمور، منها البشارةُ بالرسولِ الخاتمِ محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والإنجيلُ مصدِّقٌ للتوراةِ في الحثِّ على الجهادِ وقتالِ أعداءِ الله، وتبشيرِ الشهداءِ بأجرِهم عندَ الله. قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ١١١].

وبما أنَّ الإنجيلَ كتابُ اللهِ فقد وصفَه اللهُ بأنَّه هدى ونور. قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

وأَمَرَ اللهُ النصارى بالحكمِ بالإنجيل، وتطبيقِ ما فيه، فإنْ لم يفعلوا ذلك كانوا فاسقين كافرين. قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومصطلحُ (أَهلِ الكتاب) في القرآنِ يُطْلَقُ على اليهودِ والنصارى، لأنَّ اليهودَ عندَهم كتابُ الله (التوراة)، والنصارى عندَهم كتابُ الله (الإنجيل). والكتابانِ الرَّبَّانيَّان: التوراةُ والإنجيلُ مبشِّرانِ بالرسولِ الخاتمِ محمد ﷺ، وبكتابِ اللهِ الخالدِ الخاتمِ الذي يأْتي بعدَهما، وهو القرآن.

وقد أَمَرَ اللهُ أَهلَ الكتابِ بإقامةِ التوراةِ والإنجيل، وهذا معناهُ أَنْ يُؤْمنوا بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ محمداً هو رسولُ الله الخاتم ﷺ، ويدخلوا في الإسلام، فإنْ لم يصِلوا إلى هذه النتيجة لم يكونوا مؤمنين بالتوراةِ والإنجيلِ ولا مُقيمين لهما. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ﴾ [المائدة: ٦٨].

هذهِ الأَوصافُ الإيجابيةُ للإنجيل إنما هي للإنجيل الذي أنزلَه اللهُ على عيسى عليه السلام، وليس للإنجيلِ الذي بين أَيدي النصارى الآن.

إنَّهما إنْجيلان مختلفان اختلافاً كثيراً:

الأول: الإنجيلُ العظيمُ المبارَك: الذي أنزلَه اللهُ على عيسى عليه السلام، والإيمانُ بأنّه كتابُ اللهِ من لوازِم الإيمانِ عند كلِّ مسلم، ومَنْ لم يؤمنْ به كان كافراً بالله، مخلّداً في جهنّم، وإِنْ صامَ وصلَّى وزعمَ أنَّه مسلم.

الثاني: الإنجيل المُحَرَّفُ المبدَّل: وهو الذي حَرَّفَه الرهبان، ومزجوا كلامَ اللهِ بكلامِهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، وبذلك أزالوا هُداه، وطمسوا نورَه، وبذلك ضلُّوا وأضلّوا، وقد نسخَه الله، كما نسخَ التوراةَ قبلَه، وأنزلَ القرآنَ كتابَ هدايةٍ وحياة، وتكفَّلَ بحفظِه حتى قيام الساعة.

وأشار إلى تحريفِ الرُّهبان للإنجيلِ قولُه تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

* * *

٤٤ ـ التوراة

التوراةُ: اسمُ كتابِ اللهِ الذي أَنزلَه على موسى عليه السلام.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (التوراةَ) كلمةٌ عربيةٌ مشتقة.

والعجيبُ أنَّ الراغبَ الأصفهانيَّ يَميلُ إلى هذا، قال في المفردات: «التوراة: التاءُ فيه مقلوب. وأَصْلُه من (الوَرى). بناؤُها عند الكوفيين (وَوْراة)، على وزن (تَفْعِلَة).. وقال بعضُهم: هي (تَفْعَلَة) نحو (تَنْفَلَة)، وليسَ في كلامِهم (تَفْعِلَة) اسماً.

وعندَ البصريين: هي على وزن (وَوْرَيَة)، هي (فَوْعَلَة)، نحو: حَوْصَلَة»[1].

أي أنَّ الراغبَ يرى أنَّ التوراةَ مشتقةٌ من (ورى)، والوَرْيُ قَدْحُ الزَّنْدِ ليظهرَ منه الشررُ والنور.

وأوردَ أصحابُ (المعجم الوسيط) التوراةَ في مادة (تارَ) من المعجم، وليس في مادة (ورى). ومعنى (تارَ) في المعجم: جَرى. والتَّوْرُ: الرسولُ بين القوم، والإناءُ الذي يُشربُ فيه. والتوراةُ كتاب الله[2].

ولما تكلَّمَ السمينُ الحلبيُّ عن الاختلافِ في التوراةِ، هل هي أَعجميّةٌ أو عربية مشتقةٌ؛ ذَكرَ اختلافَ القائلين بالاشتقاق في معنى المادةِ المشتقة منها:

فالقائلون بأنّها مشتقة من (وَرَىٰ) قالوا: هي مشتقةٌ من قولهم: (وَرَى الزَّنْدُ) إذا قَدَحَ فظهرَ منه نار. واشتُقَّتِ التوراةُ منه، لأنّها فيها ضياءٌ ونور، يُخْرَجُ به من الضلالِ إلى الهدى، كما يُخْرَجُ بالنورِ من الظلامِ إلى النور.

وقالَ آخرون: التوراةُ مشتقةٌ من (وَرّىٰ)، يقال: وَرَّىٰ فلانٌ في كلامِه،

---

(١) المفردات، ص١٦٨. والتنفلة: أنثى الثعلب.

(٢) المعجم الوسيط، ص٩٠.

والتوريةُ هي التعريض. وسُميت التوراةُ بذلك لأنَّ أَكثرها تلويحاتٌ ومعاريض [١].

لكنَّ القولَ بأنَّ التوراةَ كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ مردود، والراجحُ أنّها كلمةٌ أعجمية.

قالَ محمد الطاهر ابن عاشور: «التوراة: اسمٌ للكتابِ المنزَّلِ على موسى عليه السلام. وهو اسمٌ عبراني، أصلُه (طورا) بمعنى الهدى، والظاهرُ أنّه اسمٌ للألواحِ التي فيها الكلماتُ العشر، التي أُنزِلَتْ على موسى عليه السلام في جبلِ الطور.. واليهود يقولون: (سَفْر طورا)، فلما دخلَ هذا الاسمُ إلى العربيةِ أدخلوا عليه لامَ التعريف التي تَدخلُ على الأوصافِ والنكِرات، لتصيرَ أعلاماً بالغَلَبة.

ومن أهلِ اللغةِ والتفسيرِ مَنْ حاولوا توجيهاً لاشتقاقِه عربياً، فقالوا: إنّه مشتقٌّ من الوَرْي، وهو الوَقْد، بوزنِ تَفْعَلَة أو فَوْعَلَة... وربما دفعهم إلى ذلك دخولُ حرفِ التعريفِ عليه، وهو لا يَدخلُ على الأسماءِ الأعجمية.. وأُجيبَ بأنّه لا مانعَ من دخولِها على المعرَّب.

وإنما أَلْزموه التعريفَ لأنّه مُعَرَّبٌ عن اسم بمعنى الوصف اسم علم، فلما عَرَّبوه أَلْزموه اللامَ لذلك، فقالوا: (التوراة)» [٢].

التوراةُ اسمُ علمٍ أعجمي، أُدخِلَت عليه (أل التعريف) فلم يُمنع من الصرف، لأنَّ الاسمَ الأعجميَّ الممنوعَ من الصرفِ يُصرفُ إذا عُرِّفَ بـ(أل التعريف)، أو عُرِّفَ بالإضافة، وهذه قاعدةٌ نحويةٌ معروفة.

وقد وَرَدت التوراةُ ثماني عشرة مرةً في القرآن: ستَّ مرات في سورة آل عمران، وسبعَ مرات في سورة المائدة، ومرةً واحدةً في سور: الأعراف، والتوبة، والفتح، والصف.

وأنزلَ اللهُ (التوراة) على موسى عليه السلام عندما ناجاه على جبلِ الطور، بعدما أخرجَ اللهُ بني إسرائيل من مصر، وأنجاهم من عدوِّهم، فقد طلبَ اللهُ من

---

(١) الدر المصون: ٣/ ١٧.
(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٨.

موسى عليه السلام أَنْ يأْتيَ إلى جبلِ الطور، فاستخلَفَ أَخاهُ هارونَ عليه السلام على بني إسرائيل، وغابَ عنهم أربعين يوماً، وهو على جبلِ الطور، يذكر اللهَ سبحانه.

وبعد انتهاءِ الأربعينَ يوماً كَلَّمَ اللهُ نبيَّه موسى عليه السلام، ولما سمعَ موسى عليه السلام كلامَ ربِّه تاقَتْ نفسُه إلى رؤيتِه، فأخبرَهُ اللهُ أنّه لا يمكنُ أَنْ يراهُ في الدنيا، وحتى يُحسنَ فهمَ هذا، أحالَه على الجبل، فإن استقرَّ مكانَه فسوفَ يراه، ولما دُكَّ الجبلُ صَعِقَ موسى عليه السلام، ولما أفاقَ استغفرَ اللهَ وسبَّحَه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

عند ذلك أنزلَ اللهُ عليه الألواحَ مكتوبٌ عليها التوراة! قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٥].

لقد أمرَ اللهُ الملائكةَ في السماءِ أَنْ يكتبوا كلامَ التوراةِ على أَلواح، ثم أَنزلَ هذه الألواحَ على موسى عليه السلام، وهو على جبلِ الطور.

ولما وصلَ موسى عليه السلام قومَه، ووجدَهم يعبدونَ العجلَ الذهبي، غضبَ غضباً شديداً، وألقى أَلواحَ التوراةِ من شدةِ الغضب، وصارَ يُعنِّفُ أخاهُ هارونَ عليه السلام. ولما سكتَ غضبُه أَخذَ الألواحَ وبلَّغَها لقومِه ليلْتزموا بها.

وطَبَّقَ موسى عليه السلام أَحكامَ التوراة على بني إسرائيل، واهتدوا بها، وقد أثنى القرآنُ عليها في آياتٍ كثيرة، ووَصفَها بأنّها نورٌ وهدى، وضياءٌ وفرقان...

ولكنَّ أحبارَ اليهودِ حَرَّفوا التوراةَ بعد وفاةِ موسى عليه السلام بفترة، وسجَّلَتْ آياتُ القرآنِ ذلك التحريف، وأَدانَتْهم لهذه الجريمة، من ذلك قولُه تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وأَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ أَنْ يتحدَّى اليهودَ بإحضارِ التوراة إن استطاعوا. قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وأخبرَ اللهُ اليهودَ أنَّ صفاتِ الرسولِ الخاتم محمد ﷺ مذكورةٌ في التوراة، وأَمَرَهم بإقامة التوراة وتطبيقِها بصدق، وإقامتُها وتطبيقُها يعني الإيمانَ بمحمدٍ ﷺ، والدخولَ في دينِه.

وقد جاءَ القرآنُ ناسخاً للتوراة، لأنَّ أحبارَ اليهود حَرَّفوها، وطمَسوا نورها، وملؤوها بالأكاذيبِ والأباطيل والكفرِ والضلال، وزعموا أنها من عندِ الله.

يجبُ أَنْ نؤمنَ بتوراتيْن اثنتيْن، وليس توراة واحدة:

الأُولى: التوراة النازلةُ على موسى عليه السلام: نؤمنَ أنها كتابُ الله، وأنها هدى ونور.

الثانية: التوراة التي كتبها الأحبارُ: نؤمنُ أنها ليست كلامَ الله، وأنها محرَّفةٌ باطلة، ومليئةٌ بالأكاذيب، ولا يجوزُ اتِّباعُها، وأنها منسوخة، بديلُها القرآنُ المحفوظ.

* * *

٤٥ ـ الجودي

وردَ (الجوديُّ) مرةً واحدةً في القرآن، وذلك في سياقِ قصةِ نوحٍ عليه السلام في سورة هود. وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

تتحدّثُ الآيةُ عن انتهاءِ الطوفانِ واستقرارِ سفينةِ نوحٍ عليه السلام على جبلِ (الجوديّ).

وذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ (الجوديَّ) كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من الجود، وأشارَ إلى هذا الراغبُ الأصفهانيُّ في (المفردات)، والسمينُ الحلبيُّ في (عمدة الحفاظ).

قالَ الراغبُ: «الجوديّ: قيل: هو اسمُ جبلٍ بين الموصلِ والجزيرة. وهو في الأصلِ منسوبٌ إلى الجود.

والجـودُ: بذْلُ المقتنيـات، مالاً كان أو علماً. يقال: رجلٌ جَوادٌ... وفرسٌ جَوادٌ، وهو الذي يَجودُ بمدَّخَرِ عَدْوِه، والجمعُ (الجياد). قال تعالى: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾ [صٓ: ٣١]»[1].

وقالَ آخرون: (الجوديّ) كلمةٌ أَعجمية، ولا صلةَ في الاشتقاقِ أو المعنى بينها وبين مادةِ (الجود) العربية، التي بمعنى الكرم.

وهذا هو الراجحُ، لأنَّ الآيةَ التي ذَكَرَتْ كلمةَ (الجودي) تتحدثُ عن قصةِ نوحٍ عليه السلام، وتخبرُ أنَّ سفينةَ نوحٍ عليه السلام استقرّتْ على جبلِ (الجوديّ)، وهذا معناهُ أنَّ ذلك الجبلَ سُمي بذلك الاسمِ منذ عهدِ نوحٍ عليه السلام.

---

(١) المفردات، ص٢١١.

ونوحٌ عليه السلام عاشَ وماتَ قبلَ أَنْ يولَدَ أولُ عربيٍّ تكلَّمَ بالعربيـة، واستُخدِمَتْ كلمةُ (الجوديّ) في زمانِه، وسُمي بها ذلك الجبل، وهذا يرجحُ أنَّ الكلمةَ أعجمة.

وكـونُ (الجوديّ) كلمةً أَعجميـةً يعني أَنْ تكونَ ممنوعةً من الصرف، للعلميةِ والعُجمة، فلماذا لم تُمنَع من الصرفِ في الآية؟

لم تُمنَعْ من الصرف لإدخـالِ (أل التعريف) عليها، ومعلـومٌ أنَّ العلمَ الأعجميَّ يُصرَفُ إذا أُدخلتْ عليه (أل التعريف).

وجبلُ الجوديِّ الذي استقرَّت عليه السفينةُ يقعُ في شمالِ العراق.

قالَ عنه ياقوتُ الحمويّ: «الجوديُّ: ياؤُهُ مشدَّدة. وهو جبلٌ مُطِلٌّ على جزيرةِ ابنِ عمر، في الجانبِ الشرقي من دجلة، من أعمالِ الموصل، عليه استوَتْ سفينةُ نوحٍ عليه السلام، لمَّا نَضَبَ الماء»[1].

وجزيرةُ ابنِ عمر هي الأَرضُ الخصبةُ في شمالِ العراقِ، والواقعةُ بين نهري دجلةَ والفرات. وسُميت (جزيرةً) لأنّها واقعةٌ بين النهريْن المذكوريْن. ونُسبَتْ إلى رجلٍ عربيّ هو (ابنُ عمر) فقيل: جزيرةُ ابنِ عمر.

وجبلُ (الجوديّ) عالٍ مرتفع، مطلٌّ على تلك الجزيرةِ الخصبة. وهو واقعٌ في المنطقةِ الكردية، التي سكنها الأكرادُ منذُ مدةٍ طويلة.

ولا يُسمّى الآنَ (جَبَلَ الجودِيّ)، وإنَّما يُسمّى مع الجبالِ المحيطةِ به (جبالَ أرارات)، وسُمي في أَسفارِ العهدِ القديمِ عند اليهود: (جبلَ أراراط).

والأَوْلى إطلاقُ الاسمِ القرآنيِّ عليه، فلا يُقال: جبلُ أَرارات، وإنما يُقال: جبل الجودي.

* * *

(١) معجم البلدان: ٢/ ١٧٩.

٤٦ ـ الروم

الرّومُ: اسمُ علمٍ أَعجمي، أُطلقَ على السورةِ الثلاثين وفقَ ترتيبِ المصحف. وسُميتْ بهذا الاسمِ لورودِه في مطلعِها. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ١ ـ ٤].

و(الرومُ) في الآيةِ نائبُ فاعلٍ مرفوع، وهو مصروفٌ مع أنّه علمٌ أَعجمي، لأنه معرَّفٌ بـ(أل التعريف).

وقد عدَّهُ الجواليقيُّ في المعَرَّب، قال: «والرّومُ: هذا الجيلُ من الناس، أَعجمي، وقد تكلمتْ به العربُ قديماً، ونطقَ به القرآن»[١].

قالَ عنه السمينُ الحلبيُّ في (عمدة الحفاظ): «الروم: اسمُ جنس، وتُفرِّقُ بينَهُ وبينَ صاحبِه ياءُ النسبة، فيُقالُ للواحد: رومي. وهذا خارجٌ عن القياس، فإنَّ الفارقَ بين الواحدِ والجمعِ في أسماءِ الأجناس إنما هو تاءُ التأنيث. وقال الراغب: الرومُ تارةً تُقالُ للجَيلِ المعروف، وتارةً لجمعِ رومي كالعجم، فجعلَه مشتركاً بين المعنيَيْن»[٢].

ويُذكرُ (الرومُ) في التاريخ في مقابل (الفرس)، بينما يُذكَرُ (الرومان) في مقابل (اليونان)، فالرومانُ هم الذين ورثوا اليونانَ في القوةِ والسلطانِ والنفوذ، والرومُ هم الذين حاربوا الفرس، وقضى الإسلامُ على دولتَيْهما.

وأشارَ الشيخُ محمد الطاهر بن عاشور إلى نشأةِ الرومانِ والرومِ والفرقِ بينهما، قال: «الروم: اسمٌ غلبَ في كلامِ العربِ على أُمةٍ مختلطةٍ من اليونانِ والصقالبة، ومن الرومانيين الذين أصلُهم من اللاّتينيين، سكانِ بلادِ إيطالية،

---

(١) المعرب، ص٢١١.

(٢) عمدة الحفاظ: ٢/ ١٤٤.

نَزَحوا منها إلى أطرافِ شرقِ أوروبة.

تكوَّنَتْ هذه الأُمةُ المسماةُ الرومُ من هذا المزيج، فجاءَتْ منها مملكةٌ تحتلُّ قطعةً من أوروبة وقطعةً من آسية الصغرى، وهي بلادُ الأناضول، وقد أَطلقَ العربُ على مجموعِ هذه الأُمة اسمَ الروم، تفرقةً بينهم وبين الرومانِ اللاتينيين، وسُمِيَ الرومُ أيضاً (بَني الأصفر)...

وسببُ اتصالِ الأُمةِ الرومانيةِ بالأُمةِ اليونانية وتَكَوُّنِ أُمةِ الروم من الخليطيْن، هو أنّ اليونانَ كانوا يستولون على (صقلية) وبعضِ بلادِ إيطالية، وكانوا في حروبٍ سجال مع الرومان.. وقد توسَّعَتْ مملكةُ الرومان بسببِ تلك الحروب، وشملتْ مملكةَ اليونان وغيرَها من شمالِ إفريقية ومصر وبلاد الشام وآسية الصغرى، ووصلتْ إلى أرمينية والعراق، وبذلك دخلتْ بلادُ اليونان تحتَ حكمِ الرومان.

ومن أشهرِ المدنِ الواقعةِ على البسفور مدينةُ (بيزَنْطَة)، وكان سكانُها أهلَ تجارةٍ عظيمة، واستولى عليها الرومانُ عندما احتلّوا المنطقة.

وفي حدود سنة (٣٢٢) قبلَ الميلاد حكَمَ الرومانَ الإمبراطورُ (قسطنطين) فأُعجِبَ بموقعِ بيزنطة، وبنى مدينةً كبيرة، سمّاها باسمه (القسطنطينية)، وجَعَلها عاصمةً له.

وبعد وفاتِه سنة (٣٣٧) قبلَ الميلاد قُسِّمَت البلادُ الرومانية إلى قسمين: مملكةُ الرومِ في القسمِ الشرقي من الإمبراطورية، وعاصمتُها القسطنطينية، ومملكةُ الرومان في القسمِ الغربيِّ من الإمبراطورية، وعاصمتُها روما...»[١].

واستولى الرومُ على بلادِ الشامِ ومصر، من القرنِ الرابعِ قبلَ الميلاد، واستمرّوا يستعمرونها حتى الفتحِ الإسلاميِّ في القرنِ السابعِ الميلادي.

ووقعَتْ حروبٌ عنيفةٌ بين الرومِ وبين الفرس، وكانت الحربُ سِجالاً بينهما.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢١/ ٤٢ـ٤٣.

وفي بدايـةِ الدعوةِ الإسلامية انتصرَ الفرسُ على الرومِ؛ ففرحَ مشـركو قريش، لأنّ الفرسَ ليسوا أهلَ كتابٍ مثلَهم، وحزنَ المسلمون لأنَّ الرومَ أهلُ كتاب، فأنزلَ اللهُ مطلعَ سورةِ الرومِ، يُخبرُ فيها بانتصارِ الفرسِ على الروم، ويَعِدُ بانتصارِ الرومِ على الفرس في بضع سنين. وقد تحققَ هذا الوعد، في بضع سنين، كما حدَّدت الآية، وانتصرَ الرومُ بقيادةِ (هرقل) على الفرس، في السنةِ الثانية من الهجرة، وبذلك فرحَ المؤمنون بنصرِ الله.

* * *

٤٧ ـ الزبور

الزَّبور: اسمُ الكتابِ الذي أنزلَه اللهُ على داودَ عليه السلام.

والكتبُ الثلاثةُ التي أَخبرَنا اللهُ بإنزالِها على رسلِه أَعجمية، وهي: التوراةُ التي أنزلَها اللهُ على موسى عليه السلام، والزَّبورُ الذي أنزلَه على داودَ عليه السلام، والإنجيلُ الذي أنزله على عيسى عليه السلام.

وتكلَّمْنا قبلَ قليلٍ عن الإنجيلِ والتوراة، وهما اسمانِ أَعجميّان مصروفانِ لدخولِ (أل التعريفِ) عليهما.

و(الزَّبورُ) مصروفٌ أيضاً رغمَ أعجميته، لأنه مُعرَّفٌ بـ(أل التعريف).

ولم يَرِدْ مُعرَّفاً (الزَّبور) إلا مرةً واحدةً في القرآن، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ ـ ١٠٦].

وقد وردَ نكرةً مرتيْن في القرآن:

الأُولى: في سورةِ النساء: في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

الثانية: في سورة الإسراء: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وفي هذهِ الكلمةِ (الزَّبور، وزَبور) قراءَتان عشريتان في المواضعِ الثلاثة:

الأُولى: قراءةُ حمزةَ وخلَف: (الزُّبور) و(زُبوراً) بضمِّ الزاي.

الثانية: قراءةُ الثمانيةِ الباقين ـ نافع وعاصم وابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وأبي جعفر والكسائي ويعقوب: (الزَّبور) و(زَبوراً) بفتح الزاي.

وحجةُ مَنْ قَرَأَ بفتحِ الزاي أنّه أرادَ به الكتابَ المنزَّلَ على داودَ عليه السلام، والكتابُ اسْمُه (الزَّبور) بالفتح، مثلُ: التوراةِ والإنجيل، فهذهِ أسماءُ الكتبِ الرّبانيةِ السابقة الثلاثة، كما سبقَ أَنْ بيّنّا.

وحجةُ حمزةَ وخَلَفَ في ضَمِّ الزّاي (الزُّبور) أنّه جمعُ (الزَّبـور) بالفتح، مثل: تُخُـوم، التي هي جمع: تَخُوم. ويمكنُ إسقاطُ الواوِ من (زَبُـور) لأنّها زائدة، فتصيرُ الكلمة (زَبُر)، وجمعُها (زُبور).

ووجَّـهَ بعضُهم الكلمةَ (زبور) على أنّها مصدر الفعل الماضي (زَبَـرَ)، تقول: زَبَرَ، يَزْبُرُ، زُبوراً، مثل: قَعَدَ، يَقْعُدُ قُعوداً. وفي هذا التوجيهِ خلاف، لأنَّ (زَبَرَ) فعلٌ متعدٍّ وليس فعلاً لازماً»[1].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (الزَّبور) كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (الزَّبْر)، وأنَّها بمعنى اسمِ المفعول. وزَبَرَ بمعنى: كَتَبَ.

تقول: زَبَرَ، يَزْبُرُ، زَبْراً، بمعنى: كَتَبَ، يَكْتُبُ، كَتْباً، فتكونُ (زَبور) بمعنى اسم المفعول (مَزْبور). تقول: هذا مَزْبور، بمعنى: هذا مكتوب.

ولكنَّ هذا الرأيَ مردود، لأنَّ الراجحَ أنَّ (الزَّبور) كلمةٌ أَعجمية، مثلُ: التوراةِ والإنجيل.

ولا صلةَ بين الكلمةِ الأعجمية (الزَّبور) التي سُميَ بها كتابُ اللهِ المُنَزَّلُ على داودَ عليه السلام، وبين المادةِ العربية (الزَّبْر) والواردة في القرآن.

قالَ ابنُ فارس في (المقاييس) عن المادةِ العربية: «الزاءُ والباءُ والـراءُ أَصْلان، أحدهما يدلُّ على إحكامِ الشيء وتوثيقِه، والآخرُ يدلُّ على قراءةٍ وكتابة.

ومن الأول قولُهم: زُبْرَةُ الحديد وهي القطعةُ منه. وجمعُها: زُبَرُ.. ومن الثاني قولُك: زَبَرْتُ الكتابَ أي: كتبتُه. والكتابُ زَبور بمعنى مكتوب، وجمعُه (زُبُر) أيْ: كُتُب...»[2].

---

(١) انظر توجيه القراءتين في الدر المصون: ٤/١٥٨ـ١٥٩.

(٢) مقاييس اللغة، ص٤٦٨ باختصار.

وقد وردَ في القرآنِ من هذه المادة: (زُبَرَ) التي هي جمعُ (زُبْرَة) وذلك في قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]. أي: آتوني قِطَعَ الحديدِ الصغيرة.

ووردَ فيه (زُبُر) بضمِّ الباء، كما في قولِه تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢ ـ ٥٣]. أي: كل شيء فعلوه مكتوب في الكتب.

فلا صلةَ اشتقاقية بين الزَّبورِ الأعجمية، وبين الزُّبْرَة العربية التي جمعُها (زُبَرَ) ولا بين (الزَّبور) الذي جمعُه (زُبُر).

واللافتُ للنظرِ أنَّ الكتابَ المنزَّلَ على داودَ عليه السلام وردَ معرفةً ووردَ نكرة:

وردَ معرفةً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والمرادُ به هنا اسمُ الكتابِ المنزَّل على داودَ عليه السلام، وهو مصروفٌ لدخولِ (أل التعريف).

ووردَ نكرةً في جملة ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ في سورة [النساء: ١٦٣]، وفي سورة [الإسراء: ٥٥].

والتنوينُ في (زَبوراً) تنوينُ التنكير. بمعنى أنّه نُوِّنَ ولم يُمنَعْ من الصرف لأنّه نكرة، فلا يُرادُ بقوله: (زَبوراً) الزَّبورُ المنزلُ على داودَ عليه السلام بنفسه، إنما المراد به (كتاباً) من كتبِ الله، أَنزلَه اللهُ على داودَ عليه السلام.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: آتينا داودَ كتاباً.

ومَرَّ معَنا أنَّه عندما أُريدَ بكلمة (مِصْر) الإقليمُ المصريُّ المعروف، مُنِعَتْ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، كما في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]، وعندما وردَتْ (مِصْر) عامة، بمعنى أيّ مِصْرٍ من الأمصارِ صُرِفَت، وأُدخِلَ عليها تنوينُ التنكير، وذلك في قولِه تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

فالتنوينُ في (زَبوراً) تنوينُ التنكير، لأنّه يُرادُ به أَحدُ كُتبِ الله، وهو المنزَّلُ على داودَ عليه السلام، والتعريفُ في (الزَّبور) للعهد، لأنَّه يُرادُ به الزَّبورُ نفسُه، وإيرادُ الكلمةِ مرةً معرفةً ومرةً نكرة جمالٌ ملحوظٌ في التعبيرِ القرآني!!.

* * *

٤٨ ـ السامري

السامريُّ اسمُ علمٍ أَعجمي، وردَ في القرآنِ ثلاثَ مرات، في قصةِ موسى عليه السلام في سورة طـه.

والسامريُّ رجلٌ من بني إسرائيل فتنَهم، واستغلَّ غيبةَ موسى عليه السلام عنهم، وصنعَ لهم عجلاً ودَعاهم إلى عبادتِه، ولما عادَ موسى عليه السلام إليهم حَرَّقَ العجل، وطردَ السامريَّ من بينهم.

أَخبـرَ اللهُ موسى عليه السـلام عن إضلالِ السامريِّ لبني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طـه: ٨٥].

(السامريُّ) في الآية فاعلٌ مرفوعٌ لفعلِ (أضلَّهم).

ولما علمَ موسى بذلك حزنَ وتألَّم، وحملَ الألواح، ونزلَ عن جبل الطور، وتوجَّه إلى قومِه، ولامَهم ووبَّخَهم وذمَّهم. قال تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طـه: ٨٦].

ردَّ القومُ على موسى عليه السلام بإخبارِه عمَّا طلبَه السامريُّ منهم، للتخلّصِ من الزينةِ التي نَهبوها من المصريين. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طـه: ٨٧ ـ ٨٨].

(السامريُّ) في هذه الآيات فاعلٌ مرفوع لفعلِ (أَلْقَىٰ).

ولمَّا علمَ موسى عليه السلام بدورِ السامريِّ في فتنتِهم سأَله عمَّا جرى. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ [طـه: ٩٥].

و(سامريُّ) في الآيةِ منادى مبنيٌّ على الضمّ، لأنَّه مفْرَد.

أَجـابَ السـامريُّ موسـى عليه السـلام قائلاً: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟

بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه: ٩٦].

أي: رأيتُ ما لم يَرَهُ بَنو إسرائيل، والتفَتُّ إلى ما لم يَلتفتوا له، حيثُ رأيتُ الرسولَ جبريل، فقبضْتُ قبضةَ ترابٍ من أَثَرِه، وعلمتُ أنّه سيكونُ لها شأن، فلما غبتَ أَنتَ عنّا، جمعتُ منهم الحليَّ والذهبَ والزينة، ودعوتُهم للتخلصِ منها لأنّها مسروقةٌ من المصريين، ولما صهرتُها أَلقيتُ تلك القبضة عليها، فصنعْتُ منها عجلاً جسداً له خُوار، ودعوتُهم إلى عبادتِه، هذا ما سوَّلَتْه وزيّنَتْه لي نفسي!.

عند ذلك أَصدرَ موسى عليه السلام حكمَه بمعاقبةِ السامري، فقال: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه: ٩٧].

عاقبَ موسى عليه السلام السامريَّ بخلْعِه من بني إسرائيل، وعزْلِه عنهم، وإخراجِه وطردِه، لفسادِه وانحرافِه وإضلالِه، ومنَعَه من الاقترابِ منهم، كما منَعَهم من الاقترابِ منه: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾.

ومضى السامريُّ في الصحراء، مطروداً، منبوذاً، معزولاً.

قال محمدُ الطاهر ابن عاشور: «جعلَ موسى عليه السلام حظَّ السامريِّ أَنْ يقولَ في حياتِه: لا مِساس!.

أي: سَلَبَهُ اللهُ الأُنسَ الذي في طَبْعِ الإنسان، وعوَّضَه به هَوَساً ووسواساً وتوحُّشاً، وأصبحَ متباعداً عن مخالطةِ الناس، عائشاً وحدَه، لا يتركُ أَحداً يقتربُ منه، فإذا لقيهُ إنسانٌ قالَ له: لا مِساس!! أَيْ: لا تمسَّني، ولا أَمسُّك. أَو: لا تقتربْ منّي»[1].

و(السامريُّ) ليسَ ممنوعاً من الصرف، وسببُ صرفِه دخولُ (أَل التعريف) عليه. والعلمُ الأعجميُّ يُصرَفُ عندَ إدخالِ (أَل التعريفِ) عليه.

و(السامريُّ) مُبهَم، لم يُفصِّل القرآنُ الحديثَ عن بدايتِه ونَسَبِه وأَمرِه

---

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٩٨.

وعلمِه، وكلُّ ما عَرفناه أنَّه كان يعيشُ مع بني إسرائيل وهم في سيناء، وأنّه صنعَ لهم العجلَ، ثم عاقبَه موسى عليه السلام بإِخراجِه وطردِه. وكما أَبهم القرآنُ بدايتَه، كذلك أبهمَ نهايتَه.

والياءُ في (السامري) يمكنُ أَنْ تكونَ ياءَ النِّسْبَة، فيكونُ منسوباً إلى قبيلةِ السامرة، باعتبارِه أَحَد أَبنائِها، وهي قبيلةٌ إسرائيلية، أُطلقَ اسمُها على منطقة (السامرة) في فلسطين، وهي نابلس وما حَوْلَها، وفي نابلسَ بقايا منهم يُقال لهم: (السُّمَرَة).

ويمكنُ أَنْ تكونَ الياءُ في (السامريِّ) أَصلية، مثل: عليّ وقُصَيّ، وهذا هو الأرجح، لأنَّ الاسمَ أَعجميٌّ وليس عربياً مشتقّاً، ولا نبحثُ له عن معنى في العربية!.

* * *

٤٩ - سواع

(سُواعٌ) اسمُ صنمٍ من خمسة أَصنامٍ كان قومُ نوحٍ يعبدونَها من دون الله. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وقد تكلَّمْنا عن قصةِ هذه الأَصنامِ الخمسةِ عند تعريفِنا باسم (يعوق). وخلاصتُها أنَّها خمسةُ أسماءٍ أَعجمية لأُناسٍ صالحين، عاشوا وماتوا قبلَ قومِ نوحٍ عليه السلام، وأحبَّهم قومُ نوحٍ لإيمانِهم، واقتدَوا بهم، فجاءَهم الشيطان، وزيَّنَ لهم صنعَ تماثيلَ تحملُ أسماءَهم، لتخليدِ ذكراهم، ففعلوا، وظهرتْ أَجيالٌ جديدةٌ جاهلةٌ من قومِ نوح، فدعاهم الشيطانُ لعبادةِ تلك التماثيل، فلبّوا دعوتَه وعَبَدوها، ونهاهم نوحٌ عليه السلام عن عبادتِها، فلم يستجيبوا له.

ولما أَهلكَ اللهُ قومَ نوحٍ بالطوفانِ دُمِّرَتْ تلك الأصنام، وكانت القبائلُ العربيةُ تتذكرها، فاختارتْها بعضُ القبائل، وجعلَتْها آلهة، وعبدَتْها من دونِ الله.

روى البخاريُّ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأَوثانُ التي كانتْ في قومِ نوحٍ في العربِ بَعد. أمَّا (وَدٌّ) فكانتْ لكلْبٍ بدومةِ الجندل. وأَمَّا (سُواعٌ) فكانتْ لهُذَيْل. وأمَّا (يغوثُ) فكانتْ لمراد، ثم لبني غُطَيْف بالجوفِ عندَ سبأ. وأمَّا (يَعوقُ) فكانتْ لهَمْدان. وأمَّا (نَسْرٌ) فكانت لِحِمْيَر، لآلِ ذي الكَلاع»[1].

وهذه الأَصنامُ الخمسةُ قسمان:

قسمٌ ممنوعٌ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، وهما (يَغوثُ ويَعوقُ). وقد تكلَّمنا عنهما أثناءَ حديثِنا عن الأَعلامِ الأعجمية الممنوعةِ من الصرف.

وقسمٌ مصروف، وهي الأَصنامُ الثلاثة: وَدٌّ، وسُواعٌ، ونَسْرٌ.

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، رقم: (٤٩٢٠).

وكلامنا هُنا عن (سُواع).

هي مصروفةٌ منصوبة: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ لأنّها معطوفةٌ على (وَدّاً) التي هي مفعولٌ به.

و(سُواعاً) مصروفةٌ مع أَنّها اسمُ علمٍ أَعجمي، ولذلك دخَلَها التنوينُ، والسببُ في صرفِها التأنيث، فإذا كان العلمُ الأَعجميُّ اسماً لمؤنَّثٍ صُرِف.

لقد اعتبرَ العربُ (سُواعاً) مؤنَّثة، لأنّهم لما صنعوا الصنم، جعلوهُ على صورةِ امرأة.

قال الزمخشريُّ في (الكشاف): «قيل: كان (وَدٌّ) على صورةِ رَجُل، و(سُواعٌ) على صورةِ امرأة، و(يَغوثُ) على صورةِ أَسَد، و(يَعوقُ) على صورةِ فرس، و(نَسْرٌ) على صورة نسر...»[1].

وبما أنَّ (سُواعاً) علمٌ أَعجمي، فلا نبحثُ له عن معنى في العربية.

وذهبَ السمينُ الحلبيُّ إلى أنَّ (سُواعاً) عربيٌّ مشتقٌّ من (السَّوْع)، وهو الجزءُ من الوقت، و(السُّواعُ) هو الجزءُ من الوقت، ومنه (الساعة).

قال: «يقولون: جاءَ بعدَ سَوْعٍ من الليل وسُواع. أَيْ: هَدْءٍ. و(سُواعٌ) اسمُ صنم، ويقال: إنه اسمُ رجلٍ صالحٍ كان في زمنِ نوح، عملَ قومُه مثلَ صورتِهِ وصورةِ أصحابِه، ليتذكَّروا عبادتَهم، فجاءَ إبليس، وقال: لأَعقابِهم الأغمار: كان آباؤكم يعبدونَها، ومن ثَمَّ اتُّخذت الأصنام.

وفي ذلك نظر؛ إذْ كان يلزمُ منْعُ صرْفِه للعُجمةِ الشخصيةِ والعَلَمية»[2].

لا يرى السمينُ الحلبيُّ أنَّ (سُواعاً) كلمةٌ أَعجمية، لأنّها لو كانتْ كذلك لمُنِعَتْ من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة، مثل: (يُغوثُ ويَعوقُ) بعدَها. وكونُها مصروفةً مُنوَّنةً دلَّ على أنَّها عربيةٌ مشتقةٌ من (السَّوْع) وهو الجزءُ من الوقت، و(السُّواعُ) هو الجزءُ من الليل!!.

---

(١) الكشاف: ٤/٦١٩.

(٢) عمدة الحفاظ: ٢/ ٢٧٠.

وكلامُ السمينِ مرجوحٌ مردودٌ لأنَّ جُمهورَ أَهلِ اللغةِ والتفسيرِ يرونَ أَنَّ (سُواعاً) كلمةٌ أَعجمية، لأنّها اسمُ علمٍ أَعجمي، قبلَ قومِ نوحٍ عليه السلام، وعاشَ قومُ نوحٍ وماتوا قبلَ أَنْ يوجَدَ أَوَّلُ عربيٍّ يتكلَّمُ العربية.

وكونُ (سواعاً) مصروفةً منوَّنةً لا يَمنعُ أعجميتَها، لأنَّها علمٌ مؤنَّث، والعَلَمُ المؤنَّثُ الأَعجمي يُصرَفُ في حالات، ويُمنعُ من الصرفِ في حالات. وهي عَلَمٌ مؤنَّثٌ، لأنَّ العربَ الذين عَبدوها جَعلوها على صورةِ امرأة. والله أعلم.

* * *

٥٠ ـ الطور

الطورُ: هو الجبلُ الذي كَلَّمَ اللهُ عليه موسى عليه السلام.

وقد وردَ عشرَ مراتٍ في القرآن، وأُطلقَ اسْمُه على إحدى سورِ القرآن، وهي السورةُ الثانيةُ والخمسون حسبَ ترتيبِ المصحف.

و(الطّورُ) كلمـةٌ أَعجميـة، ولم يُمنَعْ من الصرفِ لأنّـه أُدخلَتْ عليـه (أل التعريف).

ولذلك عَدَّهُ الجواليقيُّ من الأسماءِ المعَرَّبة. قال: «قال ابنُ قتيبة: الطور: الجبلُ بالسريانية»[1].

وقالَ عنه ابنُ منظور: «الطورُ: الجبل. وطورُ سيناء: جبلٌ بالشام. وهو بالسريانية: طورى»[2].

وقالَ عنه السمينُ الحلبيُّ: «الطورُ: قيل: هو اسمٌ لكلِّ جبل. وقيل: اسمٌ لجبلٍ مخصوص. . والظاهرُ أنّه في الأصلِ اسمٌ لكلِّ جبل، بدليل تخصيصِه بالإضافة في قولِه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]. وتكونُ (أَلْ) هنا للعهد، وذلك الطورُ المضافُ إلى سينين أو سيناء يجوزُ أَنْ يكونَ للجنس»[3].

ورجَّحَ ابنُ عاشور أنّه أَعجمي معرَّب، فقالَ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١ ـ ٣]: «الطور: الجبل، باللغة السريانية، قالَه مجاهد. وأُدخلَ في العربية، وهو من الألفاظِ المعرَّبـةِ الواقعةِ في القرآن.

---

(١) المعرب، ص٢٦٩.

(٢) لسان العرب: ٤/ ٥٠٨.

(٣) عمدة الحفاظ: ٢/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

وغَلَبَ عَلَماً على (طور سيناء) الذي ناجى فيه موسى عليه السلام ربَّه وأَنزَلَ عليه فيه الألواح، المشتملةَ على أُصولِ شريعةِ التوراة»[1].

والطورُ في قصةِ موسى عليه السلام مقترنٌ بسيناء وسينين، لأنّهما أُضيفتا إليه. وقد تكلَّمنا عن (سيناء) في حرفِ السينِ من القسمِ الأول. باعتبارها علَماً أَعجمياً ممنوعاً من الصرفِ للعَلَميةِ والعُجمة.

والأسماءُ الثلاثةُ متلازمة، وهي: سيناء، ووادي طُوى، وجبلُ الطور. فـ(سيناءُ): اسمٌ للبقعةِ المباركة، المعروفةِ الآن باسم (شبه جزيرة سيناء)، و(طُوى): اسمٌ للوادي المقدَّس، الذي كلَّمَ اللهُ عندَه موسى عليه السلام، وأمرَه بالذهابِ إلى فرعون، و(الطورُ): اسمٌ للجبلِ المباركِ الواقعِ بجانبِ الوادي المقدَّس، الذي كَلَّمَ اللهُ عندَه موسى عليه السلام، وأنزلَ عليه أَلواحَ التوراة.

لقد كَلَّمَ اللهُ موسى عليه مرتيْن:

المرةُ الأُولى: عندما توجَّهَ من مَدْيَن إلى مصر: حيثُ دخلَ سيناء، ووصلَ إلى وادي طوى المقدَّس، وهذا الوادي بالجانبِ الأَيمنِ لجبلِ الطور، ولما وصلَ البقعةَ المباركةَ كلَّمَه الله، وأَخبرَه أنه اصطفاهُ نبياً، وأَمرَه بالذهابِ إلى فرعون.

ودليلُ أنَّ وادي طوى هو الواقعُ في الجانبِ الأَيمنِ من جبلِ الطور قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢].

وجانبُ الطورِ الأيمنُ هو الجانبُ الغربيُّ لجبلِ الطور، ودليلُه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ [القصص: ٤٤].

وهو شاطئ الوادي الأيمن، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

المرة الثانية: عندما واعَدَ اللهُ موسى أربعينَ ليلة: وكان ذلك بعدَ دخولِ بني إسرائيل سيناء، حيثُ سارَ بهم موسى عليه السلام متوجِّهاً نحو الوادي المقدَّس طوى، حيثُ جبلُ الطور.

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٥ ـ ٣٦.

طلبَ اللهُ من موسى عليه السلام أنْ يستخلفَ أَخاهُ هارون عليه السلام على بني إسرائيل، وأَنْ يأتيَ إلى جبلِ الطور، ليتلقَّى التوراة، وبعد أربعين يوماً قضاها موسى وحده على جبلِ الطور، كلَّمَه الله، وأَنزلَ عليه التوراة. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص: ٤٦].

ولما طلبَ موسى عليه السلامُ من ربِّه أَنْ يراه، وأَخبرَه أنّه لنْ يراه في الدنيا، تجلّى لجبلِ الطور فجعلَه دكاً، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وبعدما تابَ بنو إسرائيل عن عبادةِ العجل، اختارَ موسى من بينهم سبعينَ رجلاً، ليُعاهِدوا اللهَ نيابةً عن قومِهم، ولما رفضوا ذلك رفعَ اللهُ جبلَ الطور فوقَهم، وهدَّدهم بإسقاطِه عليهم، فبايَعوا. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة: ٦٣].

* * *

٥١ ـ عزير

وردَ (عُزَيْرٌ) مرةً واحدةً في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

يُخبرُ اللهُ عن كفرِ اليهودِ والنصارى، في تأْليههم للمخلوقين، وادِّعاءِ بنوةِ بعضِهم لله. فاليهودُ جَعلوا عُزيراً ابناً لله، والنصارى جعلوا المسيحَ ابناً لله!.

وزَعْمُ النصارى أنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ عليه السلام ابنٌ لله معروفٌ عنهم ومشهورٌ فيهم، وقد ردَّتْ عليهم آياتٌ قرآنيةٌ كثيرة، لكنَّ زعْمَ اليهودِ أنَّ عُزيراً ابنٌ لله يَحتاجُ إلى توضيح، فَمَنْ هو (عُزَيْرٌ) هذا؟ ومَن الذين ادَّعوا أنّه ابنٌ لله؟.

لم يتحدَّثْ القرآنُ عن (عُزَيْرٍ) حديثاً صريحاً مفصَّلاً، كما أنّه لا يوجَدُ حديثٌ صحيحٌ صريحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ يتحدَّثُ عنه، فلا نعرفُ عن قصتِه شيئاً، ولا نَعرفُ هل كان نبيّاً أَم لا؟ لأنَّ هذا لم يَرِدْ في مصادِرِنا الإِسلاميةِ العلميةِ اليقينية، المتمثّلةِ في القرآنِ الصريح، والحديثِ المرفوعِ الصحيحِ الصريح.

أما عندَ اليهود، فَلِعُزَيْرٍ منزلةٌ عالية، وقصةٌ مطوَّلة، وتفاصيلُ عديدة، ونكتفي بهذه الإِشارةِ المجملةِ من تفسيرِ ابنِ عاشور: «عُزَيْرٌ: اسْمُ حَبْرٍ كبيرٍ من أَحبارِ اليهود، الذين كانوا في الأَسْرِ البابلي، واسْمُه في العبرانية (عِزْرا بنُ سَرايا) من سَبْطِ اللاّويّين، كان حافظاً للتوراة، وقد تفضَّلَ عليه (كورش) ملكُ فارس، فأَطلقَه من الأَسر، وأَطلقَ معه بني إسرائيلَ من الأَسر، الذي كان عليهم في بابل، وأَذِنَ لهم بالرجوعِ إلى أُورشليم وبناءِ هيكلِهم فيه.. فكان (عِزرا) زعيمُ أَحبارِ اليهود، الذين رَجعوا بقومهم إلى أُورشليم، وجَدَّدوا الهيكل، وأعادَ عُزَيْرٌ شريعةَ التوراة من حفظِه، فكان اليهودُ يُعظّمون عِزْرا، إلى حَدِّ أن ادَّعى عامَّتهم أنَّ (عِزْرا) ابنُ الله، غُلُوّاً منهم في تقديسه..

والذين وصفوه بذلك جماعةٌ من أَحبارِ اليهودِ في المدينة، وتَبعَهم كثيرٌ من عامّتِهم، وأَحسبُ أنَّ الداعيَ لهم إلى هذا القول، أَنْ لا يكونوا أَخْلِياءَ من نسبةِ

أَحَدِ عظمائِهم إلى بنوة الله تعالى، مثلُ قولِ النصارى في المسيح.

قالَ بهذا القولِ فرقةٌ من اليهود، فأُلصقَ القولُ بهم جميعاً، لأنَّ سكوتَ الباقين عليه وعدمَ تغييرِهِ يلزمُهم الموافقةُ عليه والرضا به. . . »[1].

و(عُزَيْرٌ) اسمُ علمٍ أَعجمي: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ وهو في الآيةِ مبتدأ، خبرُه (ابنُ).

وفي (عُزَيْر) قراءتان عشريَّتان:

الأُولى: قراءةُ عاصم والكسائي ويعقوب: «عُزَيْرٌ» بالتنوين. وإِدخالُ التنوينِ عليه يعني أَنَّه مَصروف، وهو لم يُمنَعْ من الصرفِ مع أنّه أعجميٌّ لِخفَّتِه، مثلُ: (نوحٍ)، و(لوطٍ).

وعلَّلَ بعضُ النحويّين صَرْفَه لأنَّه مُصَغَّر، فقال: (عُزَيْرٌ) تصغيرُ (عَزْر)، والاسمُ المصغَّرُ يُصرف، مثلُ (عُمَيْر) تَصغير (عُمَر)، و(نُصَيْر) تصغيرُ (نَصْر).

وردَّ آخرون هذا التعليل، بأنَّ الأعلامَ الأعجمية لا تصغَّر، وقالوا: هو اسمٌ أَعجميٌّ جاءَ على هيئةِ التَّصغيرِ في لغةِ العرب.

فالراجحُ أنَّ سببَ صرفِهِ هو خفةُ لفظِه.

الثانية: قراءةُ نافعٍ وابنِ كثير وابنِ عامر وأبي عمرو وحمزة وأبي جعفر وخَلَف: (عُزَيْـرُ) بالضمةِ المجرَّدةِ عن التنوين. وفي توجيهِ هذه القراءةِ أَقوالٌ ثلاثة:

الأول: حذْفُ التنوين من (عُزَيْرٍ) لأنّه ممنوعٌ من الصَّرْف، للعَلَمية والعُجمة، كباقي الأعلامِ الأعجميةِ الممنوعةِ من الصَّرف.

الثاني: (عُزَيْـرٌ) في الآيةِ مصروفٌ مُنَوَّن، لكنَّ التنوينَ محذوفٌ لالتقاءِ الساكنين، والتنوينُ يُحذَفُ لالتقاءِ الساكنين مثلُ باقي علاماتِ الإعراب؛ كالألفِ والواو والياء، في المثنى وجمع المذكر السالم.

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ١٦٧ـ١٦٨.

ودليلُ هذا القولِ ما قالَه هارونُ بنُ موسى: «سألْتُ أبا عمرو بن العلاء - أَحَدَ القُرّاءِ السبعة - عن (عُزَيْر)؛ فقالَ أبو عمرو: أنا أَصرفُ (عُزَيراً) ولكني أقولُ في الآية: «وقالت اليهود عزيرُ ابنُ الله»».

أي: أنَّ أبا عمرِو بن العلاء يرى أنّ (عزيراً) مصروفٌ لِخفّتِه، فيُدخلُ عليه التنوين، لكنَّه في الآيةِ يقرؤُه بحذفِ التنوين لالتقاءِ الساكنين!.

الثالث: حذفُ التنوينِ من (عزير) في الآية لأنَّ (ابنُ) بعدَه صفةٌ له مرفوعة.

وعلى هذا التوجيهِ يكونُ (عُزَيْرُ) مبتدأ، و(ابنُ) صفة له، ويكونُ الخبرُ محذوفاً، تقديرُه: عزيرُ ابنُ الله معبودُنا. أو: عزيرُ ابنُ الله رسولُنا[1].

والراجحُ أنّ (عزيراً) اسمُ علمٍ أعجمي مصروفٌ لخفَّتِه، مثل: نوح ولوط. وأنَّ سببَ قراءتِه من دونِ تنوينٍ هو حذفُ التنوين لالتقاءِ الساكنين، أو لوصفِه بكلمةِ (ابن) بعدَه.

والخلاصةُ: أنَّ (عُزَيْراً) اسمُ علمٍ أعجمي، وأنّه مصروفٌ لخفةِ لفظِه. وقد أُطلقَ هذا الاسمُ على أَحدِ كبارِ أحبارِ اليهود، وجعلَتْه بعضُ فرقِهم ابناً لله، مقلِّدين في ذلك النصارى، الذين جعلوا عيسى عليه السلام ابناً لله! والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر توجيه القراءتين والخلاف فيه في: حجة القراءات، لابن زنجلة، ص٣١٦-٣١٨؛ والدر المصون: ٦/ ٣٨-٣٩.

٥٢ ـ لوط عليه السلام

لوطٌ: اسمُ علمٍ أَعجمي، سُميَ به نبيٌّ كريمٌ من أنبياءِ اللهِ عليهم الصلاة والسلام، وهو مصروفٌ لأنّه ثلاثيٌّ ساكنُ الوسَط، وإِنْ كانَ العلمُ الأَعجميُّ ثلاثياً ساكنَ الوسط، اسماً لمذكَّر، وجبَ صرفُه لخفَّتِه، مثلُ: نوحٍ ولوط.

وبما أنَّ (لوطاً) علمٌ أعجميّ، فليسَ له معنى في اللغةِ العربية.

ولا صلةَ في الاشتقاقِ ولا في المعنى بين (لوطٍ) النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام، وبين المادةِ العربية (اللَّوْط). التي بمعنى الالتصاق. لأنَّ (لوطاً) أَعجمي، لا معنى له في اللغة العربية.

أما (اللَّوْطُ) العربية، فكلُّ تصريفاتِ واشتقاقاتِ المادةِ تدلُّ على اللصوق. تقول: لاطَ فلانٌ حوضَه. أيْ: طَيَّنَه وألصقَ الطينَ به. ولاطَ حبُّه بقلبي. أي: التصقَ حبُّه بقلبي وتمكَّنَ منه.

و(لوطٌ) النبيُّ عليه السلام كان معَ إبراهيمَ عليه السلام في بلادِ العراق، وهاجرَ معه إلى الأرضِ المقدَّسةِ في فلسطين، وهناكَ بعثَهُ اللهُ رسولاً إلى قومٍ كافرين في منطقةِ الأُردن، وانتشرتْ بينهم فاحشةٌ شاذّة، وهي إتيانُهم الرجالَ شهوةً من دونِ النساء.

وهذه الفاحشةُ الشاذّةُ سُميت (اللواط). وظنَّ بعضُهم أنَّ هذا الاسمَ مشتقٌّ من اسم (لوط) لتشابُهِ الكلمتين في الحروف!.

وهذا ظنٌّ باطل، وزعمٌ مردود، فلا صلةَ في المعنى بين اسمِ لوطٍ وبين فاحشةِ اللواط الشاذة، لأنّ (لوطاً) علمٌ أعجمي، وهو اسمٌ طاهرٌ عفيف، سُميَ به نبيٌّ كريمٌ عليه السلام، و(اللِّواطُ) كلمةٌ عربيةٌ مشتقةٌ من (اللَّوط)، الذي هو اللُّزوقُ والالتصاق.

وسُميتْ هذه الفاحشةُ الشاذةُ لواطاً، لأنَّ الرجليْن الشاذّين يلتصقُ أَحدُهما بالآخر عند ممارستِها!.

قالَ ابنُ منظورٍ في (لسانِ العرب): «لوطٌ: اسمُ النبيِّ، صلى الله على سيدنا محمد نبينا وعليه وسلم. و: لاطَ الرجلُ لِواطاً، ولاوَطَ. أَيْ: عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوط.

و: لـوطٌ: اسـمٌ ينصرفُ مع العجمـةِ والتعريف، وكذلك نوحٌ. قال الجوهري: وإنما ألزموه الصَّرْفَ، لأنَّ الاسمَ على ثلاثةِ أَحرف، أَوسَطُه ساكن، وهو على غايةِ الخِفَّة، فقاوَمَتْ خِفَّتُه أَحَدَ السببيْن...»[1].

وقال السمينُ الحلبي: «لوطٌ: علمٌ للنبيِّ المشهور، ابنِ أُختِ إبراهيمَ خليل الرحمن المهاجر معه، عليهما الصلاة والسلام. و(لوطٌ) منصرفٌ لِخفَّتِه، وإنْ كان عَلَماً أَعجمياً. وغَلَطَ مَنْ جَوَّزَ فيه ـ وفي نوحٍ ـ الوجهيْن: الصرفَ والمنعَ من الصرف. والظاهرُ أنّه لا اشتقاقَ له، لعُجمته»[2].

وقد وردَ (لوطٌ) في القرآنِ سبعاً وعشرين مرة: خمسَ مراتٍ في سورةِ هود، وثلاثَ مراتٍ في سورةِ الشعراء، وأربعَ مراتٍ في سورةِ العنكبوت، ومرتيْن في كلٍّ من: الحِجْر، والنمل، والأنبياء، والقمر. ومرةً واحدةً في كلٍّ من: الأنعام، والأعراف، والحج، والصافات، و صٓ، و قٓ، والتحريم.

عاشَ لوطٌ عليه السلام مع قومِه، يَدعوهم إلى الإيمانِ بالله، وينكرُ عليهم شذوذَهم وإتيانَهم الرجالَ شهوةً من دونِ النساء، لكنهم لم يستجيبوا له، وأصرّوا على كفرِهم وانحرافِهم، حتى إنَّ امرأتَه خالفَتْه، ووافقَتْ قومَها على الكفر، ولما استمرَّ لوطٌ عليه السلام في دعوتِهم أَمروا بإخراجِه من قريتِهم، هو وآلُه المؤمنون، وجريمتُهم أنَّهم قومٌ يتطهَّرون، ويلتزمون العِفّة، ولا يُمارسون الفاحشة، ولا مكانَ للعفيفينَ المتطهِّرين عندَ القومِ المنحرفين الشاذّين!!.

ولما حَقَّتْ على قومِ لوطٍ الشاذّين العقوبة، أرسلَ اللهُ ملائكةً في صورةِ رجالٍ حِسان، ومَرّوا على إبراهيمَ عليه السلام، ثم توجَّهوا إلى لوطٍ عليه السلام، وهو لا يعرفُهم، ولما علمَ بهم قومُه هجَموا عليه، ليأخذوهم منه ليفجُروا بهم،

---

(١) لسان العرب: ٧/٣٩٦.

(٢) عمدة الحفاظ: ٤/٥٨.

ولم يَستجيبوا لنصحه، عند ذلك أخبره ضيوفُه أنهم ملائكة، وأنّهم سيوقِعون العذابَ بأَهلِ القريةِ عندَ الصبح، وأمروهُ أنْ يَخرجَ منها هو وأَهلُه المؤمنون ليلاً، وأنْ يبتعدَ عنها لئلا يصيبَه العذاب.

وفي الصباحِ قلبَ اللهُ تلك القرية، وجعلَ عاليَها سافلَها، وأمطرَ على أهلِها حجارةً من سجيلٍ منضود، وأهلكَ أهلَ القريةِ الكافرين، ومنهم امرأةُ لوط الكافرة، وأبقى آثارَ القريةِ المدمَّرة عبرةً لمن بعدَهم.

* * *

٥٣ ـ المجوس

وَرِدَت (المجوسُ) مرةً واحدةً في القرآن، مقرونةً باليهودِ والنصارى والصابئين والمؤمنين والذين أشركوا. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [الحج: ١٧].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: هم المؤمنون أتباعُ محمدٍ ﷺ. و﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: هم اليهود. و﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: الراجحُ أنّهم الأحنافُ العربُ في العصرِ الجاهلي، الذين وَحَّدوا الله، ولم يُشركوا به أَحداً. و﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾: هم عبدةُ النارِ من الفرسِ وغيرِهم. و﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: هم العرب المشركون.

والراجحُ أنَّ (المجوسَ) اسمُ علمٍ أعجمي، أُطلقَ على الفُرْسِ الذين يعبدون النار. والأَصْلُ أَنْ يكونَ ممنوعاً من الصَّرْفِ للعَلَميةِ والعُجمة، لكنّهُ يُصْرَفُ عند دخولِ (أل التعريف) عليه.

وقد عَدَّ الجواليقي (مجوسَ) من الأسماءِ الأعجميةِ المعرَّبة.

وقال أحمد شاكر في تعليقِه على (المعرَّب): «وهو عَلَمٌ أَعجمي، استُعمِلَ استعمالَ اسمِ الجنس. وفي القاموس: مَجوس: كَصَبور. رجلٌ صَغيرُ الأُذُنَيْن، وضعَ ديناً ودَعا إليه. وهو مُعَرَّبُ (مِنْج كُوش)... و(مِنْج) فارسيةٌ بمعنى الذُّباب والزنبور»[1].

ومما وردَ في (لسان العرب) عن المجوس: «المجوسيةُ نِحْلَة، والمجوسيُّ منسوبٌ إليها، والجمعُ (المجوس).

قالَ أبو علي النحوي: المجوسُ واليهودُ إنما عُرِفَ على حَدِّ: يَهوديٌّ ويهود، ومجوسيٌّ ومجوس. ولولا ذلك لم يَجُزْ دُخولُ الألف واللام عليهما، لأنّهما معرفتان مؤنّثتان، فجَرَيا في كلامِهم مجرى القبيلتيْن، ولم يُجْعلا كالحَيّيْن

---

(١) المعرب، ص٣٦٨.

في بابِ الصَّرْف. قال الشاعر:

أَحَـارِ أُريـكَ بَـرْقـاً هَـبَّ وَهْنـاً كنـارِ مَجـوسَ تَسْتَعِـرُ اسْتِعـارا»[1]

والشاهدُ في بيتِ الشعرِ مَنْعُ (مَجوسَ) من الصرف: (كنارِ مَجوسَ)، فهي مضافٌ إليه مجرورٌ بالفتحة، ممنوعٌ من الصرفِ للعَلَميةِ والعُجمة، بينما (المجوسُ) في القرآن مصروفةٌ لأنّها مُعَرَّفَةٌ بـ(أل التعريف).

والمجوسُ هم الفُرْسُ الذين يَعبدونَ النار، وهم يؤمنون أنَّ للعالمِ إلـٰهين: إلـٰهِ الخيرِ والنور: (أَهْرومَزْدا)، وإلـٰهِ الشّرِّ والنار: (أَهْريمان)، وبينَ أَهْرومزدا وأَهْريمان حروبٌ وصراع، وهذانِ الإلـٰهان يحكمان العالم. والنورُ رَمْزٌ لإلـٰه الخير، والنارُ رمْزٌ لإلـٰهِ الشر، وهم يَعبدونَ النارَ التي ترمزُ له.

والمجوسُ كفارٌ كباقي مِلَلِ الكفر، لأنّهم لم يدخلوا في الإسلام، وهم مشركون لإيمانِهم بالإلـٰهين[2].

والعجيبُ أَنْ يَزعمَ بعضُ أَهلِ اللغةِ أنَّ (مجوسَ) أَصلُها عربيٌّ، مشتقٌّ من النجس، وسُمُّوا بذلك لقيامِ دينِهم على النجاسات.

قالَ السمينُ الحلبيُّ مُلخِّصاً الكلامَ عن المجوس: «المجوسُ: جيلٌ معروف، وهم قومٌ يَعبدون النار. وقال آخرون: يَعبدونَ الشمسَ والقمر. وقالَ آخرون: هم قومٌ من النصارى، إلاّ أَنَّهم اعتزَلوا ولَبِسوا المُسوح. وقيل: أَخَذوا من دينِ النصارى شيئاً، ومن دينِ اليهودِ شيئاً. وقيل: هم قومٌ يقولونَ بأنَّ العالَمَ أصلان: نورٌ وظلمة. وقيل: هم قومٌ يتعبَّدون باستعمالِ النجاسات، والأصلُ (نُجوس) فأُبدلت النونُ ميماً...»[3].

والراجحُ أنَّ (المجوسَ) علمٌ أعجمي، أُطلقَ على الفُرْس عبدةِ النار، وهو مصروفٌ لدخولِ (أل التعريفِ) عليه.

* * *

---

(١) لسان العرب: ٦/ ٢١٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٧/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣) عمدة الحفاظ: ٤/ ٨٣.

٥٤ ـ نَسْراً

وردَ اسمُ (نَسْراً) مرةً واحدةً في القرآن، في سياقِ الحديثِ عن قصةِ نوحٍ عليه السلام مع قومِه، وإصرارهم على عبادةِ الآلهةِ الباطلة. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

وقد تحدَّثْنا عن هذهِ الآلهةِ الخمسةِ في أكثرَ من موضعٍ من قبل، وذكرْنا أنّها أسماءٌ لأُناسٍ صالحين، عبدَتْهم الأجيالُ اللاحقةُ من قومِ نوح، ثم اعتبرتْهم قبائلُ عربيةٌ آلهة، وهي أسماءٌ أعجميةٌ وليستْ عربية.

(يَغوث) و(يَعوق) ممنوعان من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة، فلم يدخلْهما التنوين.

أما (وَدّ) و(سُواع) و(نَسْر) فإنها مصروفة، رغم أنَّها أسماءٌ أَعجمية. وذكرْنا فيما مضى سببَ صرفِ (سُواع)، وهو أنَّه اسمُ علمٍ مؤنَّث.

أمَّا (نَسْرٌ) فإنه ليس مَمنوعاً من الصرف، رغمَ أَعجميته، وسببُ صرفِه هو (الخفَّة)، لأنّه ثلاثيٌّ ساكنُ الوسط، فهو خفيفٌ في النطق.. والعَلَمُ إذا كان ثلاثياً ساكنَ الوسطِ فإنّه يُصرَفُ ويدخلُه التنوين، مثل: نوح ولوط.

إذَنْ (نَسْرٌ) اسمُ رجلٍ صالحٍ، كان قبلَ قومِ نوح، صنعَ له القومُ تمثالاً ليتذكّروه ويقتدوا به في العبادة، ولَما جاءَتْ أَجيالٌ جديدةٌ من القوم نَسوا إيمانَه وصلاحَه، ونظروا للتمثالِ نظرةً تقديسيّةً صنمية، وزيَّنَ لهم الشيطان عبادتَه، باعتباره إلـهاً، فعبدوه من دون الله.

وهو عَلَمٌ أَعجمي، لكنَّه مصروفٌ لأنّه ثلاثيٌّ ساكنُ الوسط.

* * *

٥٥ ـ النصارى

النصارى: كلمةٌ أَطلقَها القرآنُ على الذين اتَّبعوا الديانةَ النصرانية، التي جاءَ بها عيسى عليه السلام.

وهي جمعٌ معرَّفٌ بـ(أل التعريف)، مفردُه (نَصْران)، والنسبةُ إليه (نَصْرانيّ).

قالَ السمينُ الحلبي: «النَّصارى جمع، مفردُه نَصْران ونَصْرانَة، مثل: نَدْمان ونَدْمانة ونَدامى.

قالَ الشاعر في (نَصْرانَة):

فَكِلْتاهُما خَرَّتْ وأَسْجَدَ رَأْسُها كَما أَسْجَدَتْ نَصْرانَةٌ لَمْ تُحَنَّفِ

وقال الشاعر في (نصران):

يَظَلُّ إلى دارِ العِشَا مُتَحَنِّفاً وَيُضْحي لَدَيْهِ وهوَ نَصْرَانُ شامِسُ

قال سيبويه: لم يُستعملْ في الكلام إلاّ بياء النَّسَب: نَصْراني.

و(نصارى) نكرة، ولذلك دخلَتْ عليه (أَل)»[١].

وللعلماءِ قولانِ في سببِ تسميةِ أَتْباع عيسى عليه السلام (نَصارى) أَوردَهما الراغبُ في المفردات؛ قال: «قيل: سُمّوا بذلك لقولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: ١٤].

وقيل: سُمّوا بذلك انتساباً إلى قرية يقال لها: (نصرانة)، فيقال: نَصْراني، وجمْعه: نَصارىٰ...»[٢].

---

(١) الدر المصون: ٤٠٦١.

(٢) المفردات، ص٨٠٩.

ولخَّصَ ابنُ منظور في (لسانِ العرب) الكلامَ عن النصارى بقوله: «نَصْرىٰ، ونَصَرىٰ، وناصِرَة، ونَصُّورِيَّة: قريةٌ بالشام، والنَّصارى منسوبون إليها.

قـال ابنُ سـيده: هذا قـولُ أَهلِ اللغة، وهو ضعيف، إلاَّ أنَّ نادرَ النسبِ يَسَعُه.

وذهبَ الخليلُ إلى أنَّ (نصارى) جمع: نَصْري ونَصْران، فقالوا: نَصْران، نَصارى.. كما قالوا: نَدْمان، ندامى.

لكن لا يُستعمَلْ نَصْران إلاَّ بياءِ النَّسَب، لأنَّهم قالوا: رجلٌ نصرانيّ، وامرأةٌ نصرانية.

قال ابنُ بري: قوله: إنَّ النصارى جمعُ نَصْران ونَصْرانة، إنما يريدُ بذلك الأَصْل دونَ الاستعمال، إنما المستعمَلُ في الكلام: نصرانيّ ونصرانية»[1].

هل (النصارى) مأخوذةٌ من الأنصار، أَو من الناصرة؟.

قالَ بعضُ العلماءِ بالقولِ الأَوّل، وقالَ بعضُهم بالثاني، كما ذَكَرَ الراغبُ الأصفهاني.

فإنْ كانت (النَّصارى) مأخوذةً من الأنصارِ والتناصرِ والتعاونِ والنصرة، كانتْ كلمةً عربيةً مشتقّة.

قالَ الراغب: «النَّصْرُ والنُّصْرَةُ: العونُ.. والانتصارُ والاستنصارُ: طلبُ النصرة.. والتناصُرُ: التعاون»[2].

وهذا المعنى مذكورٌ في القرآن، حيثُ طلبَ عيسى عليه السلام أَنصاراً ينصرونَه ويعاونونَه، فاستجابَ الحواريّون له ونَصَروه.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى

---

(١) لسان العرب: ٥/ ٢١١ـ٢١٢ باختصار.
(٢) المفردات، ص٨٠٨ـ٨٠٩ باختصار.

﴿...اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

وإنْ كانت (النصارى) مأخوذةً من (الناصرة) كانت عَلَماً أَعجمياً، وإذا دخلَتْ عليها الألِفُ واللامُ لم تُمنَع من الصرفِ. وبما أنَّها مختومةٌ بالألفِ المقصورة (النصارى) فإنه يتعذَّرُ ظُهورُ الضمةِ والفتحةِ والكسرةِ عليها..

والراجحُ أنَّ (النصارى) مأخوذةٌ من (الناصرة).

قالَ ابنُ عاشور: «النصارى: اسمُ جمعِ (نَصْريّ) أو (ناصِريّ)، نسبةً إلى (الناصرة)، وهي قريةٌ نشأَتْ منها مريمُ أُمُّ المسيحِ عليه السلام، وقد خرجَتْ مريمُ من الناصرةِ قاصدةً بيتَ المقدس، فوَلَدَت المسيحَ في بيتِ لحم، ولذلك كان بنو إسرائيلَ يَدْعونَه (يَشوع) النّاصري أَو النَّصْرِي، فهذا وجهُ تسميةِ أَتْباعِهِ النَّصارى»[1].

الناصرة: مدينةٌ في منطقةِ الجليلِ شمالَ فلسطين، سُميتْ بهذا الاسمِ قبلَ عيسى عليه السلام، وهي كلمةٌ ليستْ عربية، ولا نَعرِفُ مَنْ أطلقَ هذا الاسم على تلك المدينة، وقد أقامَ فيها عيسى ابنُ مريم عليه السلام فترةً من الزمن، فنُسِبَ إليها، وقيل: عيسى النّاصري، أو: يشوعُ الناصري كما يقول اليهود.

ولأنَّ عيسى عليه السلام نُسِبَ إلى الناصرة، نُسِبَ أَتْبَاعُه كذلك إليها، فقيلَ عنهم: نَصارىٰ.

ولأنَّ الناصرةَ ليستْ عربيةً مشتقة، وإنما هي اسمٌ أَعجميٌّ أُطلقَ على تلك المدينة، فالنَّصارى كلمةٌ ليستْ عربية، وإنما هي عَلَمٌ أَعجميٌّ مأخوذٌ من الناصرة، وهو مصروفٌ في القرآن، لأنَّه مُعرَّفٌ بـ(أَل التعريف).

ولا صلةَ في الاشتقاقِ أو في المعنى بين النصارى وبين مادة (النَّصْر) العربية، القائمةِ على التأييدِ والتعاون، التي كَثُرَ الحديثُ عن اشتقاقِها وتصريفاتِها في القرآن، والتي أُطلقَتْ على الحواريّين، الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ونَصَروه وكانوا بذلك أنصارَ الله.

عندما نتكلَّمُ عن (النصارى) نتكلَّمُ عن هذا العلمِ الأعجمي، الذي أُطلقَ

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٥٣٣.

على تلك الأُمة الذينَ آمنوا بعيسى عليه السلام، والذين نُسِبوا إلى الناصرة، ولا نتكلَّمُ عن نُصرةِ الحواريّين لعيسى عليه السلام.

ثم إنَّ (النصارى) أُطلقَ على أَتباعِ عيسى عليه السلام بعدَ رفعِهِ إلى السماءِ بفترة، ولم يُطلقْ على (الحواريّين) الذينَ نَصروا عيسى عليه السلام وهو بينهم. وبذلك كانوا أَنصارَ الله!!.

الخلاصة: النَّصارى اسمُ جمعِ أَعجمي، أَطلقَه القرآنُ على الذين ادَّعَوْا أَنَّهم أَتْباعُ عيسى عليه السلام، وسُمّوا بذلك نسبةً إلى مدينة (الناصرة)، التي نُسِبَ إليها عيسى عليه السلام، ولم يُذْكَرْ في القرآنِ إلاّ مُعَرَّفاً بـ(أَل التعريف). ولذلك لم يُمنَعْ من الصرف.

وقد ورَدَتْ (النصارى) أَربعَ عشرةَ مرةً في القرآن: سبعَ مراتٍ في سورةِ البقرة، وخمسَ مراتٍ في سورةِ المائدة، ومرةً في سورةِ التوبة، ومرةً في سورةِ الحجّ.

وهي في معظمِ هذه المرات مقرونةٌ باليهود، كما أَنّها في معظم المرّات في سياقِ الذّمّ، وواردةٌ في معرضِ بيانِ كفرِ النصارى، ودحْضِ بعضِ مزاعمِهم، وتفنيدِ ادّعاءاتِهم وتكذيبِ أَقوالِهم.

كَذَّبَ اللهُ اليهودَ والنصارى في زعمِهم قصرَ الهدايةِ عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

كما كَذَّبَ اليهودَ والنَّصارى في زعْمِهم قصرَ الجنةِ عليهم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وحرَّمَ اللهُ اتخاذَ اليهودِ والنصارى أَولياء. قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٥١].

وأَثنى اللهُ على النصارى الأَقربِ مودةً للمؤمنين، وهم الذين تأَثَّروا بما سمعوا من آياتِ القرآن، فآمَنوا به واتَّبعوا النبيَّ ﷺ، ودَخَلوا في الإِسلام، مثل: النَّجاشي وسلمان الفارسي رضي الله عنهما. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ

عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣].

والنصارى الذين يؤلِّهونَ عيسى عليه السلام كفّار، وصَرّح القرآنُ بكفرِ الذين قالوا: إنَّ اللهَ هو المسيحُ عيسى ابنُ مريم، والذين قالوا: المسيحُ ابنُ الله، والذين قالوا: ثالثُ ثلاثة. ومعلومٌ أنَّ (التثليث) عقيدةٌ يؤمنُ بها غالبُ فِرَقِ النَّصارى في الماضي والحاضر.

وهم لا يُسمون أنفسهم نصارى، وإنَّما يُسمونَ أنفسهم (مسيحيّين)، نسبةً إلى المسيح عليه السلام، فيقولون: مسيحي، ومسيحيّون. والأَصلُ أَنْ نُسمّيهم بالاسمِ الذي سَمَّاهم به الله، وورد في آياتِ القرآن، فنقول: النصارى، ولا نقول: المسيحيون.

ومفردُ النصارى (نصراني)، وقد وردَ مرةً واحدةً في القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

تُكذّبُ الآيةُ اليهودَ الذين ادَّعوا أَنَّ إبراهيم عليه السلام منهم، كما تكذّبُ النصارى الذين زعموا أنّه كان منهم، فهو لم يكنْ يهودياً من اليهود، ولم يكنْ نصرانياً من النصارى، ولم يكنْ مشركاً من المشركين، وإنما كان حنيفاً مسلماً.

* * *

٥٦ ـ نوح عليه السلام

نوحٌ عليه السلام ثاني الأنبياءِ المذكورين في القرآن، وهو أوّلُ رسولٍ أَرسلَه الله. وسُمّيَتْ باسمِه السورةُ الحاديةُ والسبعون حسبَ ترتيبِ المصحف.

وهو اسمُ علَمٍ أَعجمي، لكنّه مصروفٌ لِخفّتِه، لأنَّه اسمٌ ثلاثيٌّ ساكنُ الوسط، وإذا كان الاسمُ الأعْجميُّ ثلاثياً ساكنَ الوسط لم يُمنَعْ من الصرف.

وذهبَ بعضُهم إلى أنّه اسمٌ عربيٌّ مشتقٌّ من النَّوْح.

قالَ الفيروزآبادي: «نوحٌ اسمٌ أَعجمي، والمشهورُ صرْفُه لسكونِ وسَطِه، وقيل: يجوزُ صرْفُهُ وترْكُ صرْفِه. . .

وقيل: هو عربي، واشتقاقُه من النَّوْح. قيل له: نوح، لأنّه أَقبلَ على نفسِه باللومِ وناحَ عليها. . »[١].

وقالَ عنه ابنُ منظورٍ في (لسان العرب): «نوح: اسمُ نبيٍّ معروف، يَنصرفُ مع العُجمةِ والتعريف، وكذلكَ كلُّ اسمٍ على ثلاثةِ أَحرفٍ أوسطُه ساكن، مثلُ لوط، لأنَّ خِفَّتَه عادلَتْ أَحَدَ الثقلَيْن. . . »[٢].

وذكرَ السمينُ الحلبيُّ القولينِ في اشتقاقِه. قال: «نوحٌ اسمٌ للنبيِّ المعروف، عليه الصلاة والسلام، يُقال: هو أَبو البشرية الثاني، وآدمُ الثاني، لأنّه لما غَرِقَ أَهْلُ الأرضِ بالطوفان، حَدَثَ من نسْلِه الناس. . .

قيل: واشتقاقُه من النَّوْح، لأنّـه ناحَ على نفسه تقرُّباً إلى الله تعالى، والصحيحُ أنَّه غيرُ مشتقٍّ لعُجمتِه، وإنما صُرِفَ لخفَّتِه، ولا يَجوزُ منْعُه من الصرفِ خلافاً لبعضِهم، بل يتحتَّمُ صرْفُه، ومِثْلُه في ذلك لوط. . . »[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: ٦/ ٢٦.

(٢) لسان العرب: ٢/ ٦٢٨.

(٣) عمدة الحفاظ: ٥/ ٢٦٥.

وقد ذُكِرَ نوحٌ ثلاثاً وأربعينَ مرة في القرآن: مرةً في سورةِ آل عمران، ومرةً في سورةِ النساء، ومرةً في سورةِ الأنعام، ومرتيْن في سورةِ الأعراف، ومرةً في سورةِ التوبة، ومرةً في سورةِ يونس، وثماني مراتٍ في سورةِ هود، ومرةً في سورةِ إبراهيم، ومرتيْن في سورةِ الإسراء، ومرةً في سورةِ مريم، ومرةً في سورةِ الأنبياء، ومرةً في سورةِ الحج، ومرةً في سورةِ المؤمنون، ومرةً في سورةِ الفرقان، وثلاثَ مراتٍ في سورةِ الشعراء، ومرةً في سورةِ العنكبوت، ومرةً في سورةِ الأحزاب، ومرتيْن في سورةِ الصافات، ومرةً في سورة صَّ، ومرتيْن في سورةِ غافر، ومرةً في سورةِ الشورى، وسورةِ قَّ، وسورةِ الذاريات، وسورةِ النجم، وسورة القمر، وسورةِ الحديد، وسورةِ التحريم، وثلاثَ مراتٍ في سورةِ نوح.

أَخبرَنا اللهُ أنه اصطفى نوحاً عليه السلام، وبعَثَه رسولاً إلى قومِه، وكانوا يُشركونَ بالله، فدَعاهم إلى توحيدِ الله، ولكنَّهم رفضوا دعوتَه، وأصَرُّوا على الشرك، وعبادةِ خمسةِ أصنامٍ هي: وَدٌّ، وسُواعٌ، ويَغوثُ، ويَعوقُ، ونَسْرٌ.

واستخدمَ نوحٌ عليه السلام مختلفَ الأساليبِ في دعوةِ قومه، فدعاهم ليلاً ونهاراً، ودعاهم سرّاً وجهراً، ودعاهم دعوةً فرديةً ودعوةً جماعية، وكان يُرغِّبُهم ويُنذرُهم، ويُجادلُهم ويُناقشُهم، ويُبطلُ شبهاتِهم وإشاعاتِهم...

واستمرَّ يَدعوهم على هذه الحالةِ أَلفَ سنةٍ إلاّ خمسين عاماً، كما صرَّحَ بذلك القرآن، وهذه مدةٌ زمنيةٌ طويلة، لم يَفقِد فيها نوحٌ عليه السلام صبْرَه واحتمالَه.

ولم يؤمنْ به إلا عددٌ قليلٌ من قومه، وهذا أَمْرٌ عجيب، فحصيلةُ حوالي أَلفِ سنة في الدعوة عددٌ قليل، لم يذكُرْه القرآن، وأبقاهُ على إبهامِه، فلا يعلمُه إلا الله، ومِنْ أقربِ الناسِ إليه مَن اختارَ الكفر، فامرأتُه كانتْ كافرة، وابنُه كان كافراً أيضاً.

وأَعلمَ اللهُ نوحاً عليه السلام أنّه لن يؤمنَ من قومِه إلاَّ مَنْ قد آمنَ، فدعا عليهم أَنْ يُهلكَهم الله، وأَنْ لا يُبقي منهم حيّاً لفسادهم وفجورِهم. وأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يصنعَ سفينة، فنفَّذَ أَمْرَ الله، وكان قومُه يمرّونَ به وهو يصنعُ السفينةَ فيسخرونَ منه.

ولما أرادَ اللهُ إهلاكَ القومِ الكافرين أَمرَ نوحاً عليه السلام أَنْ ينتظرَ علامةَ الطوفـان، فإذا رأى الماءَ يفورُ مِن وسْطِ التنّور المشتعل، فعليهِ أَنْ يُـركبَ في السفينة كلَّ مَنْ آمنوا به، سواءٌ من أَهل بيتِه أو من الآخرين، كما أَمرَه أن يضعَ فيها زوجيْن اثنيْن من كلٍّ مخلوقٍ على الأرض.

وبدأ الطوفانُ، والتقى الماءُ النازلُ من السماءِ مع الماءِ الفوَّار من الأرض، وصارَ الطوفانُ أَمواجاً كالجبال، وغَرَقَ كلُّ القومِ الكافرين من قوم نـوح.. وبعدما انتهى الطوفانُ استقرَّتْ سفينةُ نوحٍ على جبلِ الجوديّ شمالَ العراق، وعاشَ نوحٌ مع أَتباعِهِ المؤمنين ما كتبَ اللهُ لهم، لحينِ حلولِ آجالِهم.

* * *

٥٧ ـ وَدّاً

وَدٌّ: هو الاسمُ الخامسُ من أَسماءِ الآلهةِ التي عَبَدَها قومُ نوح، والمذكورةُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وقد تكلَّمْنا عن الأَسماءِ الأَربعةِ الأُخرى عند ورودِها فيما مضى، الممنوعُ من الصرفِ للعلميةِ والعُجمة منها اثنان: (يَغوثُ) و(يَعوقُ).

و(سُواعاً) مصروفةٌ للتأنيث، لأنَّ العربَ جعلوها اسماً لإحدى آلهتهم المؤنّثات، مثل: العُزَّى ومناة. و(نَسْراً) مصروف، لأنه ثلاثيٌّ ساكنُ الوَسَط.

و(وَدّاً) في الآيةِ اسمُ علمٍ أَعجمي، لكنَّه مصروف، لأَنَّه ثلاثيٌّ ساكنُ الوسط، مثلُ: (نَسْر)، و(نوح)، و(لوط). و(وَدٌّ) على وزْنِ (فَعْل).

وفي (وَدّ) قراءتان:

الأُولى: قراءةُ نافع، وأبي جعفر: (وُدّاً) بضمِّ الواو.

الثانيةُ: قراءةُ الثمانيةِ الباقين ـ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وأبي عمرو، ويعقوب، وخلف، وابن كثير ـ: (وَدّاً) بفتحِ الواو.

وهما لغتانِ في الكلمة، بفتحِ الواو وبضمِّها.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ (وَدّاً) عربيٌّ مشتقٌّ من (الوُدِّ) وهو المودةُ والمحبة، ومالَ إلى ذلك الراغبُ في (المفردات). قال: «الوَدّ: صنمٌ سُمّيَ بذلك، إمّا لمودَّتِهم له، أو لاعتقادِهم أنَّ بينَه وبين الباري مودَّة، تعالى اللهُ عن القبائح»[1].

والقولُ بأنَّه عربيٌّ مشتقٌّ مرجوحٌ مردود، لأنَّ هذه الأَسماءَ الخمسةَ سُمِّيَ بها أُناسٌ صالحونَ قبلَ نوحٍ عليه السلام وقومِه بفترة، ولم يكن العربُ قد

---

(١) المفردات، ص٨٦١.

وُجِدوا، ولا اللغةُ العربيةُ قد ظهرت، فالأسماءُ الخمسةُ أسماءٌ أَعجمية.

ويجبُ أن نفرّقَ بين الاسم الأعجمي (وَدّ) وبين المادةِ العربية (الوُدّ)، التي هي بمعنى محبة تحقُّقِ الشيء، والتي ورَدَتْ عدَّةَ مراتٍ في القرآن، لأنَّه لا معنى في اللغة العربية لذلك العلمِ الأعجمي.

* * *

٥٨ ـ اليهود

اليهودُ: اسْمُ جَمع، علمٌ أعجمي، يُطلَقُ على الأُمةِ اليهوديةِ المعروفة، والأصلُ أَنْ يكونَ ممنوعاً من الصرف، للعَلَميةِ والعُجْمة، لكنَّه في القرآنِ مصروف، لدخولِ (أَل التعريف) عليه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ اليهودَ كلمةٌ عربية، مشتقّةٌ من الهَوْد، وهو الرجوع.

قال السمينُ الحلبي: «اليهودُ ملّةٌ معروفة، والياءُ فيه أَصلية، لثبوتِها في التصريف، وليستْ من مادَّةِ (هَوَد). . وسُمّوا يهوداً نسبةً ليهوذا بنِ يعقوب.

وقالَ الشلوبين: يهودُ فيها وجهان: أَحَدُهما: أَنْ تكونَ جمعَ يهوديّ، فتكونَ نكرةً موصوفة، ولذلك دخلَتْ عليها الألفُ واللام، فقيل: اليهود.

والثاني: أَنْ تكونَ عَلَماً لهذه القبيلة، فتكونَ ممنوعةً من الصرف. قال الشاعر:

أُولئِـكَ أَوْلـى مِـنْ يَهُـوْدَ بِمِـدْحَـةٍ إِذَا أَنْـتَ يَـوْمـاً قُلْتَهـا لَـمْ تُـؤَنَّـبِ

فمنَعَ (يَهودَ) من الصَّرْف، وجَرَّها بالفتحة»[1].

وقال في موضعٍ آخر من الدر المصون: «سُمّوا (يَهودَ) نسبةً ليهوذا ـ بالذالِ المعجمة ـ ابنِ يعقوبَ، فغيَّرَتْه العربُ من الذالِ المعجمةِ إلى الدالِ المهملةِ، جَرْياً على عادتِها في التلاعُبِ بالأسماءِ الأعجمية»[2].

وقد أَدخلَ الجواليقيُّ (اليهودَ) ضمنَ الأعلامِ الأعجميةِ المُعرَّبة، وقال: «يَهودُ: أَعجميٌّ مُعَرَّب، وهم مَنسوبون إلى يَهوذا بنِ يعقوب، فسُمّوا (اليهودَ)، وعُرِّبَتْ بالدّال.

---

(١) الدر المصون: ٢/ ٧٤ باختصار.

(٢) المرجع السابق: ١/ ٤٠٦.

وقيل: هو عربي، وسُمي (يهودياً) لتوبتِه في وقْتٍ من الأوقات، فلَزِمَه من أَجْلِها هذا الاسم، وإنْ كان غيَّرَ التوبةَ ونقضَها بعدَ ذلك»[1].

والراجحُ أَنَّ (يَهودَ) علمٌ أعجمي، أُطلقَ على تلك الأُمةِ من الناس، نسبةً إلى أَحَدِ أَجدادِهم (يَهوذا)، فهو ممنوعٌ من الصرفِ للعَلَمية والعُجمة، ويُصرفُ عند دخولِ (أل التعريفِ) عليه. وقد يشتقُّ منه فعلُ (التَّهَوُّد).

قالَ الراغبُ الأصفهاني: «الهَوْد: الرجوعُ برفْق. ومنه: التَّهويد، وهو مشْيٌ كالدبيب. وصارَ الهَوْدُ في التعارفِ التوبةَ. قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أَيْ: تُبْنا.

قالَ بعضُهم: يهودُ في الأَصْلِ من قولِهم: هُدْنا إليك. وكان اسْمَ مدح، ثم صارَ بعدَ نسخِ شريعتِهم لازماً لهم، وإنْ لم يكنْ فيه معنى المدح..

ويُقال: هادَ فلان، إذا تحرّى طريقةَ اليهودِ في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟...﴾ [البقرة: ٦٢].

والاسمُ العلمُ قد يُتَصَوَّرُ منه معنى ما يتعاطاه المسمّى به، أَي المنسوبُ إليه، ثم يُشْتَقُّ منه، نحو قولهم: تَفَرْعَنَ فلان. إذا فَعَلَ فِعْلَ فرعونَ في الجور.

وتهوَّدَ في مشْـيِه: إذا مشـى مشْياً رفيقاً، تَشبيهاً باليهودِ في حركتِهم عند القراءة...»[2].

ورجَّحَ محمد الطاهر ابن عاشور أنَّ (اليهودَ) اسمٌ عبرانيٌّ معرَّب، فقال: «أَصْلُ اسمِ يهودَ منقولٌ في العربيةِ من العبرانية، وهو في العبرانية بذالٍ مُعْجَمة في آخرِه (يهوذا)، وهو عَلَمُ أَحَدِ أَسباطِ بني إسرائيل. وهذا الاسمُ أُطلقَ على بني إسرائيل بعد موتِ سليمان عليه السلام»[3].

لقد انقسمتْ مملكةُ إِسرائيل بعد موتِه إلى مملكتيْن:

---

(١) المعرب، ص٤٠٥.

(٢) المفردات، ص٨٤٧.

(٣) التحرير والتنوير: ١/ ٥٣٢.

مملكةُ يهوذا في الجنوب، وعاصمتُها أُورشليم، وضمَّتْ سَبْطَ يهوذا وسَبْطَ بنيامين.

ومملكةُ إِسرائيل في الشمال، وعاصمتُها السامرة [نابلس حالياً] وضمَّتْ بقيةَ الأَسباط العشرة.

وبعدَ حوالي قرنيْن من هذا الانقسام غزا الآشـوريون مملكةَ إِسـرائيلَ الشمالية ودمَّروها، وأَخذوا الإِسرائيليين أَسرى إِلى بابل.

وبعدَ ذلك غزا بختنصر مملكةَ يهوذا في الجنوب، ودمَّرَها، وساقَ اليهودَ إِلى بابل.

ومنذُ ذلك التاريخ غَلَبَ اسمُ (يهود) على بني إسرائيل، لأَنَّ المملكـةَ الجنوبيةَ سُمّيَتْ باسْم (مملكة يهوذا)، فكلُّ أَسباطِهم سُمّوا (يهوداً)، ولو لم يكونوا من سَبْط (يهوذا)، من بابِ تغليب (يهوذا) على باقي الأسباط، لأَنَّ المُلْكَ كانَ فيهم، وكلُّ إسرائيليٍّ سُمي يهودياً.

ثم أُطلقَ وصفُ (يهودي) على كلِّ مَنْ دخلَ في الديانةِ اليهودية، ولو لم يكن إسـرائيلياً، وهذا هو الذي استقرَّ عليه الأَمْرُ بعد ذلك، فاليهودُ هم أَتْبـاعُ الديانةِ اليهوديةِ، سواء كان الواحدُ منهم من سَبْطِ يهوذا، أَو كان من باقي أَسباطِ بني إِسرائيل، أو لم يكن إِسرائيلياً من حيثُ النَّسَب[1].

والخلاصةُ: أنَّ (اليهودَ) اسمُ علمٍ أَعجمي، يُطلقُ على كلِّ مَن اعتنَقَ الديانةَ اليهودية، مهما كانَ أَصلُه ونَسَبُه، وإِنْ كان معظمُ اليهودِ إِسرائيليّين من حيثُ النَّسَب.

وإِذا كان هذا الاسمُ نكرةً (يَهود) مُنِعَ من الصرفِ للعَلَمية والعُجْمة، وإِذا كانَ مُعَرَّفاً بـ(أل التعريف) صُرِف.

وهو لم يَرِدْ في القرآنِ إلاّ معرفةً مصروفاً.

ورَدَتْ (اليهودُ) ثماني مراتٍ في القرآن، في ثلاثِ سورٍ مدنية: ثلاثَ مراتٍ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ص٥٣٢ ـ ٥٣٣.

في سورةِ البقرة، وأربعَ مراتٍ في سورةِ المائدة، ومرةً في سورة التوبة.

وهي في معظمِ هذه المراتِ مقرونةٌ مع النصارى، والمراتُ كلُّها واردةٌ في سياق ذمِّ اليهود وتكذيبهم، وتقريرِ كفرِهم، وفضْحِ أَخلاقِهم، وتحذيرِ المسلمين منهم، ومنْعِ موالاتِهم لهم، وبيانِ عداوتِهم لهم.

اليهودُ كفارٌ لأنّهم حَرَّفوا التوراة، وكَذَّبوا رسلَهم، وكَذَّبوا محمداً ﷺ، ولم يدخلوا في الإسلام، وكلُّ مَنْ لم يدخلْ في الإسلامِ فهو كافر، لأنَّ اللهَ نسخَ الأديانَ السابقةَ كلَّها كاليهودية والنصرانية بالإسلام.

واليهودُ كاذبون في زعمِهم أنهم على دينِ إبراهيم عليه السلام، والقرآنُ صَرَّحَ بنفيِ كونِ إبراهيمَ يهودياً أو نصرانياً، وتقريرِ أنّه كان حنيفاً مسلماً. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقد ابتلى اللهُ المسلمينَ باليهود، وأَخبرَهم عن شدةِ عداوةِ اليهودِ لهم. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

وسيبقى الصراعُ مستمراً بين المسلمينَ واليهود، ولن يَنتهي إلا قُبيلَ قِيامِ الساعة، حيثُ سيَقْتُلُ عيسى عليه السلام مَلِكَ اليهودِ المسيحَ الدجّال. ونعيشُ في هذا الزمانِ الإفسادَ الكبيرَ الثاني لليهود، حيث احتلّوا فلسطين وأفسدوا العالم، لكنّهم سيُقضى عليهم، وسيتمُّ تحريرُ الأرضِ المقدّسةِ منهم، وسيكونُ هذا قريباً إنْ شاءَ الله.

* * *

المـــراجع

١ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، تحقيق د. مصطفى البغا.

٢ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، للفيروزآبادي.

٣ ـ **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي.

٤ ـ **التحرير والتنوير**، لمحمد الطاهر ابن عاشور.

٥ ـ **تفسير الطبري تقريب وتهذيب**، للدكتور صلاح الخالدي.

٦ ـ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، للطبري.

٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي.

٨ ـ **حجّة القراءات**، لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني.

٩ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي.

١٠ ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام.

١١ ـ **سنن النسائي**، للإمام النسائي.

١٢ ـ **صحيح البخاري**، للإمام البخاري.

١٣ ـ **صحيح مسلم**، للإمام مسلم.

١٤ ـ **قصص الأنبياء**، لابن كثير.

١٥ ـ **الكشاف**، للزمخشري.

١٦ ـ **لسان العرب**، لابن منظور.

١٧ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، للسمين الحلبي.

١٨ ـ **المعرب**، للجواليقي، تحقيق: أحمد شاكر.

١٩ ـ **معجم البلدان**، لياقوت الحموي.

٢٠ ـ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية في القاهرة.

٢١ ـ **مفردات ألفاظ القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي.

٢٢ ـ **مقاييس اللغة**، لابن فارس.

* * *

الفهرس

القسم الثاني

الأعلام الأعجمية المصروفة في القرآن

* * *